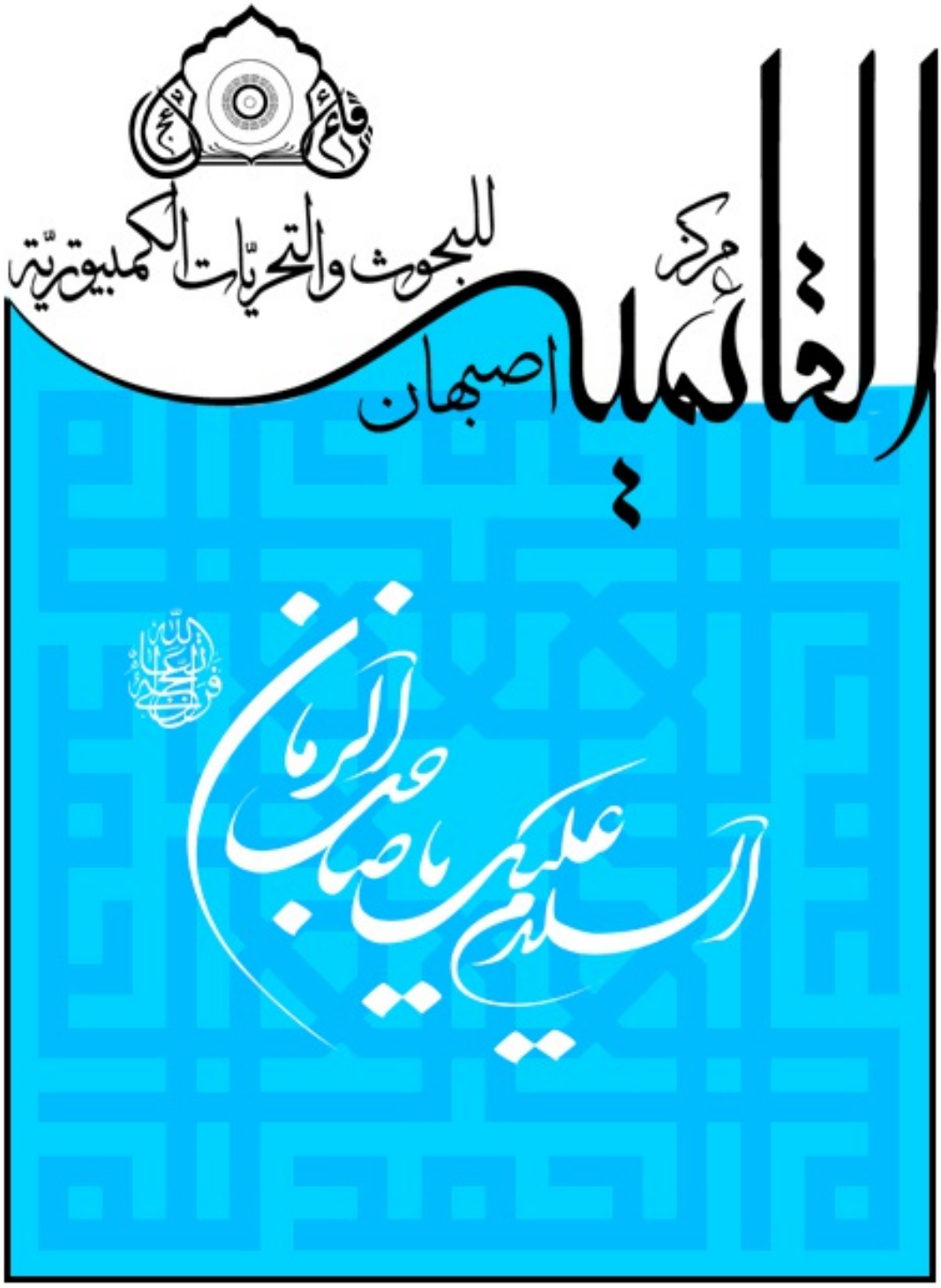

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

لمحات من تاريخ القرآن

تأليف
محمد علي الأشقر
بكالوريوس في الحقوق

منشورات
مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان
ص.ب ٧١٤٦٠

بسم الله الرحمن الرحيم

لمحات من تاريخ القرآن

كاتب:

محمد على الاشيقر

نشرت فى الطباعة:

مؤسسة الاعلمى

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

الفهرس ----- ۵
لمحات من تاريخ القرآن ----- ۷
اشارة ----- ۷
حكمة الكتاب ----- ۷
الاهداء ----- ۷
تقريض ----- ۷
المقدمة ----- ۸
تصدير ----- ۹
استهلال «۱» ----- ۱۰
هذا الكتاب فی طبعته الثانية ----- ۱۳
الإمام الحمامی «۱» فی تعقيبه علی الكتاب ----- ۱۸
كلمة فی تقريض هذا الكتاب «۱» ----- ۲۰
تعليق علی المؤلف و المؤلف «۱» ----- ۲۱
التعريف بالقرآن ----- ۲۳
أسماء القرآن و صفاته ----- ۳۲
طبيعة المجتمع العربی فی عصر النبوة ----- ۳۸
القرآن فی طريقه إلی الأرض ----- ۴۳
الجمع الأول للقرآن ----- ۵۳
اشارة ----- ۵۳
۱- الصورة الصوتية: ----- ۵۶
۲- الصورة المكتوبة: ----- ۵۸
الجمع الثانی للقرآن ----- ۶۴
الجمع الثالث للقرآن ----- ۷۲

مصاحف فی التاریخ ----- ۸۱
ضبط آیات القرآن ----- ۸۹
القرآن المکی و القرآن المدنی ----- ۹۵
الناسخ و المنسوخ فی القرآن ----- ۱۰۱
محکم القرآن و متشابهه ----- ۱۰۶
تفسیر القرآن ----- ۱۱۰
اشارة ----- ۱۱۰
ضوء علی بعض التفاسیر المتداولة ----- ۱۱۹
إعجاز القرآن ----- ۱۳۰
صور من الإعجاز الفنی فی القرآن ----- ۱۳۸
العنایة بالقرآن ----- ۱۴۶
طرائف الإحصائیات و الفرائد فی القرآن ----- ۱۵۴
القرآن فی نظر غیر المسلمین ----- ۱۵۸
الحروف المتقطعة فی أوائل السور ----- ۱۶۴
خلق القرآن و قدمه ----- ۱۶۸
الاسراء و المعراج فی القرآن ----- ۱۷۰
الحروف السبعة فی القرآن ----- ۱۷۲
أسباب النزول ----- ۱۷۷
أثر القرآن فی اللغة العربیة ----- ۱۸۰
الخاتمة ----- ۱۸۲
تعریف مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة ----- ۱۸۴

لمحات من تاريخ القرآن

اشارة

نام كتاب: لمحات من تاريخ القرآن

نويسنده: محمد على الاشيقر

موضوع: تاريخ قرآن

تاريخ وفات مؤلف: معاصر

زبان: عربى

تعداد جلد: ۱

ناشر: موسسهٔ الاعلمى

مكان چاپ: بيروت

سال چاپ: ۱۴۰۸ / ۱۹۸۸

نوبت چاپ: دوم

حكمة الكتاب

انى رأيت أنه لا يكتب إنسان كتابا فى يومه إلا قال فى غده، لو غيّر هذا لكان أحسن و لو زيد كذا لكان يستحسن و لو قدّم هذا لكان أفضل و لو ترك هذا لكان أجمل ..

و هذا من أعظم العبر، و هو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر ...

العماد الأصبهانى

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۴

الاهداء

ارفع هذه الدراسة الموجزة إلى قائد الثورة الإسلامية و رائد الحق و العدل و الحرية الرسول محمد (ص) تثمينا و إعجابا بالجهود و المساعى التى أبداها فى سبيل إيصال رسالة السماء إلى الناس كافة من أجل أن ينقلهم من جور الكفر و أسر الجهل و ضيق الأفق إلى عدل الشريعة و حرية الفكر وسعة الدنيا و الآخرة ..

راجين منه (ص) الرضاء و القبول ....

كربلاء محمد على يوسف الأشيقر

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۵

تقريض

هذه باقة عطرة تفضل بها الشاعر الملهم السيد مرتضى الوهاب «۱» مؤرخا صدور الطبعة الأولى من الكتاب

و مشمر عن ساعديه مفجّربمصادر الذكر الحكيم مواهبه

فأماط وجه البحر عن أصدافهو أنار من ثبج الطريق جوانبه

فتوسط الميدان صحب يراعهو انصاع منتصرا و نال مآربه

مذ جال فيه شبل يوسف كاشفابالبحث من جيش الضلال كتائبه

(لمحت بجنح الطف فى تاريخها)(لمحات فن للأشيقر صائبه) ۱۹۶۸ م ۴۷۸+ ۱۸۳+ ۹۰+ ۱۲۱۷/ ۱۳۸۸ ه ۶۰۹+ ۶۷۱+ ۱۰۸ كربلاء* السيد مرتضى الوهاب

---

(۱) توفى الشاعر المبدع السيد مرتضى الوهاب فى ۲/ ۸/ ۱۹۷۳ و دفن فى مقبرة السادة آل خير الدين فى الروضة العباسية بكربلاء.

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۶

المقدمة

للدكتور جابر العطا بسم اللّه الرّحمن الرّحيم تمر على الأمة الإسلامية عواصف كاسحة من تيارات الفكر الأجنبى الذى يتناقض مع الفكر الإسلامى المستنير جملة و تفصيلا ..

و لو أن المسلمين قد تدبّروا هذه الأفكار الوافدة و درسوها دراسة موضوعية مستفيضة و آمنوا بها عن وعى و إدراك لهان الأمر، و لكنهم أخذوها أخذا ببغاويا و طبقوها تطبيقا آليا غير مدركين للآثار السيئة و العواقب الوخيمة الناجمة عن هذه الأفكار و هذه المفاهيم ..

و ان هذه النتيجة المؤسفة لم تك فى يوم من الأيام نتيجة طبيعية و اصالة حقيقية للأمة الإسلامية، و لكن الاستعمار الكافر حينما هيمن و سيطر على أرضنا مستغلا نفوذه و كل ما لديه من وسائل و انظمة و قوانين، تمكن ان يركّز هذه الأفكار المستوردة و الشعارات الزائفة و النظم الجائرة لا فى عشية و ضحاها بل بأعوام عديدة و ظروف عصيبة حتى أصبحت هذه و كأنها من بنات أفكارنا و طبيعة كياننا ..

و لم يك هذا الانهيار و هذا التدهور مقتصرا على جانب من جوانب الحياة أو ناحية من نواحى المجتمع، و لكنه تدهور فى السلوك و انهيار فى المثل و المفاهيم و تخلف و انحطاط فى النظم و القوانين ..

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۷

و من هنا بات لا ينفع الاصلاح السطحى و العمل الترقيعى بل لا بد أن يكون العلاج جذريا و التغيير شاملا ..

و ان هذا التغيير لا بد و ان يستوعب النفس حتى يكون السلوك اسلاميا و تكون مناهج الحياة كلها على أساس الاسلام استجابة لقوله تعالى إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ ما بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا ما بِأَنْفُسِهِمْ «۱».

فالتغيير بالإسلام هو الأخذ بكافة تعاليمه و ارشاداته لأنه نظام كامل فيه من المرونة و الحيوية ما يجعله صالحا للتطبيق فى كل زمان و مكان تلبية لقوله تعالى: الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَ أَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَ رَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلامَ دِيناً «۲».

و الاسلام مرّ بمرحلة تطبيقية رائعة و عاشت الأمة فى ظله حتى غدت أرقى أمم العالم جميعا و أسماها، و لكن حينما تخلت الأمة عن الاسلام فى مجاله العملى تدهور أمرها إلى أسوأ مما كانت عليه قبل الاسلام، و ان هذا الشيء ليدل دلالة واضحة و اكيدة على انه لا سعادة للبشرية إلا بالشريعة الاسلامية التى قال عنها الامام على- عليه السلام- «لا يسعد أحد إلا باتباعها و لا يشقى أحد إلا مع جحودها و اضاعتها».

هذا و نشير بهذه المناسبة إلى ان مصادر هذه الشريعة هى أربعة:

۱- القرآن الكريم.

۲- السنة النبوية الطاهرة.

۳- الاجماع.

۴- العقل.

لذا كان لا بد أن يكون المصدر الأول و هو كتاب اللّه موضع اهتمامنا نهتدى بهديه و نستضىء بنور علمه وفقا لقوله سبحانه أَ فَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَ لَوْ كانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً «۳» ..

---

(۱) الرعد: ۱۱.

(۲) المائدة: ۳.

(۳) النساء: ۸۲.

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۸

و الاستاذ- الأشيقر- قد عرض فى مؤلفه هذا عرضا موجزا لعدة جوانب من كتاب اللّه و بالخصوص الكيفية بها حتى صار بالشكل الذى نراه اليوم و كما أنزله اللّه تعالى من دون زيادة أو نقصان مثلما قرّر فى محكم كتابه الكريم إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَ إِنَّا لَهُ لَحافِظُونَ «۴» اضافة إلى تفسيره و اعجازه و نزوله و مكيّه و مدنيه و ناسخه و منسوخه و محكمه و متشابهه و حروفه و العناية به .... الخ و هو عرض جميل فى بابه و شيق فى اسلوبه و بديع فى عرضه و نشره ..

و ختاما نسأله تعالى ان يوفقنا جميعا لما يحب و يرضى انه المولى و نعم الوكيل ..

الدكتور جابر العطا البصرة ۱۳۸۵ ه- ۱۹۶۵ م

---

(۴) الحجر: ۹.

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۹

تصدير

لست أدرى انى سيكون موقع كلمتى هذه من الكتاب و لست اعرف ما هو ترتيبها عند التبويب لأننى اجهل ماهيتها حقا، فهى لم تكن تقريضا لتحتل مكان الصدارة و لم تكن مقدمة لتأتى تمهيدا للبحث، أضف إلى ذلك ان التقريض قد سبر غوره الدكتور العطار و المقدمة قد فرغ منها المؤلف ..

لذا ارانى ملزما بالاعتراف و اقولها كلمة جريئة بانى طارئ على الكتاب دخلت فيه فضوليا رغبة فى الظهور على مسرح التأليف و طمعا بالشهرة و الجاه و ارضاء الغرور العارم ..

كان هذا شعورى عند ما طلبت إلى الأخ الأستاذ الأشيقر (و هذا خلاف المعتاد) حشر كلمتى فى كتابه الأول، و اعتقد أن الصراحة التى برزت من بين سطورها ستكون شفيعا لدى القارئ الكريم و مبررا يجد فيه الاستمرار بقراءتها ليولينى من عطفه بعض ما اصبو إليه و ليمنحنى من ثقته قليلا مما ارنو إليه ..

و من حقك أيها القارئ العزيز ان تسأل عن سبب هذا الإلحاف و تعرف هذا الالحاح سواء إلى المؤلف أو إليك أنت بالذات، و علىّ أن أجيب بنفسى الصراحة و الجرأة، فالكتاب الذى بين يديك لم يك جديدا

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۱۰

فى هذا الباب و لا الأول فى الموضوع فقد كتب فيه العديد من المؤلفين قديما و حديثا و تناولوا موضوعاته بالبحث و التمحيص منهم

المسهب المطنب و منهم المختصر المختزل، و نظرة عابرة إلى مصادر البحث فى خاتمة الكتاب تغنى عن الدليل ..

فالقرآن وجد مع بعثة الرسول القائد و استمر حديثا يردده الزمن و تصغى إليه الأجيال خالدا خلود الدهر و يرسم للبشرية طريقها المشرق و يجدّد ابعاد سعادتها المنشودة و يوضّح أسباب شقائها المتوقع فهو الدليل على الخير و الدال على سبل النجاة وفقا لقوله تعالى إِنَّ هذَا الْقُرْآنَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ «۱» ..

و موضوع هذا فحواه و ذلك محتواه هو جدير بالكتابة و الدرس و الإعادة و التكرار و حرى بى خاصة و انا اريد ان اجرّب حظى فى الكتابة ان اسهم بكتابة بعض السطور مسترشدا بهدى القرآن و مستهديا بنور محمد (ص) فأقول ان المؤلف و هو يهدى باكورة انتاجه قد حالفه التوفيق فى اختيار الموضوع و قد جاء كتابه هذا تحقيقا للرغبة التى خامرته منذ زمن بعيد، فخوضه فى هذا البحث لم يجد فيه صعوبة أو كبير عناء كما يدعى- أو بالغ فى تقدير الصعوبة لأن تربيته الدينية الخاصة و ملازمته لرجال العلم منذ نعومة اظفاره و شغفه بقراءة القرآن و حفظه لمعظم سوره فضلا عن آياته استظهارا كانت كلها اسبابا و مبررات كما اعتقد يسّرت عليه الخوض فى هذا الموضوع و مهّدت السبيل للولوج فيه، فهو شاب مؤمن نشأ فى طاعة ورع تقى يبتغى مرضاة اللّه فلا- عجب إذا أحسن الاختيار و لا غرابة إذا اختار الأحسن ..

و قد كان فى ميسورى و انا القارئ الأول تبيان مواقع الاستحسان و الاشادة بها أو مواضع الانتقاد و الاشارة اليها لو تمهلت فى قراءة مسودات الكتاب، و لكنى آثرت السرعة ايفاء بوعدى للمؤلف معتقدا أن

---

(۱) الإسراء: ۹.

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۱۱

القارئ الكريم سينوبنى فى هذه المهمة و ستولى هو تقديم كشف الحساب بأسلوب رفيع مجرد من العاطفة و الذاتية إذا ما رغب فى ارتقاء منبر النقد أو اعتلاء اعواد التقريض و احسب ان المؤلف سيقابل كل ذلك برحابة صدر ..

فاليك يا أخى الكريم و أنت تقدم كتابك الأول الف تحية و ألف سلام راجيا لك كل خير، و اللّه سبحانه ولى التوفيق ..

عبد الأمير ذياب بكالوريوس فى الحقوق كربلاء ۱۳۸۵ ه/ ۱۹۶۵ م

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۱۲

استهلال «۱»

الحمد للّه رب العالمين و الصلاة و السلام على الرسول الأمين و على آله الطاهرين و صحبه المنتجبين و بعد:

فعند ما خامرتنى فكرة أو محاولة الكتابة عن القرآن الكريم الذى هو أحد مصادر الشريعة المهمة و اصل الفقه الاسلامى كنت أظن و اتصور جازما بأن الخوض فى مثل هذا الميدان سيكون سهلا و يسيرا و ستكلل بالنجاح و من دون تحمل كبير عناء أو عظيم مشقة، و ذلك اعتمادا على ان الابحاث و الدراسات الاسلامية و خصوصا ما يتعلق منها بالقرآن الكريم كانت قد مرّت علىّ كثيرا سواء فى خضم الحياة الدراسية أو غمرة المطالعات و التتبعات المستمرة فى بطون الكتب و زوايا المؤلفات التى تركها لنا المؤرخون الراحلون أو تلك التى خطتها أقلام الكتاب المعاصرين، و ان الأمر بعد هذا لا يتجاوز أو يخرج عن تسجيل كل أو بعض ما علق فى الواح الفكر عن الموضوع فى الأوراق و المسودات ليمكن بعد ذلك طيّها و حملها إلى المطبعة لتصبح بعد حين كتابا أو دراسة يوضع بين يدى القراء أو فى دواليب المكتبات و دور الكتب ..

كانت كل هذه التصورات و الأفكار تطوف فى مخيلتى قبل الانقطاع لاعداد هذه الدراسة الموجزة عن القرآن المجيد، و لكن تجلى لى ذلك

(۱) هذه هى مقدمة المؤلف على الطبعة الأولى من كتابه، و قد وضع لها هذا العنوان بسبب تولى الدكتور العطا كتابة المقدمة ..

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۱۳

و بوضوح و عند البدء و الشروع فى اعداد هذا البحث ان كل الأفكار المعقودة قد تبخرت و تلاشت و أن كافة التصورات و الظنون المرجوة قد سقطت من عليائها، و ان كل ما امكن حفظه و جمعه من معلومات لم تكد تتجاوز عند ترجمتها إلى أوراق التسويد عن عدة صفحات من دون ان يجمعها نظام خاص أو يوحدها تنسيق معين.

و طبيعى ان هذه النتيجة المؤلمة التى عشتها لفترة طويلة قد بعثت فى النفس اليأس و الجزع و اوشكت ان تعصف بالمحاولة و ترديها لو لا ان تداركها اللّه سبحانه فى اللحظة الأخيرة فبعث فيها شيئا من الرجاء و الأمل فقلب المحاولة إلى تصميم و التجربة إلى إرادة و الفكرة إلى تنفيذ.

هذا و فى الحقيقة ان المصادر و المراجع التى تبحث فى موضوع القرآن الكريم قد كانت لنا عونا كبيرا فى طريق اعداد و تهيئة هذه الدراسة، إلا انه لا يمكن- فى نفس الوقت تناسى أو تجاهل الجهد و العذاب البالغين الذين يلقاهما المرء عند جمع مواد القرآن و توحيدها و تنسيقها و ربما شرحها و التصرف بها بما يناسب و يماشى خطة الكتاب، لا سيما إذا ما عرفنا بان كثيرا من المصادر و المراجع المذكورة هى قديمة و طويلة حيث تستنزف من المرء جهدا و وقتا و عناء طويلا للحصول و العثور على رأى معين أو نقطة صغيرة، فكيف هو الحال سيكون عند السعى للوقوف على آراء العشرات من المؤرخين و الكتاب أو توحيد مواضيع و أبحاث عديدة لابراز الرأى و الاتجاه المفضل و المقبول ..

ان الصعاب و المشاق التى نتحدث عنها الآن قد تنعدم أو تخف بلا شك بوجه الأدباء و الكتاب العظام عند الكتابة عن مثل هذا البحث أو غيره، و لكنها- الصعاب و المشاق- تفرض وجودها حتما أمام كل شاب مبتدئ لم يعرّك ميدان التأليف و الكتابة من قبل إلا من بعض المقالات و الكلمات العابرة التى حررت على عجل لتأخذ مكانها على احدى

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۱۴

النشرات المدرسية أو فى احدى المجلات الفصلية أو لتلقى فى مناسبات دينية و وطنية ...

و رغم كل هذا و ذاك فقد تمكنت- بعون اللّه- من وضع هذه الدراسة الوجيزة التى تبحث عن القرآن الكريم ابتداء من ساعة نزوله على الرسول الكريم (ص) إلى لحظة اختتامه فضلا عن الاشارة العابرة إلى بعض الابحاث المتعلقة و المرتبطة به مثل جمعه و تفسيره و اعجازه و حروفه و أسباب نزوله ... «الخ» لغرض تقريب كل ذلك من اذهان المسلمين، لأن المام و احاطة المسلمين بذلك سيمكّنهم من الذود عن أنفسهم و افشال خطط اعدائهم فى الطعن بكتاب اللّه و بالتالى القضاء على عقيدتهم و مبادئهم ..

و اشير بعد هذا بانى قد راجعت أو وقفت- فى سبيل اعداد هذه الدراسة- على أكثر من مائتين كتاب و مصدر تخص مختلف الطوائف و الملل الإسلامية و قد تم الاشارة إلى بعضها فى ثنايا هذا الكتاب كما و تم سرد قسم كبير منها فى نهاية الكتاب لغرض الرجوع إليها عند طلب المزيد من التتبع و الاطلاع و التوسع ..

ان غالبية المراجع و المصادر المشار إليها متوفرة فى المكتبات المركزية بالمحافظات العراقية فضلا عن المكتبات الحكومية أو الأهلية الأخرى، كما أن مكتبتى المتواضعة هى الأخرى تضم كل هذه المراجع و المصادر و أرجو من اللّه أن يقيّض لها المكان المناسب ليمكن قلبها إلى مكتبة عامة ليتاح لجمهور القراء الاستفادة من كتبها التى تبلغ عدة آلاف و تبحث فى كل علم و فن ..

هذا و انى عند اعدادى لهذه الدراسة عن القرآن الكريم لم افكر قط فى كسب نفع مادى أو بلوغ هدف دنيوى بعد ان اسبغ اللّه تعالى علىّ بركاته، و انما آثرت منه و من الكتاب الآخر الذى سيعقبه

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۱۵

مباشرة «۲» ان يكونا خالصين لوجه اللّه تعالى و ان يسهما مع بقية الكتب الاسلامية الهادفة فى خدمة الفكر و توعية المسلمين و توجيههم مع تذكيرهم بأن الغد سيكون لهذه العقيدة و المستقبل لهذا الدين ..

و بعد فانى حين أطوى هذه المسودات و الأوراق و التى كتبتها على عجل و بمنتهى الايجاز و الاختصار فى غضون ستة أشهر، كما و كلفنى استنساخها و تهذيبها لعدة مرات ما يقرب من السنة حين اطويها لانقلها من قعر مكتبتى إلى مكانها المقرر من المطبعة لأشعر حقا بمدى التقصير و الاضطراب الذى يلمّ بها و يحيطها احاطة السوار بالمعصم سواء أ كان ذلك فى الاسلوب أو فى ضعف المستوى أو فى الاغلاط و الهفوات و التى سوف لا تخفى حتما على فطنة القارئ الكريم عند طوافه و تجواله

---

(۲) يحمل الكتاب الآخر عنوان «اضواء على شبه القارة الهندية- دراسة موجزة للأوضاع الاجتماعية و الطبيعية و الاقتصادية و السياسية و السياحية فى الهند، الباكستان، بنغلادش، سريلانكا، النيبال بوتان» و يقع فى ۵۰۰ صفحة و قد فرغ المؤلف من اعداده منذ أمد طويل و هو جاهز للطبع فى أى لحظة و الكتاب هذا معزز بالخرائط و الصور المختلفة التى تقرّب المواضيع الواردة فيه إلى ذهن القارئ لتسهّل هضمها و استيعابها ..

كما أن الكتاب يضم (۳۰) فصلا منها «فى الطريق إلى شبه القارة الهندية، الأرض و تضاريسها السكان و اصلهم، المناخ و الغابات، الأنهار و البحيرات، الزراعة و الرى، الثروة الحيوانية، الصناعة و المعادن، الطرق و المواصلات، اللغات و اللهجات، الأديان و المعتقدات، صور من العادات و الطبائع الغريبة، مسيرة الإسلام إلى شبه القارة، الدولة الغزنوية و الغورية و المغولية، الاستعمار الأوربى يطرق أبواب شبه القارة، الثورة الهندية الكبرى، نهضة المسلمين بعد كبوتهم، اعلام الحرية .....» علما بأن الدوافع التى حدت لإعداد هذه الدراسة عن شبه القارة فقد عدّدها المؤلف فى مقدمته و يمكن إيجازها فى النقاط التالية:

۱- كون شبه القارة هى موئل الغرائب و محيط العجائب و لما تضم بعد ذلك من الآثار التاريخية و الفلسفات و العقائد و العادات و الأعراف البشرية و الطبائع المختلفة و المفارقات العجيبة ..

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۱۶

بأجواء هذا الكتاب، آملا منه مشكورا تعريفى عن كل ذلك ليتاح لى تلافيه مستقبلا فيما إذا قدر لهذا الكتاب أن يرى وجه النور للمرة الثانية أو عند التهيؤ لكتابة بحث أو دراسة أخرى ..

و إذا كان لى مجال هنا لشكر أحد على مساعدتى فى اخراج هذا الكتاب أو الايحاء لى بفكرته فهو أستاذى الكبير الشيخ عبد الزهراء الكعبى و الطبيب الانسانى الخالد الذكر الأخ جابر العطا فى البصرة (فى بعقوبة حاليا) و الزميل المحامى الحاج محمد على النصراوى، و فى

۲- موقف أقطار شبه القارة المساند لقضايا العرب و العروبة و لا سيما قضية فلسطين ..

۳- العلاقات الوثيقة التى تربط شبه القارة بكثير من الأقطار العربية و منها العراق و دول الخليج ..

۴- طبيعة أخلاق ابناء المجتمع فى شبه القارة و سلوكه و تصرفاته ازاء السواح و القادمين إلى ديارهم ..

۵- انتشار اللغة العربية و تواجدها و المنتجات المعروضة فى مخازن و أسواق المدن هناك و تواجدها بصورة و فيرة على مدار السنة و من دون شحة بعضها أو نفادها ..

۵- انتشار اللغة العربية و تواجدها فى تلك الديار و لا سيما عند سكانها من المسلمين و علمائهم ..

۶- رخص المواد و البضائع و المنتجات المعروضة فى مخازن و أسواق المدن هناك و تواجدها بصورة وفيرة على مدار السنة و من دون شحة بعضها أو نفاذها ..

۷- ما جاء على لسان الكاتب الهندى الكبير السيد عبد العلى الحسينى الندوى من أن شبه القارة الهندية العامرة بالرجال و الماضى لم تنل من عناية الكتّاب العرب .. لذا قمت باشعار هذا الكاتب العظيم بأن العرب لم يألوا جهدا بالكتابة عن شبه القارة و أحوالها و شئونها المختلفة ..

نأمل أن يرى هذا الكتاب وجه النور فى وقت قريب ليتمكن القارئ من الاطلاع علىّ عصارة و حصيلة أكثر من (۲۵) رحلة قام بها المؤلف إلى تلك الديار و من شمال سرينكر و إلى جنوب كولمبو و من كراجى إلى جنوب شيتا كونغ عند الحدود البرمية ..

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۱۷

الحق فإن هذه الدراسة هى من بنات أفكارهم و وحى توجيهاتهم و ارشاداتهم ..

و ختاما اشير- للمرة الثانية- إلى ان هذه التجربة فى الكتابة هى الأولى التى نمتحن فيها و لست أدرى هل ستكون هذه حافزا للوثوب إلى تجارب أخرى أم أن خط سيرنا و مسار سفينتنا سيقف عندها ..

و اللّه أسأل- و له الحمد- ان يتقبل هذا الجهد المتواضع و يوفقنا و سائر المسلمين للسداد و الصواب انه ولى النجاح و التوفيق ..

محمد على يوسف الأشيقر كربلاء ۱۳۸۶ ه/ ۱۹۶۶ م

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۱۸

هذا الكتاب فى طبعته الثانية

موضوع القرآن بحر مترامى الأطراف و متلاطم الأمواج ليس فى مكنة المرء و لا فى قدرته أن يسير غوره أو أن يدرك كنهه من غير أن يحسب له ألف حساب و من دون أن يتجهز له و يستعين بمختلف الأسلحة و العدد الكافية ..

و هذه الأسلحة و تلك العدد لا يمكن أن تنال أو تكسب بجرة قلم كما و لا يمكن أن تتهيأ بالسهولة و اليسر الذى قد يتصوره البعض و كما هو الحال فى سائر المواضيع و الأبحاث، و انما دونها مراحل طويلة و فواصل كبيرة محفوفة بالأتعاب و محاطة بالتضحيات ينبغى على كل فرد أن يطرقها و أن يمر عبرها قبل أن تصل أو يقع فى يده شيئا منها ..

و ليس فى ابحاث هذا الكتاب و مواضيعه ما يستشف أو توحى من قريب أو بعيد إلى أنها تنحو إلى كشف ماهية القرآن أو حقيقة أسراره و مراميه القصيّة بسبب أن كشف هذه الماهية و ازاحة الغطاء عن هذه الأسرار و الابعاد يتطلب حتما اجتياز و تخطى بعض أو معظم المراحل و الفواصل المتقدمة، و هذا ما لم نحقّقه بعد و هو ما لم نوفق إليه أيضا بعد على الرغم من وجود بعض المحاولات و التشبثات البدائية و الأولية فى هذا السبيل و هى إلى الفشل و الاخفاق أقرب منها إلى النجاح و التحقيق ..

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۱۹

و هذا الكلام يفرض علينا- حتما- التساؤل التالى و هو انه إذا لم تكن فى ابحاث هذا الكتاب و لا فى مواضيعه المتعددة ما يشير إلى بعض أو كل ماهية القرآن أو حقيقة أسراره، فبأى شىء اذن- تبحث سطوره و لأى هدف رتبت صفحاته و ضمت بين دفّتى هذا الكتاب ..

ان جوابنا القاطع على مثل هذا التساؤل لا يخرج عن القول و الاشارة إلى أن مواضيع هذا الكتاب و فصوله انما كتبت و حررت فمن أجل أن تؤرخ للقرآن من الدقيقة الأولى التى نزل بها على صدر الرسول العربى (ص) إلى اللحظة التى تقرر فيها أن تكون ختامه، و من ثم فهى قد تتجاوز على ذلك شيئا لتتولى تعريفه ليمكن تمييزه- القرآن- عن بقية الكتب و الدراسات، و انها بعد هذا و ذاك قد تتقدم خطوة أخرى إلى الأمام لترشد القارئ الكريم إلى العلامات و النقط الموصلة إلى أبوابه المختلفة و أبحاثه المتعددة ..

و رغم ان هذا الكتاب هو تاريخ موجز لمراحل نزول القرآن الكريم و تعريف بصفاته و اسمائه- كما تقدم- و هذا لا يتطلب ممن يكتب من ذلك أن يكون ذا باع طويل أو نصيب وافر فى العلم و التدقيق كالتى يحتاج إليها عند البحث فى ماهية القرآن الكريم و

أسراره الخفية و مقاصده الحكيمة ..

لذا لم أغفل عن احاطة القراء الكرام- عبر الطبعة الأولى للكتاب- بضرورة اشعاري و تنبيهي إلى كافة ما سيجدوه في هذه الدراسة من مثالب و نواقص ربما وقعت فيها عن سهو أو نسيان أو عدم التفات أو جهل ..

كما و أشرت مرارا في نفس الوقت إلى انني كاتب ناشئ و ان هذا الجهد المتواضع الذي اقدمه هو باكورة ما قمت به في ميدان التأليف و عالم النشر مما يدعو لوجود و بروز مآخذ و مثالب لا يمكن تجاوزها و تلافيها من دون التنبيه إليها أو الاشارة لها من أجل أن يغدو هذا البحث و هذا الجهد

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۲۰

الصغير متكاملا أو على الأقل قائما على قدميه فيما إذا قدّر له ان يرى النور مرة ثانية ..

ان كثيرين من القراء و الأصدقاء الكرام قد كانوا عند حسن الظن، حيث تكرّموا باشعاري بتفصيل أو ايجاز عن سائر نواقص الكتاب و مثالبه فضلا عن الملاحظات التي يجب أن تؤخذ بنظر الاعتبار عند الطبعة الثانية، و دوري فقد توليت بوضع كل ما جاءني من هؤلاء الأخوة موضع التنفيذ و العمل و تجلى أثرها ساطعا على صفحات هذه الطبعة الجديدة للكتاب ..

و إذا كان و لا بد من الاشارة أو الاستشهاد بواحد أو أكثر من هؤلاء الأصدقاء فهو استاذي الجليل و خطيب كربلاء الشيخ عبد الزهراء الكعبي «۱» الذي غمرني بلطفه فقدم لي كشفا مفصلا عن الكتاب برمته و قد توجه بمقدمة موجزة شكر فيها المتاعب و المساعي التي صرفت لاعداد هذا البحث الذي يحتاج إليه المجتمع- ايما احتياج- في هذا الوقت و الذي تكالبت فيه القوى المادية الكافرة للاجهاز على ديار المسلمين و النيل من مقدساتهم و تراثهم ..

كما و اشير إلى رسالة الأخ الفاضل السيد جواد آل بحر العلوم من كربلاء و التي يقول فيها بالحرف: «..... و قد طالعت كتابكم القيم فوجدته طبقا للواقع حيث انه لمحة من لمحات القرآن الكريم و انتهلت

---

(۱) بالرغم من شهرة الشيخ الكعبي في أكثر من ميدان و مجال، إلا أن شهرته في العالم الإسلامي جاءت عن طريق قراءته لمقتل الإمام الحسين- ع- في العاشر من محرم من كل عام و تتولى اذاعة الجمهورية العراقية نقله، و لقد توفي الأستاذ الكعبي في ليلة وفاة الصديقة فاطمة- ع- و ذلك مساء الخميس ۶/ ۶/ ۱۹۷۴ ..

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۲۱

من نميركم العذب و تنوّر بصري بنور بصيرتكم الفياضة و استحسنت كثيرا تلك الاساليب التي اهتديتم إليها في نظم هذا العقد الثمين من الشرح في مناسبات السور و البيان عن حكمها و اعجازها و كبّرت فيكم تلك الروح السامية و عظمت فيكم العبقرية الراقية التي كانت حصيدها هذه اللمحات من النور و حسن الارشاد و التي برهنت بانها جوهرة في لجة المعروف، و لقد جرى على لساني و أنا مطرق في المطالعة هذه العبارات الوجيزة:

كتاب قد حوى أسمى المعالي‌يفوق المسك من حسن البيان

فشكرا يا أخا العلياء شكرالقد اتحفتني روض الجنان و من كربلاء أيضا وردتنا الرسالة التالية من السيد عباس هاشم الطباطبائي نقتطف منها الأسطر التالية: «.... لقد سبرت غور هذا السفر الجليل و الكتاب القيم الجدير بالذكر و التبجيل الموسوم ب «لمحات من تاريخ القرآن» لمؤلفه جناب السيد الشاب المفضال و المؤمن الحق الأستاذ السيد محمد علي الأشيقر- حفظه اللّه تعالى- على عجل فالفيته بحثا مستفيضا شاملا جامعا مستوعبا لمعظم المعلومات التي لا بد لكل مسلم أن يتطلّع اليها، و لا يشك ذو دراية بان السيد الاشيقر- وفقه اللّه لمرضاته- قد انفق أياما من عمره الشريف المديد في انتقاء أفضل المعلومات و اوثقها من بطون الكتب القديمة و الحديثة و حاول بلباقته و منطقه السديد أن يضفي عليها صبغة من البساطة و التدرج بحيث تغني الباحث و عناء البحث و عناء السهر و التنقيب، و

حاول بكل جدارة الموافقة بينها بحيث يجد كل مستفيد بغيته، و اعجبنى من ذلك أيضا طراوة اسلوبه و عذوبة عرضه و حلو حديثه حتى سحرنى بيانه- و ايم الحق- ان اقضى سهرة ممتعة مع بحثه المستفيض من دون أن أشعر بالساعات و هى تمضى سراعا، فتضرم ساعات الليل مدبرة على غرة و يطالعنى الصبح

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۲۲

بضوئه فجأة و بدون سابق انذار، و باختصار فان الكتاب يستحق التبجيل و التقدير و الاعجاب و هو بعد ذلك باكورة عمل السيد الاشيقر و أول خطوة يخطوها فى ميدان التأليف و التصنيف، فبوركت يا سيدى الاشيقر على اداء هذه المهمة و اسداء هذه الخدمة ..

و قد خطر ببالى و انا اختم كلمتى ان اسجل لك هذه الابيات:

طاب ذكر لك ما فيه هناتلم يكن يطوى لما فيه صفات

انما الانسان فان و تربعده الأعمال تبقى صالحات

فكتاب يورث الناس هدىثم نجل صالح أو صدقات

فخلو المرء منها دائمو سوى هذا فقد يعفى الممات

فذر الغفلة فى دنيا الهوىو اكتسب علما ففى العلم حياة

إنما الجهل لسجن مظلمو به الانسان يلقى العثرات

فأتى من آل طه كاتباشرقت بالفكر منه الظلمات

لمحات من كتاب اللّه قدجاء فى شرح له بالبينات

فجزاه اللّه خيرا إذ أتىبكتاب هو للفكر نواة

فى بحوث لم تكن قد طرقتمثل هذا بوركت من خطوات

هذه الأفكار تبقى ارخو«طبعت فخرا فهاؤم لمحات» (- ۱۹۶۸-) و من كربلاء كتب لنا الأخ الأستاذ على عبود أبو لحمة يقول:

«.... لقد طالعت كتابكم القيم الخالد- لمحات من تاريخ القرآن- فاعجبنى جدا تنظيمه و تبويبه و اسلوبه فضلا عما يضم بين طياته من تاريخ موجز للآيات الكريمة و اسباب نزولها و تفسيرها و جمعها و المحكم و المتشابه منها و إلى غير ذلك من الابحاث و المواضيع الغامضة التى نجهل معظمها نحن ابناء الاسلام، و لا سيما فى هذا العصر الذى

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۲۳

تكالبت فيه القوى المادية و البدع و الضلالات للاجهاز على جوهر الرسالات السماوية، و حرى بى- أيها الأخ- ان اشكر لك هذه الجهود الجبارة التى بذلتها فى هذا السبيل و التى لم تتوخى منه إلا رضاء اللّه و طاعته، علما بان القارئ الكريم سوف لا يستكثر عليك هذا الجهد إذا ما علم بانك من الدعاة الأوائل لحركة الوعى الاسلامى المعاصر فى كربلاء ....».

و من كربلاء أيضا وردتنا من الأخ الحاج محمد على الشاوى النجفى الكلمة التالية و قد جاء فى شطرها الأخير «..... ان كتابكم (اللمحات) قد جاء تحفة فنية رائعة و لقد بذلتم مجهودا عظيما فى اخراجه إلى حيز الوجود، سائلا المولى تعالى أن تبذلوا قصارى جهودكم فى المستقبل القريب لإخراج السفر الثانى ألا و هو- اضواء على شبه القارة الهندية- لكيما يطلع ابناء محمد (ص) على الأوضاع فى اقطار شبه القارة الصديقة و التى وقفت جنبا إلى جنب معنا أيام محنتنا بل شاركتنا السراء و الضراء فى قضايانا المصيرية .. و لا زلتم موفقين بدعاء أخيكم (البار ...).

و من كربلاء جاءتنا رسالتين ثمينتين من السيدين سلمان هادى الطعمة و حميد مجيد هدوّ و قد توليت نشرهما مع فصلين مستقلين لأهميتهما لا سيما و ان محرريهما من رواد الفكر و الأدب المعاصر فى كربلاء.

أما من النجف الأشرف فقد طالعتنا كلمة العلامة المجاهد السيد محمد على الحمامى و قد قمت بدرجها فى الفصل التالى لما تضم

من

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۲۴

ارشادات و هداية للمسلمين عامة و لواضع هذه الدراسة خاصة.

كما و تلقيت من النجف الأشرف كلمة أخرى حررها يراع الأخ السيد عبد الجبار كاظم الهاشمى حيث يقول فيها بعد التحية و السلام: «.... لقد ضم كتابكم الكريم- لمحات من تاريخ القرآن- بين جوانبه كما يبدو من عنوانه، و انى عند ما تفرّغت لمطالعة الكتاب و دراسته وجدتنى منهمك بدراسة الفقه و اصوله و الفلسفة و ابعادها، ثم رأيتنى أخوض تاريخ العصور السالفة و معالم الأمم الماضية بما تضم من قصص الأنبياء و المرسلين و كيف قام هؤلاء بايصال رسالة السماء إلى الأرض، و سرنى فى الكتاب كثيرا هوامشه و ما تضم هذه من معلومات لا يستغنى عنها كل باحث و كل أديب مثقف، وفقت يا أخى الاشيقر فى مسعاك و جزاك عنه خير الجزاء و حفظ امتنا الكريمة من كل مكروه و قادها تلقاء النصر و السؤدد.

اما من ثغر العراق الباسم البصرة الفيحاء فقد أطلّت علىّ رسائل عديدة كانت فى طليعتها رسالة الامام المجاهد السيد أمير محمد القزوينى الكاظمى و مما جاء فيها «.... لقد اطلّ علىّ كتابكم «لمحات من تاريخ القرآن» فطالعت جمله من فصوله فحمدت اللّه تعالى على ما أولاكم من قوة و جودة فى الاسلوب و عمق فى التحقيق و رصانة فى الكلام و متانة فى التدقيق فحياك اللّه علما للفضيلة و مثالا للأدب و دعوته أن يمدكم بعونه و يرعاكم بعينه و يجعلكم من الدعاة إلى طاعته و القادة إلى سبيله بمنه و كرمه انه بالإجابة جدير و السلام عليكم و على من لديكم من اخواننا المؤمنين ....».

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۲۵

و من قضاء المدينة بمحافظة البصرة اشرقت علينا الرسالة الكريمة التى دبجتها يراع عالم البلدة الكبير و خطيبها المصقع العلامة الشيخ على آل حيدر «۳» و مما جاء فى رسالة الشيخ على: «.... انها لسعادة غامرة أن يقع فى يدىّ كتابكم القيم- لمحات من تاريخ القرآن- هذا الكتاب الذى طالما رجوت منى قبل طبعه أن استعرض مسوداته و ملازمه من أجل تصحيح ما وقع فيها من اخطاء و هفوات، و الحقيقة انى لم اعثر فى تلك المسودات ما يستحق التصليح بل خرجت منها شاكرا لك همتك القعساء فى اعدادها و مكبرا فيك الجهد الذى بذلته فى تنظيمها و جمعها فجزاك اللّه عن الاسلام خيرا مع تحياتنا لسائر الأخوان المؤمنين فى بلد الامام الحسين- ع- .....».

و من بغداد دار السلام وردتنا الرسالة التالية من السيد محمد الحيدرى معتمد مكتبة أهل البيت العامة و قد جاء فيها «.... تلقينا- بكل اعجاب و شكر و تقدير- هديتكم الثمينة و كتابكم النفيس «لمحات من تاريخ القرآن» فتصفحناه فاكبرنا ما بذلته من جهد و عناء و ما قدّمته من دراسة قيمة و احاطة شاملة و هو ان دل على شىء فانما يدل على ما تتمتع

---

(۳) الشيخ على آل حيدر امام قضاء المدينة و قد عرفته خلال عملى فى ذلك القضاء- الناحية سابقا- كمدير لها، و هو اضافة لكونه عالما للبلدة هو أحد خطباء المنبر الحسينى، له عدة مخطوطات وقفت عليه فضلا عن قصائد عديدة فى الأدب الحسينى و غيره و منها القصيدة التى جاء فى مطلعها:

جعل اللّه بين قبر حسينو أخيه مسعى على التحقيق

فهو بيت و الناس تأتى إليه كل عام من كل فج عميق و الشيخ حيدر هو شقيق الشيخ أسد حيدر مؤلف كتاب «الإمام الصادق و المذاهب الأربعة» و شقيق الشيخ طالب حيدر عالم و امام الديوانية، و قد توفاه اللّه يوم ۵ صفر عام ۱۳۸۷ المصادف لسنة ۱۹۶۷ عن خمسة أولاد و نقل جثمانه ليدفن فى النجف الأشرف- رحمه اللّه-.

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۲۶

به من فضل كبير و أدب جم و مثابرة فى سبيل البحث و التمحيص، بارك اللّه فيك و سدد خطاك» ..

أما من الديوانية فقد حمل الينا البريد رسالة رقيقة من زميلنا المحامى محمد جواد عطا و ها نحن أولا نورد بعض ما تضم من عبارات، يقول الاستاذ عطا: «... تصفحت كتابك و سررت بالغ السرور بهذا النتاج البكر الذى يضم خلاصة تتبعاتك الفكرية و ما تؤمن به و تلتزم ... عرفتك يا أخى مؤمنا تخاف اللّه و تخاف عصيانه على جانب عال من الخلق المتين و الايمان باللّه و اسلامه متحليا باخلاق الاسلام مقتديا بزعيمه النبى العربى الامى- ص- الذى قاد الأمة من دياجير الظلام إلى نور الاسلام ... أننى لا أقول قرأت كل الكتاب و لكننى أشعر أنك موفق بهذا المؤلف، و وفاء الزمالة و العلاقة الطيبة حررت هذه الرسالة سائلا اللّه أن يوفقك ....».

هذا و اكتفى بالقدر الذى ذكرته من الرسائل و الكلمات من أجل طرق زاوية أخرى تخص العقبات و الصعاب التى تقف بوجه الكتاب فى القطر، فقد كنت أظن فيما مضى أن كل كتاب- لا- سيما إذا كان يحمل عنوانا دينيا- لا يكاد يصل إلى الأسواق حتى تتلاقفه الأيدى و يختفى من المكتبات، لذا لم افكر سلفا- اعتمادا على هذه التصورات- فى مفاتحة دور النشر و الطبع لتتولى بنفسها مهمة طبع الكتاب و نشره.

و لكن عند قيامى بدفع المسودات إلى احدى المطابع الأهلية فى النجف و هى «مطبعة النعمان» اتصلت ببعض الزملاء و الأصدقاء ممن سبقونى بمراحل فى ميدان النشر و التأليف كالأستاذ حميد مجيد هدّو و غيره لمعرفة صحة معلوماتى و تصوراتى عن مراحل طبع الكتاب و نشره ...

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۲۷

و لئن اختلف هؤلاء الزملاء و الأصدقاء فى شىء إلا انهم كانوا متفقين عند ما اشعرونى بان توزيع الكتب لدينا فضلا عن طبعها هو من اشق الأمور و أصعبها و ان المؤلف عند طبعه لا حدى كتبه سيتعذر عليه الحصول على تكاليف الطبع، هذا إلا إذا كان المؤلف من الكتاب البارزين فحينذاك سيربح شيئا من توزيع كتابه ..

و قد سمعت مرارا من الأخ هدوّ- حينما كنا نخوض هذا الموضوع- هذين البيتين من الشعر و هما لشاعر اندلسى قديم:

ان الوراقة لهى انكد حرفةاوراقها و ثمارها الحرمان

شبهت صاحبها بابرة حائطتكسو العراة و جسمها عريان لذا فقد تغيّر فكرى عن الموضوع فقمت بالبحث عن جهة تتولى طبع الكتاب و نشره، و وقع الاختيار فى الأخير على احدى دور النشر فى كربلاء و هى- دار المحيط للمطبوعات- حيث قامت هذه الدار- مشكورة- باكمال طبع الكتاب و نشره داخل العراق و خارجه و قد كان هذا العمل باكورة الكتب التى اضطلعت هذه الدار بنشرها.

و يظهر ان عملها هذا قد كان فاتحة خير و بارقة أمل لها حيث لم يمض على طبع هذا الكتاب عام واحد، و إذا بها تتولى طبع و نشر ما يقرب من عشرة كتب تاريخية و اسلامية و من أهمها كتاب- نحن و اليهود للسيد كاظم محمد النقيب، فتحية من الأعماق لجهود صاحبى هذه الدار السيدين عبد الجبار و محمد الموسوى ..

هذا ما كان من أمر و ملابسات الطبعة الأولى لهذا الكتاب و التى تمت فى عام ۱۹۶۶ م ..

أما ما كان من حال الطبعة الثانية للكتاب، فقد آثرت ان اتولى بنفسى عبء الطبع و التوزيع و ان اضع لها ثمنا لا يتجاوز كلفة الورق و الطبع ان لم يكن دونه بعد ان وضعت فى الحسبان كافة الاتعاب

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۲۸

و المشاكل و العراقيل التى ستصادفنى، و رائدى من تحمل كل ذلك هو خدمة هذه العقيدة و الانتصار لهذا الحق. حيث لا خسران إذا كان ذلك سبيلا لرسوخ العقيدة فى نفوس الناس و لا ضرر إذا كان طريقا لازدهار الحق و انتصاره «۴».

فليرتفع علم العقيدة ساميا و ليخفق لواء الحق فى الاعالى فلا مكان اليوم أو فى المستقبل لخصومهما و الحمد للّه رب العالمين ....

محمد على يوسف الاشيقر كربلاء ۱۹۸۸ م- ۱۴۰۸ ه

(۴) كـان فى ذهنى سـلفا طبع هـذا الكتـاب على نفقـتى الخاصـة، إلاـ أن وقوفى و اطلاـعى على كـثير من الكتب العلميـة و التراثيـة و التاريخية التى تولت «مؤسسة الأعلمى للمطبوعات» طبعها و نشرها فى أقطار العالم العربى و الإسلامى، دفعنى لايداع هذا الكتاب لديها لطبعه و نشره، راجيا لها التقدم و التوفيق فى عملها ..

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۲۹

الإمام الحمامى «۱» فى تعقيبه على الكتاب

الحمد للّه رب العالمين و الصلاة و السلام على محمد و آله الطاهرين ..

و بعـد فـإن فضـيلة التـأليف- بنظر الاعتبـار- ظـاهرة علميـة تحفز حملتهـا إلى الـبروز فوق صـعيد كوكب الوجود نتيجـة تفاعـل القوى المتجاذبـة المودعة فى جهاز الهيكل الانسانى الروحية و المادية أو العقل و العاطفة، فإذا هيمنت القوى الروحية يتولد منها نتاج ثمرات العلم فى اطار التأليف و يتكوّن منها الريع النافع لغـذاء الروح، و لا زال يتطلب الغـذاء الروحى كما يتطلب الجسم الغـذاء المادى ما دام العلم فى خدمـة النوع البشـرى، فـان العلم يهـدف إلى انـارة السبيـل امـام العقـل ليتسـنى له التوسع فى مجـال الوعى و التقـدم لتصاعد الإـدراك و لاـ تزال- على هـذا المنهـج- تتحفنـا أقلاـم المؤلفين بما تجود به معارفهم مما يصـقل و يشـحذ الأذهان نحو التصاعـد فى مدارج الارتقاء للتوسع فى اطار الاحاطة العلمية المتسعة الاطراف و الابعاد.

و لاـ ريب ان قداسـة شـرف العلم تتجسّـد فى مواقع موضوعه و غايـاته و ما يترتب على ذلك من الثمرات و هـذا ما نجـد اثره فى علم التفسير لأن

(۱) وردتنا هذه الكلمة القيمة عن طريق استاذنا الشيخ عباس الحائرى فى كربلاء ..

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۳۰

موضوع قداسـة الوحى فى القرآن الكريم ذلِكَ الْكِتابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُـدىً لِلْمُتَّقِينَ «۲» و هو الدسـتور الخالد المتكفل لسعادة البشر فى معـاشه و معـاده الـذى اعجز البلغاء من الوصول إلى اسـلوب محاسن تعبيره و اخرس النصـحاء إنشاء بيانه و تبيانه و كفاه معجزة لرسالة الرسول الأعظم الصادق الأمين (صلى اللّه عليه و آله و سلّم) و من أجل ما يشتمل عليه و ما يحيط به من العلوم الكثيرة التى لا يعلم بها إلا اللّه تعالى و الراسـخون فى العلم أصـبح الناس بحاجـة ملحة تدفعهم إلى الوقوف على معانى الآيات الشـريفة و هذا العلم يطلب من معـدنه و معـدن معارف القرآن هو مهبط الروح الأمين الرسول الأعظم و أهل البيت- عليهم السـلام- و قد أوضح النبى (ص) ما خفى من الأسـرار القرآنيـة و فسّـر المحكم منهـا و المتشابه و الناسـخ و المنسوخ و اظهر الأحكام الشـرعية المنطويـة فى الآيات مما يحتاجها النـاس و اودع بقيـة الاسـرار الغيبيـة فى القرآن عنـد أهـل البيت- عليهم السـلام- فـأنهم الأوصـياء من بعـده الأمر الـذى من أجله كان الصـحابة و التابعون و بقية المسلمين يرجعون اليهم فيما يشكل عليهم من معارف القرآن بعد النبى (ص) و قد عكف حفّاظ الأحاديث و رواة الأخبـار على نشـر مـا عرفوه من التفسـير ممـا تلقوه عن معـدن الرسالـة و بيت النبوة و من الصـحابة المقربين، و هكـذا بقى علم التفسير فى وعـاء حفظـة الحـديث و الرواة الثقـات و الصـحابة العلمـاء مـدة من الزمن إلى أن جاء دور المفسـرين من علماء التأليف و التـدوين فـدوّنوا و كتبوا ما وصل اليهم من طريق رواة الأحاديث، و قـد مضت قرون متطاولة على الأمة الاسـلامية و حكم الاسـلام هو الحكم النافـذ و السـلطان العادل بين جميع الـدول و الشـعوب الشـرقية و الغربيـة، حينما كان القرآن هو دسـتور الدولة الاسـلامية و هو قانونها الشرعى الحكومى.

و لما غزت الدول الاستعمارية الكافرة بلدان المسلمين و الشعوب

(۲) البقرة: ۲.

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۳۱

العربية الآمنة فعاث المستعمرون فى البلاد و اكثروا فيها الفساد حينما عرفوا ضعف جانب المسلمين لضعف تمسكهم بمبادئ القرآن و تعاليمه فحدثت الحروب الطاحنة بين فرق المسلمين التى قطعت ملايين الأيدى و اطاحت بعشرات الآلاف من الرءوس تنازعا على الملك و الخلافة من يوم اخذها من أهل البيت- ع- إلى أن أخذها المستعمر منهم، و لما استولى سلطان الكافر على البلدان الاسلامية اخذ يعبث فى مقدرات المسلمين فنشر سمومه الفتاكة الإلحادية و استورد المبادئ المتطرفة اللادينية و جعل يبثها عن طريق الثقافة و التمدن الحديث، فتسربت تعاليم دول الغرب عن طريق مناهج التربية و التعليم و غيرها، فقل المتمسكون بتعاليم القرآن و ابتعدت الناس عن الاخلاق الفاضلة التى جاء بها نبى الرحمة الصادق الأمين- ص- فانهارت قوى المسلمين المادية و المعنوية من جراء ذلك ..

و لو عملت الدول الاسلامية بمناهج و تعاليم القرآن و بما جاء به الرسول (ص) كما كان عليه المسلمون فى عهد النبى و الخلفاء من بعده- حينما فتحوا امبراطورية كسرى و قيصر، و لم يملك المسلمون آنذاك من العدة و العدد ما يؤهلهم لمصادمة تلك الجيوش التى تملأ الرحاب سوى ايمانهم باللّه تعالى و دفاعهم عن العقيدة و المبدأ الصحيح و هذا هو سلام المسلمين الوحيد فى جميع فتوحاتهم و غزواتهم، فلو كانت الدول العربية الاسلامية على مناهج الدين الاسلامى لما وقعت فى شراك هذا التدهور و الانهيار، حتى اطمعت فيهم دويلة العصابات المجرمة اللقيطة اسرائيل ركيزة الاستعمار الامبريالى فاغتصبت منها ارض فلسطين و القدس الطاهرة فتلوثت تلك البقاع الطاهرة الزكية بجرائم العصابة الصهيونية، و الذى يحز بنفوس المسلمين عامة و بقلوب العرب خاصة لهب النكسة التى تأججت نارها فى يوم الخامس من حزيران عام ۱۹۶۷ حينما شنت الغارة الاستعمارية الامبريالية الإسرائيلية بقنابلها

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۳۲

السامة المحرقة قنابل «النابالم» على البلدان و الارياف العربية الاسلامية الآمنة فاحرقت و قتلت و دمرت و فعلت ما لا يفعله المجرمون المتوحشون، هذا و الدول العربية الاسلامية تملك من آليات الحرب ما يؤهلها فى الوقوف و الصمود أمام الدول الكبرى، فكيف لم تصمد امام عدو حقير مثل عصابة اليهود الذين لا يتجاوزون عن المليونين فى العدد مع ان نفوس الدول العربية مائة و خمسون مليون نسمة أو أكثر مع قطع النظر عن بقية الدول الاسلامية الغير العربية، و لو كانت صرخة نداء الدول العربية باسم الدول الاسلامية لكان النداء يجمع فى حدود الأكثر من ألف مليون نسمة، و لو لا الخيانات و بيع الضمائر و ضعف التمسك بالدين بين رجالنا المسئولين لما حدث ما حدث من العدوان الغادر كما كشفته الظروف المتأخرة عن النكسة الحزيرانية ..

و لعل اللّه تعالى ان يوقظ المسلمين و الدول العربية من سبات نومهم فيغسلوا العار و يزيلوا آثار العدوان، و ان الكرة تنفى الغرة، و ليس ذلك على اللّه ببعيد.

و نسأله تعالى أن يجمع كلمة المسلمين و يلم شعثهم على صعيد الايمان باللّه و الدفاع عن الوطن المقدس لاعادة الجزء السليب و نبذ تعاليم و آثار المستعمر الكافر التى خلفها من بعد ان تقلص سلطانه عن الدول العربية الاسلامية و نشر تعاليم الاسلام و التمسك بمناهج القرآن و بذلك تزول آثار العدوان.

نقول هذا: ثم نفتح الحديث مع الأستاذ الاشيقر حيث تلطّف علينا باهداء مؤلفه «لمحات من تاريخ القرآن» و نحن اذ نشكر له هذه اليد البيضاء نجد ان موضوع الكتاب الذى جعله ميدان قلمه يسع لإخراج موسوعة ضخمة متعددة الأجزاء، لأن مفاهيم تاريخ القرآن من حيث تأليفه و جمعه و من حيث نزول آياته المكية و المدنية و من حيث تاريخ من تصدى لجمعه من الصحابة هل كان على عهد النبى (ص) ام كان من

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۳۳

بعد وفاته و رحيله إلى الآخرة، و هذه الجهات تتكفل بتدوين كتاب دائرة معارف قرآنية، لأن القرآن هو المعجزة السماوية التى منحها اللّه للصادق الأمين تلك المعجزة التى يتصاغر أمامها كل معجز لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَ الْجِنُّ عَلى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَ لَوْ كانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً «۴» .. و لم تتلاعب بمقدرات قداسته اصابع العابثين من الملحدين كما عبثت فى غيره من الكتب السماوية إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَ إِنَّا لَهُ لَحافِظُونَ «۵» .. و قد جمع فيه من العلوم و المعارف ما جمع فى غيره و زيادة بلا عكس، و من تتبع ما دوّنه المستشرقون حول قداسة القرآن و شأنه لوقف على العجاب مع انهم لا يدينون برسالة الاسلام مع أنهم يعتبرونه أول كتاب دينى اجتماعى يدعو إلى الخير و السعادة البشرية و ان قوانينه تتمشى مع جميع الظروف فى مختلف الاصقاع و لمختلف طبقات البشر ...

و من أجل ما ذكرناه نقول: ان قلم الباحث مهما أوتى من حول و طول فإن كل جهة يتناولها الكاتب مما يتعلق بقداسة القرآن يصلح ان يدوّن مؤلفا مستقلا و هكذا .. و مع هذا فإن الاستاذ الاشيقر اعرب عن سعة اطلاع و دقة بحث و حسن تعبير و قوة اسلوب، و كتابه على صغر حجمه كثير الفوائد مما لا يستغنى عنه الباحث، و قد سدّ فراغا فى المكتبة العربية الاسلامية كانت المكتبة بحاجة إليه.

و انى شخصيا اعتبر كل نتاج علمى يخرج إلى ميدان الوجود هو ثمرة غرس علمى توجيهى يؤول إلى النفع و الانتفاع «خير الناس من نفع الناس» و ان النتاج الفكرى مهما يكون اخراجه بمثابة النبتة المثمرة اليانعة فى حقل الحياة.

---

(۴) الإسراء: ۸۸.

(۵) الحجر: ۹.

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۳۴

سائلين من المولى تعالى أن يأخذ بيد الجميع للاستمرار فى العمل بقدر ما يحسنه القلم و ان كانت تعتبر تجربة أولى- على حد تعبير الاستاذ الاشيقر- فلعلها تحفز للوثوب إلى الخطوة الثانية و الثالثة فإننا على قارعة الطريق و نحن بحاجة إلى التوجيه و اللّه تعالى ولى التوفيق.

محمد على الموسوى الحمامى ۱۳۸۸ ه

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۳۵

كلمة فى تقريض هذا الكتاب «۱»

القرآن المجيد كتاب اللّه العظيم و معجزة الرسول الكبرى و دستور الاسلام الذى حوى جميع التعاليم المقدسة و القيم الرفيعة التى تأخذ بأيدى الانسانية نحو مدارج العلى و السؤدد و تفتح أمام البشرية أبواب السعادة و تنير الدرب. درب الخير و الصلاح للتائهين فى صحارى التيه و العمى.

و لذلك لم يك غريبا ان يتصدى الدارسون و الباحثون للكتابة عن القرآن من جميع الجوانب منذ نزوله و إلى عصرنا الحاضر و ذلك لاهميته القصوى فى بناء المجتمع الانسانى الفاضل و ارساء القواعد الحضارية و محاربة الرذيلة و الفساد و رفع لواء الحق و العدل عاليا ..

و من المؤلفين الافاضل الذين تصدوا لدراسة القرآن و الإلمام بتاريخه السيد الجليل المحامى محمد على الاشيقر فقد عرف منذ نعومة اظفاره باتجاهه الدينى و شغفه البالغ بتلاوة القرآن و حفظه عن ظهر قلب

---

(۱) نشرت هذه الكلمة فى مجلة «الثقافة» الأسبوعية الدمشقية فى العدد ۳ الصادر بتاريخ ۱۸/ ۱/ ۱۹۷۵ ..

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۳۶

و الكشف عن معانيه العميقة و مدلولاتها حتى بات من الذين يشار اليهم بالبنان فى هذه الناحية ناحية التعريف بالقرآن المجيد، و كان الحلم الذى يراود مخيلته دوما و هو التفرغ للكتابة عن القرآن المجيد و اخراج كتاب قيم بهذا الصدد، حتى استطاع بكفاحه و جلده و صبره ان يخرج كتابه الرائع «لمحات من تاريخ القرآن» و تظهر اهميته العلمية و قيمته الأدبية من المواضيع التى تناولها المؤلف الفاضل بالدرس و الاستقصاء و هى «التعريف بالقرآن و اسماء القرآن و صفاته و اضواء على المجتمع العربى فى عصر النبوة و نزول القرآن و الجمع الأول للقرآن و الجمع الثانى للقرآن و الجمع الثالث للقرآن و ضبط القرآن و القرآن المكى و القرآن المدنى و الناسخ و المنسوخ و المحكم و المتشابه من الآيات و تفسير القرآن و اعجاز القرآن و العناية بالقرآن و القرآن فى نظر غير المسلمين و حروف القرآن و الحروف المتقطعة فى أوائل السور و خلق القرآن و قدمه ..... فالخاتمة».

من كل هذا يتضح على ان الكتاب قد سدّ فراغا فى المكتبة العربية كما له من أهمية كبرى فى عالم الفكر و العلم ..

أما اسلوب المؤلف فهو يمتاز برصانة الألفاظ و وضوح المعانى و رشاقة التعابير مما جعله يستأثر باهتمام القارئ و يستلفت انظاره ..

و نحن لم نكتب هذا التقريض اعتباطا فان طبعته الأولى تكاد تنفذ بأسرع وقت مما يعطى دليلا ساطعا على قيمة الكتاب العلمية، و لذا يضطر المؤلف الجليل ان يعاود طبعه للمرة الثانية و ذلك خدمة للمواطنين و دعما للدين الاسلامى الحنيف و تثمينا للقرآن الكريم الذى سيبقى هدى للضالين و منهلا عذبا لطلاب المعرفة و قانونا خالدا ينظم العلاقات بين الانسان و أخيه الانسان ..

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۳۷

و أخيرا فأنا اقدم خالص تهنئتى للمؤلف الفاضل على ما بذله من جهد صادق و ما ناله من توفيق كبير و ما احرزه من نجاح مطرد فى اخراج هذا السفر النفيس من ناحيتى الشكل و المضمون و ان اللّه لا يضيع أجر من أحسن عملا ...

كربلاء سلمان هادى الطعمة عضو رابطة الأدب الحديث فى القاهرة

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۳۸

تعليق على المؤلف و المؤلف «۱»

اولعت بالدراسات القرآنية منذ أن اصطفيت الكتاب فى حياتى فرحت اصطاد كل بحث أو دراسة فى هذا المجال الروحى الخصب، هذا اضافة إلى الابحاث الأدبية الرصينة و الدراسات التاريخية الأصيلة التى لا غنى للمثقف عنها ..

و منذ البدايات الأولى لعلاقاتى الودية مع الصديق الأديب الاستاذ السيد محمد على الأشيقر التى اربت على العقدين من السنين علمت بانه يشاركنى رغباتى فى تعشق الكتاب و اصطفائه من بين الناس حتى هام فى حب الكتب و التعشق لها حد الجنون (لأن العشق ضرب من الجنون) ..

و الكتب داء و بيل على اولئك الذين يبتلون بها و خاصة المتزوجين منهم، و زوجات المصابين بهذا المرض الفكرى المحبوب يعانين المتاعب و الآلام النفسية أكثر من غيرهن، حتى ان زوجة الفقيه الزهرى

---

(۱) لقد تفضل الأستاذ الأديب السيد حميد مجيد هدّو، مدير ثانوية الكرخ بكتابة هذا التعليق الطريف عن الكتاب و صاحبه، و نحن بدورنا نثبته على صفحات هذا الكتاب ليطلع القارئ الكريم على ما تضمنه من طرافة و حسن أدب ..

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۳۹

العالم و الأديب كانت تقول لزوجها: «ان كتبك هذه أشد علىّ من عشر ضرائر» و يروى انه بعد وفاته احرقت كتبه و ذرت رمادها فى

الهواء أو يقال سكبت الماء على رمادها و قالت: اريد أن اؤذيه و انتقم منه و هو راقد فى قبره كما كان يؤذينى بهذه الكتب خلال حياته ..

هذه حادثة واحدة من حوادث عديدة يرويها لنا التاريخ من مشاكل الكتب و الزواج و اننى اسوق عبارتى هذه للمتزوجين من الأدباء تسلية لزوجاتهم اللاتى ابتلين بهذا البلاء الذى لا ينفك عن أزواجهم و عنهن حتى القبر ..

و الحاج- الاشيقر- هو ممن جنّ جنونه فى شراء الكتب و بذل الأموال الطائلة فى سبيلها حتى ان أحد المكتبيين الظرفاء فى بغداد و على ما اذكر (الأخ حسين الفلفلى) الذى يتعامل بيع الكتب القديمة و المستعملة قال لى مرة: هل تعرف الحاج محمد على الاشيقر قلت له بلى، قال اين هو الآن ..؟ قلت له فى كربلاء قال: لم يراجعنى منذ أكثر من شهرين، قلت له ما ذا تريد منه، قال كلما مرّ من امامى أو من هذا السوق فلا بد و ان يشترى كمية من الكتب، قلت له: انه تزوج و لا حاجة له فى الكتب الآن، فصفق على يديه (اى الفلفلى) و قال:

خسرت زبونا سخيا كريما فى الشراء ..

و شاء الحظ ان اكون أحد مجانين شراء الكتب و جمعها و انتقائها و الحمد للّه مقتديا بقول المتنبى:

اعز مكان فى الدنا سرج سابحو خير جليس فى الزمان كتاب أو قول احمد شوقى:

انا من بدّل بالكتب الصحابالم أجد لى وافيا إلا الكتابا أو قول الامام على- ع-.

«الكتب بساتين العلماء من تسلى بالكتاب لم تفته السلوى».

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۴۰

و اننى لا أريد ان اكرر كلامى آنف الذكر و اتطرق إلى المشاكل العديدة التى حدثت مع أهل بيتى من جراء جمع الكتب لأنها طبيعية و تحدث مع كل هاو لهذا الشيء إلا انه من اطرفها هو اننى كنت جالسا اطالع فى مكتبتى عصر أحد الأيام و إذا بى أفاجئ بامرأة تدخل علىّ فى المكتبة و تطلب منى ان آخذ لها فألا فقلت لها: معاذ اللّه اننى لست فوّالا أو قارئ كف أو منجم، فقالت: و ما ذا تصنع بهذه الكتب المصفّفة على الرفوف إذا لم تعرف ان تأخذ بها فألا، فقلت لها: هذه ليست كتب «الفوالين» فقالت: انك جاهل و لا تعرف القراءة و الكتابة ان الذى يجمع الكتب الكثيرة هو إما فوّال أو منجم أو حكيم ..

هذه قصة من عدة قصص و وقائع طريفة حدثت لى من جراء جمع الكتب و اقتنائها لا مجال لتعدادها و لكننى سوف اخرجها فى كراس مستقل فى المستقبل ان شاء اللّه ..

و على اى حال اننى انصح هواة جمع الكتب و رجال الأدب ان يختاروا أحد الطريقين:

إما ترك الكتاب و عندها يجوز له الاقتران ببنت الحلال و الدخول فى القفص المغرى و الحكم على نفسه بالسجن المؤبد الذى لا مفر منه ..

أو الاقتران بالكتاب و الابتعاد عن الزواج لأن الجمع بين الزواج و الكتب غير صحيح و غير طبيعى، فعليه اختيار أحد الطريقين اقتداء بالأديب الراحل المرحوم عباس محمود العقاد عند ما سئل مرة: لما ذا لم تتزوج ..؟ فأجاب على الفور: أ لم يكفى التزوج بسبعين ألف كتاب، مشيرا بذلك إلى خزانة كتبه الخاصة ..

و لا أريد أن اتوسع فى بحث هذا الموضوع الطريف المتشعب المسالك لأننى اخشى من اثارة بنات حواء علىّ أو ان أكون سببا فى احداث المشاكل بين المتزوجين من الأدباء لا سمح اللّه ..

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۴۱

نعود إلى موضوعنا الأول و العود أحمد و هو موضوع الكتاب البكر الذى دبجته يراع الاستاذ الاشيقر و الموسوم ب «لمحات من تاريخ القرآن» حيث غمرنى السيد الاشيقر بالطافه و اهدى إلىّ نتاجه القيم فطالعته من الفه إلى يائه فوجدته جامعا شاملا لكل ما يتعلق

بكتاب اللّه العظيم فهو يغنى القارئ المبتدئ عناء المتاعب و البحث فى المظان و المراجع المطوّلة التى تبحث فى القرآن الكريم ..

و لعل البعض يقول ان القدامى و المحدثين و المعاصرين قد اشبعوا هذا الموضوع بحثا و تمحيصا و درسا و لم يتركوا مزيدا لمستزيد و ان كل ما فعله السيد- الاشيقر- ما هو إلا اجترار و تكرار لما جاء به السابقون، و لكنى اقول: ان المؤلف ضغط تلك المواد فى قالب يلائم الوقت و قراء الوقت- حفظهم اللّه- الذين لا يقرءون إلا الخفيف القليل و الحمد للّه، و هذا ما يبشر بسطحية الثقافة التى اضحت سمة من سمات الجيل المعاصر ..

و لو رجع القارئ الكريم إلى قائمة المراجع التى اعتمد عليها المؤلف فى بحثه آنف الذكر لعلم عظم الطاقة و جسامة الاتعاب التى بذلها فى سبيل مؤلفه، و قد قال الشاعر:

لا يعرف الوجد إلا من يكابده‌و لا الصبابة إلا من يعانيها و اننى فى الواقع اكبر هذه البادرة الطيبة من لون الصديق المؤمن الذى اختار الأدب طريقا له فى هذه الحياة الزائلة و الفكر السليم سراجا منيرا يهتدى به، آملا منه ان لا ينفك عن هذا السبيل الواضح و المنهج الرشيد و ان يتحف القراء و المكتبة الاسلامية بمؤلفات نافعة و ابحاث دسمة اخرى.

كما و نحن بانتظار مؤلفه القادم الذى اشار اليه فى نهاية كتابه- اضواء على شبه القارة الهندية- المتضمن انطباعاته عن شبه القارة من

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۴۲

خلال اسفاره المتعددة لتلك الاصقاع البعيدة و لا غرابة فى ذلك لأنه ولع السفر و الترحال كولعه باقتناء الكتب فهو- سندباد برى- ان جاز لى ان اضفى عليه هذه التسمية ..

و اللّه نسأل ان يأخذ بيده نحو خدمة امته و دينه و احياء تراث السلف الصالح و دفع عجلة الفكر و الأدب نحو الامام انه سميع الدعاء ...

كربلاء حميد مجيد هدّو

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۴۳

التعريف بالقرآن

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۴۵

«القرآن هو كلام اللّه المعجز المنزل وحيا على قلب الرسول الأمين (ص) بالفاظه العربية و معانيه الحقة ليكون معجزة له و دستورا له و لامته و هو الموجود ما بين الدفتين المنقول عنه بالتواتر جملة و تفصيلا و المتعبد بتلاوته المبتدأ بسورة الفاتحة و المختتم بسورة الناس و هو خاتم الكتب السماوية» «۱».

و من عبر هذا التعريف الموجز للقرآن «۲» يمكننا تلمس امور كثيرة فيه سنشير اليها فى ادناه و بالتتابع ان شاء اللّه ..

۱- فالقرآن أولا- هو كلام اللّه تعالى و قوله و لا صنعة فيه لمحمد (ص) و لا لأحد من الخلق بتاتا و إذا ما كان القرآن كلامه تعالى لزوم على الناس كافة اذن العمل به و الانصياع له و السير أبدا و دوما على هداه و سبيله، و هذا العمل و السير يلزم ان يمتد إلى كافة و سائر سوره بما تضم من تفصيلات و فروع، حيث لا يستحسن للمرء هنا العمل و الانصياع

---

(۱) الوجيز فى أصول الفقه و تاريخ التشريع- حسين على الأعظمى، مباحث فى علوم القرآن- الدكتور صبحى الصالح، النبأ العظيم- الدكتور محمد عبد اللّه دراز، أصول الفقه- الشيخ محمد الخضرى، التشريع الجنائى الإسلامى- عبد القادر عودة ..

(۲) ذهب البعض إلى تعذر تحديد القرآن بالتعاريف المنطقية ذات الأجناس و الفصول و الخواص بحيث يكون تعريفه حدا حقيقيا و ان التعريف أعلاه ما هو إلا تقريب للمعنى و تميزه عن غيره (مباحث فى علوم القرآن- مناع القطان) ..

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۴۶

لشيء منها دون الآخر أو ان يؤمن ببعضها دون البعض ..

و هذا الكلام يقودنا للقول بان الفقه الاسلامى بشقيه الاثنين العبادات و المعاملات و ما يتفرع منهما من احكام و فرائض و عقوبات و قوانين .... الخ ان كل هذه ينبغى ان تؤخذ من كتاب اللّه و يلتمس احكامها فيه لأنه لا حكم إلا للّه ..

و لا يفهم من هذا الحديث بانه ليس هناك غير القرآن من مصدر آخر للفقه الاسلامى يمكن ان يغترف منه أو يستنجد به عند عدم العثور فى القرآن على حكم لمسألة أو جواب لتساؤل أو غير ذلك .. بل هناك مصادر أخرى بعد القرآن الكريم مثل السنة النبوية «۳» و الاجماع «۴» متفق عليهما بين المسلمين كافة يمكن الرجوع اليهما و العمل بهما، كما و هناك مصادر أخرى و لكنها دون الأولى حجية و رتبة نجد من يلتزم بها و من لا يلتزم بها و هى:

العقل «۵»، القياس «۶»، المصالح المرسلة «۷»، الاستحسان «۸»، العرف «۹»، الاستصحاب «۱۰»، شرع من قبلنا «۱۱»، و مذهب

---

(۳) سيرد تعريف السنة و الحديث و ما إذا كان هناك فرق بينهما بعد قليل ..

(۴) الإجماع هو اجتماع علماء العصر فى وقت معين على حكم شرعى قولا أو فعلا (و بعد قول المعصوم) ..

(۵) العقل: هو قدرة أو قوة يميز بها المرء الحق عن الباطل ..

(۶) القياس: هو الحاق ما لم يرد به نص بما ورد فيه نص لتشابه العلة ..

(۷) المصالح المرسلة: هى المحافظة على مقصود الشارع من جلب المنافع للناس و درء المفاسد عنهم من دون أن تستند على نص شرعى ..

(۸) الاستحسان: هو عدول المجتهد من أن يحكم فى المسألة بمثل ما حكم فى نظائرها لوجه أقوى يقتضى العدول عن الأول ..

(۹) العرف: هو ما تعارفه الناس و ساروا عليه من فعل أو قول ..

(۱۰) الاستصحاب: هو بقاء الحكم مستمرا ما لم يوجد ما يغيّره، أو الحكم ببقاء أمر محقق لم يتحقق عدمه ..

(۱۱) شرع من قبلنا: هى أحكام الشرائع التى سبقت الإسلام من دون أن يؤكّدها الإسلام أو ينسخها.

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۴۷

الصحابى «۱۲» ... و طبيعى ان بعض أو غالبية هذه المصادر ما وضعت أو ما وجدت إلا لكشف الغطاء و انارة الطريق الموصل إلى تلمس حكم اللّه تعالى الصحيح و مراده الحقيقى فيما تعرض من قضايا أو مسائل ..

۲- و القرآن ثانيا هو دستور دائم و قانون أزلى و نظام كامل يتناسب و يتجاوب مع دوام الدعوة الاسلامية و استمرارها إلى آخر يوم فى التاريخ، لأن اللّه سبحانه حين انزله على الرسول (ص) و قام الرسول بدوره بتبليغه إلى الناس كافة لم يقصّره على مجرد كتاب خاص يحدد أو يشير إلى بعض الأحكام دون البعض أو يتولى تنظيم جانب من الحياة تاركا الجوانب الأخرى فى غمرة الفوضى و الاضطراب، أو خطاب لجيل واحد من الناس دون الأجيال التالية، كما «و لم يجيء القرآن ليكون متاع عقلى و لا كتاب أدب و فن و لا كتاب قصة و تاريخ- و ان كان هذا كله من محتوياته- و انما جاء ليكون منهاج حياة» «۱۳» و ليغدو الدستور الخالد للبشرية كلها منذ اشراقة انوار الاسلام على بطاح الأرض حتى نهاية البشرية و ختام الحياة على هذا الكوكب، لكونه- القرآن- فخر الماضى و سلوى الحاضر و أمل المستقبل، و قد اودع سبحانه فيه كافة الأنظمة و القوانين و التشريعات و المبادئ التى تكفل للانسان اينما كان مكانه و سكنه على الأرض المزيد من التقدم و تمهد له الأسباب الموصلة إلى الحرية و الوحدة و الإزدهار، بل لا نعدو الحقيقة و لا نخالف الواقع إذا ما قلنا هنا «لو ان القرآن الكريم قد نزل فى هذا العصر لما تغيّرت نظرته إلى الكون و لا وصاياه و لا ارشاداته إلى سكانه» «۱۴».

(۱۲) مذهب الصحابى: هى فتاوى صحابة رسول اللّه (ص) بعد وفاته و الذين عرفوا بالفقه و فهم القرآن و أحكامه ..

(۱۳) معالم فى الطريق- سيد قطب.

(۱۴) نظرات فى القرآن- محمد الغزالى.

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۴۸

و لو «ان الرسول (ص) جاء للإنسانية فى امسها القريب أو يومها الحاضر أو لو أن عشرات الأنبياء انطلقوا من بعده بين المدائن و القرى مبشرين و منذرين ما عدوا حدود القرآن فى هديهم و لا تجاوزوا حلوله السمحة فى المشاكل التى تعترضهم» «۱۵».

و من هذا المنطلق يمكن تمييز القرآن المجيد عن الدساتير و القوانين الوضعية، فهذه الدساتير و القوانين رغم نظرتها الضيقة للحياة و ضيق محيط عملها و انها من صنع و وضع نفس الانسان و حصيلة فكره القاصر، رغم هذه و تلك فهى مادية و نفعية فى روحها و جوهرها بعيدة عن الفضيلة و عن الأخلاق فى كثير من بنودها و احكامها تشوبها المثالب و المآخذ من كل جانب و مكان فضلا عن عدم مسايرتها لركب المجتمع و قافلة التاريخ إلا لفترة جد قصيرة و محدودة تتعرض خلالها و على الدوام للتنقيح و الاضافة و الحذف ثم لا تلبث اثر ذلك ان تسقط تحت ثقل اوزارها، و بعد ذلك يتداعى الانسان القاصر ليملأ الفراغ الذى حصل عن فشلها و سقوطها فيسعى من أجل أن يقيم على انقاضها دساتير و قوانين لتنظيم مسيرة الحياة لفترة محدودة أخرى و على غرار الأولى، مما سيؤدى بالثانية دون شك للوصول إلى النتيجة التى آلت إليها الأولى من قبل و الدرك الذى هوت فيه غير مأسوف عليها ..

و إذا ما أراد المرء لهذه الدساتير الثبات و البقاء فضلا عن مواكبتها لروح العصر و حاجات الانسانية المتطورة فما عليه إلا ان يفرض على مشرعيها طوعا أو كرها اعادة النظر فيها فورا من أجل سحق و محق كل شىء جاء فيها يتعارض مع روح القرآن الكريم أو يخالف أحد اصوله أو فروعه حتى و لو تطلب الحال التضحية بها جميعا، مع الأخذ بنظر الاعتبار استبعاد فكرة التطعيم و الترقيع جملة و تفصيلا كأن يؤخذ شيئا من أحكام اللّه تعالى لتضاف أو تضم إلى هذه القوانين و الدساتير «لأن

(۱۵) تأملات فى الدين و الحياة- محمد الغزالى.

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۴۹

احكام الشريعة لا- تتجزأ و لا- تقبل الانفصال ليس فقط لما ذكرناه آنفا و انما لأن نصوص الشريعة نفسها تمنع من العمل ببعضها و اهمال البعض الآخر، كما تمنع من الايمان ببعضها و الكفر ببعض و توجب العمل بكل احكامها و الايمان بكل ما جاءت به» «۱۶» و على أن يتم بعد ذلك نقل احكام اللّه و شريعته من كتابه الكريم و نقل سيرة رسوله الكريم (ص) و أهل البيت- ع- و اصحابه الأخيار بعد صياغتها فى شكل و قالب خاص بما يلائم روح العصر، أجل نقل كل ذلك إلى مكانه الخاص المقرر لتصبح هذه الشريعة و السنة الدستور الخالد للأمة و القانون الذى يفزع إليه و النظام الذى يوجّه حركتها و يجدد طريق سيرها و نهضتها، مع التأكيد مرة أخرى بضرورة تعويض و نسف كل ترقيع أو تطعيم مقصودا كان أو غير مقصود، و ذلك لأن الشريعة الاسلامية يرتبط أولها بآخرها و صغيرها بكبيرها فهى إما أن تؤخذ كلها أو لا تؤخذ «فنظام اللّه خير فى ذاته لأنه من شرع اللّه و لن يكون شرع العبيد يوما كشرع اللّه» «۱۷».

و الحقيقة اننا حين نكتب كل هذا أو عند ما نؤكد و نردد كل الذى سطرناه لم نجرى وراء العاطفة أو نتعصب تعصبا أعمى لما نؤمن به و نعتقده، كما و لم نتأثر أو نسترشد بقول القائل:

و لست براء عيب ذى الود كلهو لو بعض ما فيه إذا كنت راضيا

و عين الرضا عن كل عيب كليلةكما ان عين السخط تبدى المساويا

كلانا غنى عن أخيه حياتهو نحن إذا متنا أشد تغانيا أو قول من يقول:

يا عمرو أنت امامناو خليفة النفر الأوائل أجل لم نستهدى أو نستنير بكل هذا كما قد يتصور البعض من

---

(۱۶) التشريع الجنائى الإسلامى- عبد القادر عودة.

(۱۷) معالم فى الطريق- سيد قطب.

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۵۰

المغفلين، و انما الذى قلناه هو الحق الذى لا ينازع و الحقيقة التى لا يمكن تجاهلها أو طمسها بتاتا، و قد أقرّ هذا و اثبته التاريخ و أكّدته الوقائع و الأحداث الماضية بما لا يقبل الشك أو النقاش ..

۳- و القرآن ثالثا هو عربى نزل بالفاظه العربية و معانيه الحقة من دون أن يتلوّن منها شىء أو يتغير، بل نجده مسطورا بين دفتى المصحف على الهيئة و الشكل الذى نزل على الرسول (ص) من قبل عن طريق الوحى الأمين، حيث أن كل نبى جاء إلى قومه بلسانهم، لذا جاء القرآن بلغة الضاد التى هى لغة الأمة العربية و قد آثر اللّه تعالى أن يكون خاتم رسله من بين صفوفها ..

لذا فيمكننا هنا تمييز القرآن المجيد عما ورد عن الرسول (ص) من مواعظ و ادعية و من خطب و سنن و أحاديث و التى تدعى بالأحاديث القدسية و السنة النبوية على التوالى «۱۸».

---

(۱۸) نحيط القارئ الكريم بأن هناك فروقا بسيطة بين كلمة الحديث و كلمة السنة رغم سعى الكثيرين للتوحيد ما بينهما و اعتبارهما شيئا واحدا ..

فالحديث: هو ما حدث به عن النبى (ص).

أما السنة: فهى (بقطع النظر عن كون هذا التحديث موجودا أو غير موجود) هى العادة الدينية أو القانونية التى كانت جارية فعلا عند المسلمين فى عصر النبوة، فقد تكون السنة كالحديث قولا كما و قد تكون فعلا و قد تكون تقريرا ..

لذا فكل حديث هو سنة و ليس كل سنة حديثا أما الأحاديث القدسية و عددها أكثر من مائة فإن تعريفها هى: المواعظ التى كان الرسول (ص) يلقيها أحيانا على أصحابه و يحكيها عن اللّه تعالى و مثال ذلك ما يروى عن النبى (ص) فيما يرويه عن اللّه تعالى: «يا عبادى انى حرّمت الظلم على نفسى و جعلته بينكم محرما فلا- تظالموا، يا عبادى كلكم ضال إلا من هديته فاستهدونى اهدكم، يا عبادى كلكم جائع إلا- من أطعمته فاستطعمونى اطعمكم، يا عبادى كلكم عار إلا من كسوته فاستكسونى اكسكم، يا عبادى لو أن أولكم و آخركم و انسكم و جنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد ما نقص ذلك من ملكى شيئا، يا عبادى لو أن أولكم و آخركم

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۵۱

فهذه الأحاديث القدسية، و هذه السنن النبوية و ان كان مصدرها و معناها و منشؤها و فكرتها و حيا من عند اللّه تعالى لأن الرسول (ص) لا ينطق عن الهوى، إلا ان صياغتها الحرفية و تعابيرها و قالبها و لفظها قد تم على يد الرسول و لسانه «۱۹» ..

و قد تميّز الحديث القدسى عن الحديث النبوى بهذه التسمية فنسب إلى القدس انشاء لأن الرسول الكريم يحكيه عن اللّه تعالى ..

۴- و القرآن رابعا هو متواتر لأنه جاء عن طريق التواتر جملة و تفصيلا فليست فيه آية واحدة و لا حرفا و لا نقطة قد اختلف فى شأنها اثنان من المسلمين منذ صدور الاسلام حتى هذه اللحظة من عمر الزمن، بل ان كل القرآن من أوله إلى آخره (و هو الموجود ما بين الدفتين) هو نفسه الذى هبط على الرسول (ص) «من دون زيادة أو نقصان و دون أى تغيير أو تحريف» «۲۰» فيها «و قد ظلت آياته منيرة لأجل احتفاظها بكل خصائصها و بقائها بنصها دون تغيير» «۲۱» منذ نزولها حتى هذا الوقت و ستظل كذلك حتى نهاية الكون و زوال الحياة عن سطح الأرض، حيث تتغيّر الكتب و الدراسات بمرور الزمن و تنقح بمضى الأيام و تحرّف بتلاحق

و انسكم و جنكم قاموا على صعيد فسألونى فاعطيت كل انسان مسألته ما نقص ذلك مما عندى إلا كما ينقص البحر إذا دخل فيه المخيط» ..

و منها أيضا «عش ما شئت فإنك ميت، و أحب من أحببت فإنك مفارقه و امتلك ما امتلكت فإنه للخراب، و اعمل ما عملت فإن عملك مصاحبك ..» و منها «انا عند ظن عبدى بى، و أنا معه إذا ذكرنى، فإن ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى و ان ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ خير منه».

(۱۹) مباحث فى علوم القرآن- الدكتور صبحى الصالح، مباحث فى علوم القرآن- مناع القطان.

(۲۰) تفسير التبيان- أبو جعفر الطوسى، آلاء الرحمن فى تفسير القرآن، محمد جواد البلاغى، مجمع البيان فى تفسير القرآن- الطبرسى، الإسلام على ضوء التشيع- الشيخ محمد حسن الخراسانى، مصائب النواصب- نور اللّه التسترى.

(۲۱) محاضرات فى تفسير القرآن- السيد اسماعيل الصدر.

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۵۲

الوقت، و يبقى القرآن ثابتا و صامدا و بعيدا عن الزيادة و النقصان و التحريف و التغيير بسبب انه نقل إلى هذا اليوم خلفا عن سلف و آخرا عن أول نقلا مستفيضا منتشرا متواترا» «۲۲» ..

و ان كل ما يسمع من الروايات الشاذة بأن هناك بعض التحريف فى القرآن أو ضياع بعضه فلا تقام لتلك الروايات و زنا و لا تؤخذ بنظر الاعتبار و لا يحسب لها أى حساب ..

فكل كلمة فى القرآن اذن موضوعة فى مكانها المطلوب و ليست فيه كلمة واحدة تغيّرت و لا أخرى تبدّلت و لو لأجل الفاصلة «۲۳» .. لأن رعاية الفواصل يتطلب اثبات للضرورة كما هو عليه الأمر فى السجع و الشعر حيث يقدم هذا و يؤخر ذاك لأجل السجع أو لأجل القافية، و القرآن ليس بشعر و لا التزام فيه للسجع «۲۴» فضلا عن نزوله من عند اللّه تعالى و الذى لا تعرض له الضرورة فهو- سبحانه- يضع كل شىء فى محله و مكانه ..

و التواتر معناه ان يتلقى الجمع الكبير من الناس و الذى لا يمكن تواطؤهم و اجتماعهم على الكذب لكثرتهم و تباين اماكنهم، يتلقى عن النبى (ص) ثم ينقله جمع آخر مثلهم عن هذا الجمع و هكذا حتى يصل الينا كما نطق به النبى من غير تحريف و لا تبديل و لا نقص و لا زيادة ..

لذا فيمكننا هنا من تمييز القرآن الكريم الذى جاء متواترا و آمن به الجميع عن بعض القراءات الشاذة و الضعيفة كقراءة عبد اللّه بن مسعود «و السارق فاقطعوا ايمانهما» و قراءة جابر بن عبد اللّه الانصارى «فان اللّه من بعد اكراههن لهن غفور رحيم» و قراءة امهات المؤمنين عائشة و حفصة «حافظوا على الصلوات و الصلاة الوسطى صلاة العصر» و قراءة

(۲۲) آلاء الرحمن فى تفسير القرآن- محمد جواد البلاغى.

(۲۳) سيرد شرح الفاصلة فى الفصل القادم.

(۲۴) سنشير فى الفصل القادم الى ما يقوله الفقهاء و المؤرخون بصدد وجود السجع فى القرآن من عدمه.

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۵۳

سعد «و له أخ أو أخت لأم فلكل واحد منهما السدس» و قراءة عبد اللّه بن مسعود «فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام متتابعات» .....

و غيرها ..

كما و يمكننا هنا أيضا تمييز القرآن المجيد عن الأحاديث و السنن النبوية التى لم تصل إلا عن طريق الارسال و الانقطاع و الآحاد و

الشهرة و ذلك من جهة الاسناد ..

فبصدد القراءات الشاذة أو الضعيفة كما مرّ فى الفاظ «ايمانهما، لهن، صلاة العصر، لأم، متتابعات» فإنها لا تعد قرآنا بتاتا، لذا لا تصح صلاة من يقرأها أو صلاة من يقتدى بإمام يتلوها فى صلاته.

اما بشأن الأحاديث المرسلة و المقطوعة و الآحاد و المشهورة «۲۵» فنرى ان قسما من المسلمين يضعفها و لا يعتد بها بالمرة، بينما نرى قسما آخر منهم يرجحها و يعمل بها، و علة هذا الأمر يعود إلى ان السنة النبوية قد تأخر تدوينها رسميا عن القرآن، حيث يروى ان الرسول (ص) و الخلفاء من بعده كانوا يمنعون من كتابة الحديث و كلما كانوا يعثرون على ورقة أو لوحة كتب فيها شيء من الحديث كانت تحرق «۲۶» و استمر هذا المنع لمدة تقرب من (۹۰) سنة و إلى عهد الخليفة الزاهد عمر بن

---

(۲۵) بصدد شرح طرق الأسناد هذه أقول:

الحديث المرسل هو الذى يذكره التابعى منسوبا إلى النبى (ص) من غير أن يذكر الصحابى الذى روى عنه، و سيرد تعريف التابعى فى فصل قادم هو تفسير القرآن.

أما الحديث المنقطع فهو ما لم يذكر فيه التابعى و لا الصحابى ..

و حديث الآحاد هو الذى ينقله و يرويه تابعى واحد عن صحابى واحد عن النبى (ص) ..

أما الأحاديث المشهورة فهى التى تكون الطبقة الأولى و الثانية منها آحادا ثم تنتشر بعد ذلك و ينقلها قوم لا يتوهم تواطؤهم على الكذب.

(۲۶) القرآن فى الإسلام- السيد محمد حسين الطباطبائى.

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۵۴

عبد العزيز «۲۷» ((رض) عند ما كتب الأخير إلى أبى بكر محمد بن عمر ابن حزام التابعى فى المدينة المنورة طالبا منه النظر إلى ما كان من حديث رسول اللّه أو سنة أو نحو هذا فليكتبه إليه (إلى عمرو) لأنه خاف دروس

---

(۲۷) نشأ الخليفة الزاهد عمر بن عبد العزيز فى المدينة و ترعرع فى كنف البيت الأموى الحاكم و امتاز منذ صباه بالترف و الأناقة و الزينة اضافة إلى العفة، حتى قال عنه الفقيه الليث بن سعد «كان عمر بن عبد العزيز اعظم أموى ترفا و تملكا» ..

و امه ام عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب و أبوه عبد العزيز بن مروان بن الحكم، و كان عمر أميرا للمدينة فى عهد ابن عمه الوليد، و لم يستشف من سيرته و سلوكه حينئذ انه سيكون يوما خليفة للمسلمين أو ذا شأن فى الخلافة الأموية ..

و لم يكن لسليمان بن عبد الملك عند وفاته إلا طفل صغير لم يجده مؤهلا لتسنم الخلافة بعده فتشاور مع بعض ذوى الحل و العقد فاشاروا إليه بابن عمه و زوج اخته عمر، فجعله و ريثا للخلافة ..

و عند توليه الخلافة- و التى قال عنها انها ما سألوها فى سر و لا علانية- تغيرت سيرته فى تلك الساعة فمارس الزهد و التقشف و الورع اسوة بالخلفاء الراشدين و عزل الولاة الجائرين كما رفع مظاهر الأبهة و العظمة التى مارسها الخلفاء الأمويين من قبله و اعاد الجوارى و الخدم إلى اهلهم و بلدانهم ورد المظالم و سمح للمسلمين بالمثول أمامه من دون حرج ورد أمواله إلى بيت المال و خيّر زوجته فاطمة بنت عبد الملك بين رد أموالها و حليها إلى بيت المال و البقاء معه و الالتحاق بأهلها مع أموالها فآثرت الإجراء الأول، و اسقط الجزية عمن أسلم من أهل الكتاب و له القولة المشهورة: «إن اللّه جل ثناؤه بعث محمدا هاديا و لم يبعثه جابيا» و رفع المكس و الغى الضرائب و حرم السخرة و اعاد الأراضى التى قطعت للبيت الأموى الى بيت المال و وضع المكافئات لمن يخبره أو يشير عليه بأمر فيه مصلحة للمسلمين، و منع شرب الخمر و ضرب الدفوف و كتب الى ملوك الهند و ما وراء النهر يدعوهم الى الاسلام و أعاد فدك

الى ولـد فاطمـة و رفع السب و الشـتم عن البيت العلوى و عن على بالذات- لما سـمع من أبيه بحقه من قوله: يا بنى إن الذين حولنا لو يعلمون من على ما نعلم تفرقوا عنا إلى أولاده.

و بقدر ما سعدت به الأمة الاسلامية حينئذ شقى به اقرباؤه الأمويون لأنه وقف

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۵۵

العلم و ذهاب العلماء و لكن عمرو ما لبث ان انتقل إلى دار الخلود قبل ان يتم هذا التدوين الرسمى للسنة «۲۸» ..

كما و قيل هنا أيضا ان عمر بن عبد العزيز قد كتب إلى غيره من علماء الآفاق بصدد النظر إلى أحاديث الرسول و جمعها ..

و هذا التأخير فى الكتابة سبب شكوكا مضاعفة بين الأحاديث الصحيحة و غيرها كما و التحق بها ما ليس منها، فاجتهد الأئمة و الفقهاء على غربلتها و نقـد طرقها و متونها و اختلفت لـذلك أنظارهم و آرائهم بين التصـحيح و التضـعيف و القبول و الرد، و هذا كله بعكس القرآن الـذى جـاء متواترا و بات فوق الشـبهات و فوق الشك و الريبـة، بالاضافـة إلى اسـتمرارها هـذا التواتر- للقرآن- بين المسـلمين «جيلا بعد جيل و عهدا بعد عهد ترى له فى كل زمان مئات الملايين من المصاحف و مئات الملايين من الحفاظ و لا تزال المصاحف ينسـخ بعضـها على بعض و المسـلمون يقرأ بعضـهم على بعض و يسـمع بعضـهم من بعض حيث تكون ملايين المصاحف رقيبـة على الحفاظ و ملايين الحفاظ رقباء على المصاحف و تكون الملايين من كلا الجانبين رقيبة على المتجدد منهما» «۲۹» ..

حائلا بينهم و بين أموال و دماء المسلمين.

توفى- رحمه اللّه- عام ۱۰۱ للهجرة و دفن فى دير سمعان بالشام و كان عمره عند الوفاة ۳۹ سنة بينما كانت مدة خلافته ۵، ۲ سنة أى ۳۰ شهرا ..

و قد رثاه الشريف الرضى بقوله:

يا ابن عبد العزيز لو بكت العينفتى من أمية لبكيتك

انت نزهتنا من السب و الشتمفلو أمكن الجزاء جزيتك

و عجيب انى قليت بنى مروانطرا و اننى ما قليتك

دير سمعان لا عدتك الغوادىخير ميت من آل مروان ميتك

(۲۸) علوم الحديث و مصطلحه- الدكتور صبحى الصالح.

(۲۹) آلاء الرحمن فى تفسير القرآن- محمد جواد البلاغى.

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۵۶

اضافـة إلى ان القرآن «قـد كتب و حفـظ فى صـدور جمع كبير من الصـحابة لا يمكن تواطؤهم على الكـذب و نقله من هـذه الجموع جموع أخرى فلم يختلفوا فى حرف أو لفظ على تعدد البلاد و تباعد الأقطار و اختلاف الأجناس» «۳۰» ..

فهل هناك تواتر لكتاب أو لشىء آخر فى التاريخ كهذا التواتر الذى نجده ساطعا و جليا فى القرآن الكريم ..

۵- و القرآن خامسـا هو معجز لأـنه مـا جـاء إلاـ معجزة لثبوت صـحة دعوة و نبوة الرسول (ص) و انه (ص) رسول من عنـد اللّه تعـالى يوحى إليه هـذا القرآن، ذلك لأن فى طاقـة و مكنـة كل فرد ان يـدعى النبوة أو الرسالـة «۳۱» كمـا جرى فعلا بعـد وفاة الرسول (ص) مباشـرة أو فى العصور المختلفـة، و لكن ليس فى قدرة و سـلطان أى منهم أن يثبت هذه الدعوة أو يدعم هذه الرسالة بشـىء أو بدليل يعجز أو لا يسـتطيع الآخرون من الاتيان بمثله أو نظيره أو ابطاله هـذا إلا فى حالـة واحـدة فقط و هو إذا ما كان المـدعى مـدعما بسـند الهى و تأييـد ربـانى، لأـن فى طاقـة اللّه سـبحانه وحـده أن يمطر الأـرض بـانواع المعجزات و الـدلائل التى لا يملك الانسان ازائها إلا الانحناء و الخضوع و الاستسلام طوعا أو كرها ...

لـذا فقـد جـاء القرآن الكريم ليـدعم موقف الرسول (ص) و يعزز مكـانته و نبوته عن طريق فتـح أبواب التحـدى على مصاريعها بوجه الناس كافـة مناشـدهم الاتيان بمثل هذا القرآن أو بسورة مثله فقط على الأقل و لو من قصار السّور إذا لم يمكنهم من الإتيان بمثل هذا القرآن ..

و رغم ان أبواب التحدى كانت و لا تزال مفتوحة على مصاريعها أمام الجميع إلا اننا لم نسمع منذ منطلق الدعوة الاسلامية حتى هذه

---

(۳۰) التشريع الجنائى الإسلامى- عبد القادر عودة.

(۳۱) فى التفريق بين النبوة و الرسالة يراجع فصل «القرآن فى طريقه إلى الأرض».

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۵۷

اللحظـة من عمر الزمن، و لم نسـمع أو نرى من قريب أو بعيد من تقدم خطوة جدية واحدة باتجاه هذا الباب أو مجرد التفكير المحض فى الاقتراب منه على الرغم من انتشار و سيطرة ملكة الخطابة و البيان و اللغة على نفوس أبناء المجتمع العربى قديما و حديثا ..

هـذا و إذا ما كان هناك من ادعى النبوة بعد وفاة الرسول (ص) أو فى العصور اللاحقة الأخرى فان معجزاتهم التى ارادوا ان يظاهر بها القرآن الكريم- ان وجدت- كانت لو تتعدى ان تخرج عن هذيان محموم و أقوال مضطربة و كلمات جافة و جمل هزيلة لا تقف على قـدميها و لا تصل و لا ترقى حتى إلى مسـتوى أوطأ الناس ثقافـة و علما و فهما، كما سـنرى مصـداقه- أيها القارئ العزيز- فى فصل لا حق يحمل اسم- اعجاز القرآن ..

و من كل ما تقـدم نخلص إلى القول بان معجزة القرآن كانت معجزة قاطعـة و باتـة و باقيـة على مر الدهر تدل على صدق من جاء بها من عند اللّه تعالى و وضعها فى ميدان التحدى و المبارزة.

و هـذا الكلام بـدوره يقودنا لاثبات و دلالـة ان القرآن المعجز هو البرهان القاطع على صـحة النبوة، اما صـحة النبوة فليست برهانا على اعجاز القرآن، اضافة إلى ان قليل القرآن و كثيره يستوى فى الاعجاز و على النحو الذى تقدم.

۶- و القرآن سادسا متعبـد بتلاوته لأنه كلام اللّه تعالى و نـداءه الصادق إلى الناس كافة، و ليس كلام اللّه بمشابه أو مناظر لكلام أحد من الناس، و قـد دعا- سـبحانه- فى مواضع كثيرة من كتابه إلى حفظه و تلاوته و قراءته «۳۲» بامعان و تؤدة ليكون فى المستطاع تدبر آياته و تأملها و الايقاظ

---

(۳۲) لقـد ورد فى الخبر «إن البيت الـذى يقرأ فيه القرآن و يـذكر اللّه تعـالى فيه تكثر بركته و تحضـره الملائكـة و تهجره الشـياطين و يضـىء لأهل السماء كما تضىء الكواكب لأهل الأرض» كما و جاء فى خبر آخر «داووا مرضاكم بالصدقة و استشفوا بالقرآن فمن لم يشفه القرآن فلا شفاء له» ..

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۵۸

بمـا جـاء فيه من حوادث الأيـام الخاليـة و قصـص الأنبيـاء و المرسـلين فضـلا عن العمل باحكامه و الاتصاف بمحاسن آدابه و الاعتبار بحكمه و امثاله و الوقوف على علومه و معارفه.

و طبيعى أن تنفيـذ كل هـذه الإرشادات و تطبيقها بصورة كاملـة سـيؤدى بالمرء إلى جلاء فكره و اسـتقرار سـريرته و نيله لرضاء اللّه و بركاته فى الحياة الدنيا و الآخرة.

لـذا كـانت تلاـوة كتـاب اللّه عبـادة و طاعـة و حسـنة تسـجل للفرد فى ميزان الصالحـات، كما أن آيات الكتاب ملأت كل الفرائض و العبادات، و أن غالبيه هذه الفرائض- و لا سيما الصلاة- لا تقبل و لا يقام لها وزن إن هى خلت من الآيات القرآنية الكريمة.

۷- و القرآن سابعـا هو خـاتم الكتب السـماوية لأـنه لما لم يكن بعـد الرسول محمـد (ص) من رسول و لا نبى، لـذا فليس بعـد القرآن

الحكيم من كتاب أو بيان «۳۳» أو أقدس أو قرآن آخر ..

---

(۳۳) البيان هو كتاب الطائفة التى كانت تسمى بالبابية و التى انقلبت (الطائفة) فيما بعد إلى الطريقة أو العقيدة البهائية، و كان الباب و الذى اعدم فى تبريز فى ۹/ ۷/ ۱۹۴۹ قد زعم أن البيان قد نزل عليه من سماء المشيئة الإلهية، و لم يتقيد الباب فى كتابه البيان و لا فى كتبه الأخرى بقواعد اللغة و الصرف و النحو و برّر عمله هذا بقوله:

إن اللغة العربية مقيّدة و إنه أطلق سراحها و اخرج عنها.

و العقيدة أو الحركة البهائية- بقول أتباعها- قد نسخت الشريعة الإسلامية على النحو الذى نسخ الإسلام الديانات التى سبقته، حيث كوّن بهاء اللّه (و هو حسين على النورى المتوفى فى ۲۸/ ۵/ ۱۸۹۲ و دفن فى عكا) من القرآن الكريم أولا و من بيان الباب (و هو على محمد رضا الشيرازى) ثانيا و من الوحى الذى ادعى نزوله عليه ثالثا كوّن فكرة دين عالمى جديد يجمع الأديان كلها و الأجناس كلها و يوحّد الجنس البشرى و يصهره فى بوتقة واحدة حيث يمحو الإقليمية و الوطنية لأن الأرض هى للناس كافة ..

و حيث ان البهائية قد خرجت عن حظيرة الإسلام و ابتعدت عن رسالته الخالدة، إلا انها- البهائية- استمدت فى الحقيقة أكثر فرائضها و أحكامها من الشريعة الإسلامية

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۵۹

و قد أشار إلى هذه الحقيقة القرآن نفسه بقوله تعالى: ما كانَ مُحَمَّدٌ أَبا أَحَدٍ مِنْ رِجالِكُمْ وَ لكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَ خاتَمَ النَّبِيِّينَ وَ كانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً «۳۴» .. كما كرر ذلك النبى محمد (ص) نفسه و فى كل مناسبة و واقعة بقوله «لا نبى بعدى» و أنه خاتم المرسلين و آخر صوت نبوى سماوى يرسل إلى الأرض حتى يرثها اللّه و من عليها ..

هذا و ان إنهاء اللّه تعالى للكتب السماوية بالقرآن الكريم و ما يترتب على ذلك من بقاء مفعوله و حكمه ساريا و نافذا إلى آخر يوم فى تاريخ الأرض، تطلّب الحال بطبيعة الأمر أن يضع اللّه سبحانه فى القرآن الكريم و يضمّنه بكافة التشريعات و الأنظمة و الأحكام و النواهى و الأوامر و التعليمات التى يحتاجها الإنسان لتنظيم شئونه و حل مشاكله و مطالبه حتى اليوم الأخير من عمر الحياة على سطح الأرض ..

و طبيعى أن هذه التشريعات و الأنظمة و الأحكام ستكون من الرحابة و المرونة و السماح ما يجنبها فى كل عهد و مكان أن تكون عقبة فى طريق المرء و مسيرة الحياة نحو الأفضل. حيث سنرى مصداق ذلك جليا على صفحات هذا الكتاب القادمة.

و بعد فالنقاط السبع التى مررنا عليها آنفا مرور الأقمار الصناعية فى سماء الأرض أو فى طريقها إلى كوكب آخر ستستوعب معظم مواضيع هذا الكتاب و ستملأ معظم فصوله و سطوره ..

و لكن مع التحوير و التغيير وفقا لما آثره مؤسسها (البهاء) مما رآه يتلاءم و روح العصر و متطلبات الحضارة و تطور المدنية ..

و البهائية محدودة العدد إلا انها منتشرة فى كافة انحاء العالم و يتولى توجيهها حاليا «المجلس البهائى الأعلى» من مقره فى شيكاغو باميركا و يصدر المجلس مجلة باسم «نجمة الغرب» تترجم فيها آراء و افكار هذه العقيدة.

و للاطلاع على المزيد من هذه العقيدة يراجع كتابنا «أضواء على شبه القارة الهندية» الذى سيرى النور قريبا ..

(۳۴) الأحزاب: ۴۰.

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۶۰

و بدورنا فقد حرصنا على ألا يكون هذا الانتشار و التوزيع عشوائيا و من دونما نظام أو خطة رشيدة. و إنما سنعطى كل موضوع و فصل ما يستحقه من شرح أو إيجاز تبعا لأهميته و حاجة الناس الملحة إليه، متوخين من كل ذلك أن نترك لدى القراء الكرام فكرة

عامـة و كاملـة عن القرآن و معارفه و علومه، هذا القرآن الذى ظل نبراسا يضـىء البشـرية الطريق المعبد و الموصل للنهضة و العمران، هـذا القرآن الـذى دفع و مـدّ حـدود و سـلطان المسـلمين من شواطئ المحيط الأطلسـى حتى جدار الصـين العظيم و اسـبغ على جموع المسـلمين على هذه الرقعة الواسعة من الأرض العدالة و الحرية و الكرامة، هذا القرآن الذى ضمّ من التشريعات و القوانين و الأنظمة ما قصـرت القوانين الوضعية حتى بعد تطورها و تقويمها من اللحاق بها أو مضاهاتها حتى فى التفصيلات، هذا القرآن الذى اعترف العدو قبل الصديق من أنه السـبب الرئيسـى و الأوحد فى وحدة كلمة العرب و المسـلمين و سبب قوتهم و انتصارهم على الأعداء و المناوئين لهم.

اذن فلنبـدأ رحلتنـا التاريخيـة إليه من الآن و لنحط أولا عنـد بحث يتولى الإشارة إلى أسـماء القرآن و صـفاته ثم ننتقل بعـد ذلك إلى الأبحاث و المواضيع الأخرى و بالتتابع ان شاء اللّه ..

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۶۱

أسماء القرآن و صفاته

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۶۳

اختلف جمهور الفقهاء و المؤرخين بصدد لفظ القرآن و سب تسميته بهذا الاسم الذى لم يكن متداولا فى الجاهلية و لم يسبق له ذكر و وجود قبل نزوله، و هل هو لفظ أصيل أو مشتق و ما إذا كان مهموزا- أى أن الهمزة هى فى أصل اشتقاقه- أو هو غير مهموز بالمرة.

فى البدايـة اتفق كل هؤلاء الفقهاء و المؤرخين و من دونما أى خلاف يذكر إلى أن لفظ القرآن و الذى جاء فى نحو من (۷۰) آية قد وضـعه اللّه سـبحانه علمـا على كتـابه المنزل- أو على كـل جزء من أجزائه- مخالفـا بـذلك لمـا يسـمى به العرب كلامهم و أحاديثهم المتداولة، فقد سمّى تعالى «جملته قرآنا كما سمّى العرب جملة كلامهم ديوانا و سمّى بعضه سورة كقصيدة و سمّى بعض السورة آية كالبيت و سمّى آخر السورة فاصلة كقافية» «۱».

و بعـد هـذه البدايـة المتفق عليها بين الجميع، تفرّق الفقهاء و الأدباء بصـدد الاجابة على التساؤل اعلاه و الخاص بأصل لفظ القرآن، و يمكن هذا حصر أقوالهم ازاء ذلك و جمعها فى قولين اثنين هما:

۱- ذهبت الغالبية من هؤلاء الفقهاء و فى طليعتهم الأشـعرى و أبو إسـحاق الزجاج و الفراء إلى أن القرآن المعرّف ب ال ليس هو لفظا أصـيلا و إنما هو مشـتق، و اشـتقاقه هذا قد جاء من قرن الشـىء إذا ضـمه إليه، و إنما سمّى القرآن بذلك و ذلك بسبب قران السور و الآيات و الحروف

---

(۱) الأتقان فى علوم القرآن- جلال الدين السيوطى.

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۶۴

المتفرقة و ضمها بعضها إلى بعض ..

و قيل هنا أيضا أن اشـتقاقه هذا قد جاء من القرائن لأن آياته يصدّق بعضـها بعضا و يشابه بعضـها للبعض الآخر فكأن بعضها قرينة على بعض ..

و قـال كثير من قادة هـذه الفئـة و فى مقـدمتهم الزجاج و اللحيانى بأن لفظ القرآن مهموز و ذلك لأنه مشـتق من القرء و هو الجمع، و إنما سـمّى الكلام المنزل على النبى (ص) قرآنا لأنه جمع السور أو جمع ثمرات الكتب المقدسـة السالفـة أو أنه مشـتق من قرأ و معناه تلا مثل الغفران المشتق من غفر و الكفران المشتق من كفر.

۲- أما الأقلية من هؤلاء الفقهاء و على رأسهم الإمام الشافعى «۲»

(۲) الإمام الشافعى هو محمد بن إدريس الشافعى ولد عام ۵۰ ه فى غزة و نشأ فقيرا و رحل إلى مكة المكرمة و هو ابن عشرة سنوات أو سنتين- بقول آخر- طلبا للعلم على يد من كان فيها من الفقهاء و المحدثين فتفقّه فيه و بلغ شأنا عظيما، ثم رحل إلى المدينة المنورة فى طلب العلم أيضا حيث درس و تفقّه على يد امام دار الهجرة مالك بن أنس، و قد ترك كتاب الأم الذى ضمّنه آرائه و آثاره ..

و قد طاف فى كثير من الأقطار الإسلامية منها اليمن و العراق لغرض بث و نشر فقهه و علمه فيها إلى أن استقر به المقام فى مصر حيث توفى فيها فى آخر ليلة من شهر رجب سنة ۲۰۴ ه عن عمر ۵۴ سنة و قبره يقع الآن فى القاهرة و هو يغص بالزوار و عارفى فضله- رحمه اللّه-.

و قد اتهم الإمام الشافعى بالتشيّع و موالاة العلويين بسبب أن نسبه يرجع إلى المطلب بن عبد مناف و هو أخ هاشم، حيث كان بنو المطلب و بنو هاشم كتلة واحدة ضد بنى عبد شمس فى الجاهلية، و كان لهذا التكتل اثره الواضح على ابنائهما فى مطلع الإسلام و بعده، و مما ينسب له من الشعر فى التشيّع و حب آل على قوله:

يا راكبا قف بالمحصب من منىو اهتف بقاعد خيفها و الناهض

سحرا إذا فاض الحجيج إلى منىفيضا كملتطم الفرات الفائض

اعلمهموا انى من النفر الذىلولاء أهل البيت لست بناقض

ان كان رفضا حب آل محمدفليشهد الثقلان انى رافضى

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۶۵

فذهبوا إلى رأى مخالف لزملائهم أصحاب الرأى الأول بخصوص لفظ القرآن، حيث أعلنوا أن لفظ القرآن اسم غير مشتق جملة و تفصيلا، كما و أنه- القرآن- فى نفس الوقت غير مهموز و لم يؤخذ من قراءة بل هو خاص بالكلام المنزل و حيا على الرسول (ص) أسوة بالتوراة و الانجيل و الزبور «۳» ..

و ارى هنا أن القول الأول هو المفضل و المقبول لأنه يلائم المنطق و يتفق و الاستدلال الواقعى و اللغوى و قواعد الاشتقاق، لذا فقد كسب أصوات الغالبية العظمى من فقهاء و ادباء المسلمين فى الحاضر و الغابر.

ننتقل بعد هذا مع القراء الكرام الى موضوع أسماء القرآن الكريم، فنشير إلى أن اللّه سبحانه قد سمى القرآن بأسماء عديدة بلغت فى التعداد عن البعض إلى (۵۵) اسما و غالبيتها هى صفات له «۴» أما الأسماء المجردة فهى حوالى النصف أى (۲۷) اسم منها القرآن و الكتاب و الفرقان و الكلام و المثانى و البلاغ و الذكر ... الخ.

و سنستعرض فيما يلى من سطور اسماء القرآن و صفاته مع تبيان الأسباب و العلل التى حدت إلى تسميته بهذه الأسماء و وصفه بهذه الصفات ..

فالقرآن يسمى أولا بالمصحف، و علة وضع هذا الاسم عليه ترجع إلى صدر الإسلام حين جمع الخليفة أبو بكر (ر ض) القرآن- فى الجمع الثانى كما سيرد تفصيله فى فصل قادم- حيث ضمت الصحاف إلى بعضها و شدّت بخيط واحد حتى لا تضيع أو لا يفقد أو يقع منها شىء ثم قال لمن حوله: [التمسوا له اسما نسميه به فقال بعض من حضر ندعوه ب «السفر» فأجابهم بأن هذا الاسم متداول بين اليهود فصرف النظر

(۳) الاتقان فى علوم القرآن- جلال الدين السيوطى.

(۴) الاتقان فى علوم القرآن- جلال الدين السيوطى، البرهان فى علوم القرآن- بدر الدين الزركشى.

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۶۶

عنه، كما و اقترح غيرهم دعوته ب «الانجيل» فصرف النظر عنه أيضا لأن هذا الاسم يطلق على كتاب المسيحيين، أما عبد اللّه بن مسعود و الذى كان أحد من حضر اقترح ان يوضع له اسم «مصحف» لأنه شاهد فى الحبشة أن أبنائها يطلقون على كل ما جمع من الصحاف اسم «المصحف» فاستحسن الجميع الفكرة وقر رأيهم حينئذ على هذا الاسم، و لا زال القرآن الكريم يحمل هذا الاسم حتى الآن رغم أنه قد قصد به فى وقته الصحف المجموعة] «۵».

اما عن علة عدم تسمية هذه الصحاف المجموعة بالقرآن فمرده هو أن القرآن الكريم ما هو موجود بين الدفتين، أما هذه الصحاف المجموعة فهى مجموعة فى مكان واحد و دون ان تجمعها الدفتين تباعا، لذا فلو كان قد اطلق عليها لفظ القرآن فإن هذه التسمية ستؤدى شبه المعنى و ليس كل المعنى ..

لذا فقد اقترح لها لفظ جديد هو «المصحف» ليمكن تمييزها عن القرآن و الذى قد يجمع فى وقت لا حق ما بين الدفتين تباعا، و هو ما حصل بالفعل فى وقت لا حق ..

و المراد بالمصحف العثمانى هو مصحف عثمان بن عفان الذى طلب كتابته بعدة نسخ و قام بتوزيعها فى حواضر العالم الإسلامى- و هو ما يدعى بالجمع الثالث كما سنرى تفصيله فى بحث قادم- و كانت نسخ هذا المصحف خالية من النقط و الحركات (الشكل) و ارقام الآيات و الأحزاب و الأجزاء، حيث أن كافة هذه المحسنات و الأمور قد وضعت فيما بعد و بمرور الزمن لتكون فى الختام القرآن الكريم الذى هو الآن فى أيدى المسلمين.

---

(۵) تاريخ القرآن- محمد طاهر الكردى، الاتقان فى علوم القرآن- جلال الدين السيوطى.

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۶۷

كما و كان المصحف العثمانى يدعى ب «المصحف الإمام» أيضا لسبب خاص سوف نتناوله فى فصل الجمع الثالث للقرآن.

أما بصدد تسمية القرآن الكريم بالكتاب فهذا يرجع إلى جمعه و كتابته فى مكان واحد، لأن الكتابة هى جمع للحروف و رسم للألفاظ، و لا يطلق الكتاب على المكتوب إذا كان مجزأ أو غير مجموع أو محفوظ فى الصدور و القلوب، و قيل أنه «روعى فى تسميته كتابا كونه مدوّنا بالأقلام» «۶» و مجموعا فى السطور ..

أما بخصوص السبب الرئيسى فى تسمية القرآن بالاسم الأكثر شيوعا و الأغلب تداولا بين الناس هو لفظ «الكريم» فيعود إلى أن القرآن- فى الحق- ينظم الحياة الاقتصادية و المعاشية لعموم أبناء البشر عن طريق بيان مجالات التكسب و العمل المباحة و الأخرى المحظورة، فضلا عن تبيان الالتزامات و التكاليف و الأعباء المالية التى تلتزم بها كل فئة ازاء الأخرى، فكل هذه التنظيمات و التشريعات التى حفلت بها سور القرآن و آياته لو عمل بها بعد نقلها إلى عالم التطبيق و الممارسة العملية، لانبثق و تكوّن بسببها مجتمع حر و سعيد يخفق على جنباته لواء العدالة و الحق و المساواة و لساد أوساطه الشعبية روح التعاون و التضامن و التآلف و لزال منه و إلى الأبد كل ألوان الاستغلال و الاستعباد و الفساد ..

ان أى جهة أو فرد لو كان فى امكانهما صنع أو ترتيب هذا الشىء أو شطرا منه لغدا كريمين و محسنين، و هكذا الحال فى القرآن الكريم فإنه لنفس السبب و العلة دعاه اللّه تعالى بالكريم، و هو وصف جاء فى مكانه أو هو طبيعى بعد أن وجدنا شريعة القرآن كيف تولّت تنظيم المجتمع الانسانى فى صدر الإسلام و كفلت له سبيل الرقى و النجاح بعيدا عن الاستغلال و الاستعباد ..

---

(۶) النبأ العظيم- الدكتور محمد عبد اللّه دراز.

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۶۸

أما سبب تسميته بالفرقان فيعود إلى كون الكلمة هذه هى مصدر من فعل فرق، و الفرقان هو ما يفرق و يفصل بين الشيئين، و إنما سمّى القرآن به لأنه يفصل بين الحق و الباطل و الهدى و الضلال ..

أما علة تسمية القرآن بالمجيد و العزيز فهو أن هذه الصفات مشتقة من المجد و العزة على التوالى و هذا وصف طبيعى و خليق أن يحمله القرآن إذا ما علمنا بأنه كلام اللّه تعالى و قد جعله أسمى الكتب السماوية منزلة و اوفرها علما و اعذبها نظما و فصاحة، كما و اودع فيه علم كل شىء و ضمنه بكل رطب و يابس بقوله سبحانه وَ كُلُّ صَغِيرٍ وَ كَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ «۷» و قوله: وَ لا رَطْبٍ وَ لا يابِسٍ إِلَّا فِى كِتابٍ مُبِينٍ «۸» هذا فضلا عن أن القرآن هو الحبل الذى يربط الأرض بالسماء و النور الذى يضىء دياجير الظلمات فى الخافقين.

لذا كان حقا أن يكون مجيدا و عزيزا بل و فوق ذلك أن كان هناك فوق أو علو أو سمو ..

أما لفظ المبين الذى يلحق بالقرآن مرارا فهو مأخوذ من البيّنة أو البيان و ذلك لأن حجة القرآن بيّنة و دليله ساطع و جلى، أو هو يبين الحق من الباطل و الرشاد من الغواية و الضلال ..

و أما لفظ الذكر فسمىّ به القرآن لأنه ذكّر الناس بآخرتهم و ما كانوا غافلين عنه، و قيل أيضا أنه سمّى بذلك لأنه ذكر أحوال الأمم السالفة و العصور البائدة، اضافة إلى ذكره للأنبياء و المرسلين.

أما لفظ الحكيم فقيل أنه جاء من الحكمة لأن الحكمة و الحكم من مادة واحدة كما يقول أهل اللغة و لما كان القرآن هو منبع الحكمة و مصدرها، اليه يفزع الناس للاغتراف و الاستزادة من فيض حكمته

---

(۷) القمر: ۵۳.

(۸) الأنعام: ۵۹.

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۶۹

و بيانه، و منه تنحدر الوصايا و الحكم و الأمثال و العظاة و القصص، لذابات حكيما ان لم يكن أعلم منه و اسمى ..

و بصدد السورة فإن معناها اللغوى هى المنزلة الرفيعة و المكانة السامية، و فى هذا المعنى أورد النابغة الذبيانى للنعمان بن المنذر هذا البيت من الشعر فى قصيدته البائية المشهورة:

أ لم تر أن اللّه أعطاك سورةترى كل ملك دونها يتذبذب و قيل فى معنى السورة أيضا أنها قد جاءت من سور البلدة و جدارها بسبب احاطتها بآياتها كإحاطة الجدار و السور بالمدينة، و قيل كذلك أنها مأخوذة من التسوّر و هو التصاعد و التركب بسبب أن تركيبها قد جاء بعضا على بعض ..

و بصدد تعريف السورة فإنها توصف ب «قطعة من القرآن مستقلة تشمل آيات ذات فاتحة و خاتمة و اقلها ثلاث آيات بالإضافة إلى البسملة» «۹».

و السورة يمكن اعتبارها اصغر الوحدات التى يتألف منها القرآن الكريم ..

و الحكمة فى تقطيع القرآن سورا هى الحكمة فى تقطيع السّور آيات معدودة، و نرى لكل سورة خاتمة و مطلعا حيث تكون كل واحدة منها- بل كل آية- فنا مستقلا و قرآنا معتبرا ..

و قيل هنا أيضا أن الحكمة فى تسوير القرآن سورا هو اثبات و «دليل على كون السورة بمجردها معجزة و آية من آيات اللّه» «۱۰» اضافة إلى أن تقسيم القرآن إلى سور له أثر كبير فى ميدان تعلّمه و استظهاره و انه

---

(۹) تفسير التبيان- أبو جعفر الطوسى، تاريخ التشريع الإسلامى- الشيخ محمد الخضرى.

(۱۰) الإتقان فى علوم القرآن- جلال الدين السيوطى.

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۷۰

يسدد الأنظار و يلفتها إلى كل جزء من أجزائه ..

و سورت السور طوالا و أوساطا و قصارا إشارة إلى أن الطول ليس من شرط الإعجاز فضلا عن أن كل سورة لها نمط مستقل و بحث خاص كبرت أو صغرت ..

و السورة مهما تعددت قضاياها و أهدافها فهى: «كلام يتعلق آخره بأوله و أوله بآخره و أنه لا غنى لمتفهم السورة و نظمها من استيفاء النظر فى جميعها كما لا غنى عن ذلك فى أجزائها» «۱۱» ..

و السورة قد تكون ذات موضوع واحد تبحث عنه و لا تتعداه إلى سواه مثل كثير من السور القصيرة كسورة اللهب و الفيل ... الخ، كما و قد تتناول السورة اغراضا عديدة مثل معظم السور فى القرآن الكريم و لا سيما السور الطويلة ..

و لن ينتقل القرآن بين الأغراض المختلفة فى السور الأخيرة- الطويلة- اعتباطا أو عفوا و إنما لصلات الوثيقة التى تربط بين هذه الأغراض بحيث تتضافر سائرها للوصول الى هدف السورة و حينما يستوفى الغرض الخاص تنتهى السورة، فسورة التوبة تحدّد علاقة المسلمين بالكافرين و المشركين و أهل الكتاب بينما تتجه سورة اخرى و هى الأعراف إلى الإنذار و الاتعاظ بقصص الأولين و أخبارهم، و سورة الشعراء تشير إلى التخويف و الإرهاب و انذار قريش و بقية المشركين، بينما توشك سورة طه أن تستغرق قصة النبى موسى، و كذلك سورة يوسف توشك أن تقتصر على موضوع النبى يوسف الصديق و أبيه و اخوته و أحوالهم بالتفصيل ..

و سور القرآن بالنظر إلى اختلاف عدد آياتها تنقسم الى ثلاثة اقسام هى «۱۲»:

---

(۱۱) النبأ العظيم- الدكتور محمد عبد اللّه دراز.

(۱۲) تاريخ القرآن- إبراهيم الابيارى.

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۷۱

۱- قسم لم يختلف فيه إجمالا و لا تفصيلا ۲- قسم اختلف فيه تفصيلا لا اجمالا ۳- قسم اختلف فيه تفصيلا و اجمالا و اسم السورة جاء توقيفا أى باشارة و تعليم من الرسول (ص) فى أشهر الأقوال و أصحها، كما و ان الضابط و القاعدة العامة فى تسمية السور القرآنية. على ما يبدو من اسمائها- هو تسمية السورة بمطالعها أو بكلمة أو موضوع بارز فيها أو باشتقاق كلمة أو حادثة معينة واردة فيها كقصة تدور حولها أو حكم أو بما تحدثت عنه من حيوان أو انسان أو فاكهة ..

و قد يكون للسورة الواحدة اسم واحد فقط و عليه غالبية سور القرآن الكريم كما و قد يكون لها اسمان أو أكثر .. فمن السور التى لها أكثر من اسم واحد هى:

۱- سورة الفاتحة و تسمى سورة الحمد و أم الكتاب و السبع المثانى ۲- سورة غافر و تسمى سورة المؤمن ۳- سورة تبارك و تسمى سورة الملك ۴- سورة عم و تسمى سورة النبأ ۵- سورة فصلت و تسمى سورة السجدة ۶- سورة براءة و تسمى سورة التوبة و الفاضحة و الحافرة و العذاب ۷- سورة الإسراء و تسمى سورة بنى إسرائيل ۸- سورة فاطر و تسمى سورة الملائكة ۹- سورة محمد و تسمى سورة القتال ۱۰- سورة الفلق و الناس و تسمى المعوذتان ۱۱- سورة البقرة و آل عمران و تسمى الزهراوان كما و هناك اسماء خاصة لآية واحدة أو جملة آيات متتابعة، و قد تكون هذه الأسماء- كما هو الحال فى السور- توقيفية أو غير توقيفية عن

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۷۲

طريق تسميتها باسم كلمة بارزة أو عبارة رئيسية موجودة فى نفس الآية أو الآيات المتتالية.

و من امثلة ذلك هى آية الكرسى فى سورة البقرة و آية النجوى فى سورة المجادلة و آية المباهلة فى سورة آل عمران و آية التطهير فى سورة الأحزاب و آية النور فى سورة النور و غير ذلك ..

أما بشأن الآيـة فإن معناها هو العلامـة و المعجزة و العبرة و الدليل و البرهان، و إنما سـميت بذلك لأن كل آية هى دليل و علامة على صحـة النبوة، فضـلا عن أن اجتماع و التقاء عـدة آيات تكون منها معجزة قائمـة بذاتها و يعجز الآخرون عن محاكاتها أو الإتيان بمثلها «۱۳» ..

أما فى الاصطلاح فالآية هى طائفة من القرآن منقطعة عما قبلها و ما بعدها و ليس بينها شبه بما سواها ..

أن أطول آيـة فى القرآن هى آية الدين و هى قوله تعالى: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذا تَدايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلى أَجَلٍ مُسَـمًّى فَاكْتُبُوهُ ... وَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ «۱۴» و تضم هذه الآية مائة و عشرون كلمة ...

و أمـا الكلمـة فهى اللفظـة الواحـدة و قـد تتكون من حرفين مثـل «ما»، «لى»، «له» و «لك»، و قـد تتكون من أكثر من ذلك، و أكثر ما تكون الكلمة فى القرآن عشرة أو أحد عشر حرف مثل «ليستخلفنهم» و «أ نلزمكموها» و «فاسقيناكموه» و «اقترفتموها» ...

---

(۱۳) بصـدد القـدر المعجز من القرآن، فقـد قيل ان أقل ما يعجز عنه من القرآن هو السورة الواحـدة قصـيرة كانت أو طويلة، كما جاء مصـداق ذلك فى عـدة آيات من القرآن منها قوله تعالى فى سورة البقرة/ الآية ۲۳ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ و قوله فى سورة يونس/ الآية ۳۸ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ ..

و قـال آخرون أنه إذا كـانت الآيـة أو الآيات بقـدر حروف السورة و ان كانت كسورة الكوثر- و هى أصـغر سورة فى تاريـخ القرآن- فذلك معجز، بينما اشترط البعض كون هذه الآيات كثيرة ليقوم الإعجاز بها (اعجاز القرآن- أبو بكر الباقلانى) ..

(۱۴) البقرة: ۲۸۲.

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۷۳

و قد تكون الكلمة آية مثل «و الفجر» و «و العصر» و «طه» و «ياسين» و «حم» أو قد تكون دونها كما سبق بيانه «۱۵» ...

أما الفاصـلة فهى تطلق على الكلمـة التى تختم بها الآيـة من القرآن كما و تطلق أيضا على رأس الآيـة و «مكانتها من الآية مكان القافية من البيت اذ تصبح الآية لبنة متميزة فى بناء هيكل السورة» «۱۶» ..

و يقال عن معنى الفاصـلة أنها جاءت من التفصـيل و إنما سميّت بذلك لأن بها يتم بيان المعنى و يزداد وضوحه جلاء و قوة، كما قيل أنها سـميت بـذلك لأنه ينفصل عندها كلامان، لأن آخر الآية فصل بينها و بين ما بعدها، و السـر فى عدم تسـميتها اسـجاعا فيعود إلى خلق القرآن من السجع و لأن السجع نقص و عيب بينما الفواصل بلاغة و بيان «۱۷» ..

و الفاصـلة تكمـل معنى الآيـة و يتم بها النغم الموسـيقى لها فهى أكثر ما تنتهى بالنون و الميم و حروف المـد و هى كلها من الحروف الطبيعية فى الموسيقى نفسها «۱۸» ..

و يتعلق معنى الفاصـلة بمعنى الآيـة كلها تعلقا كبيرا بحيث اننا لو ابعدناها لاختل المعنى أو اضـطرب الفهم، فهى تؤدى فى محلها جزءا من معنى الآية ينتقص و يرتبك بطرحها و استبعادها و قد يتضاعف تمكن الفاصلة من مكانها حتى لتشير إليها قبل التفوّه بها ..

---

(۱۵) البرهان فى علوم القرآن: بدر الدين الزركشى.

(۱۶) من بلاغة القرآن- الدكتور أحمد أحمد بدوى.

(۱۷) لقد ذهب البعض من الأدباء و البلغاء إلى اثبات ان السجع موجود فى القرآن، إلا أنه افصح مما قد اعتاده الناس من أسجاعهم، و ان سجع القرآن- عند هؤلاء- يتخذ منهجا خاصا به لا يشركه فيه سواه، ذلك مما يبين به فضل الكلام و أنه من الأجناس التى يقع فيها التفاضل فى البيان و الفصاحة كالتجنيس و الالتفات ....

الخ من الوجوه التى تعرف الفصاحة بها ..

(۱۸) من بلاغة القرآن- الدكتور أحمد أحمد بدوى ..

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۷۴

و يروى هنا إثباتا لهذا القول ما نقل عن زيد بن ثابت «۱۹» أنه قال:

«املى علىّ رسول اللّه (ص) هذه الآية: وَ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسانَ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلْناهُ نُطْفَةً فِي قَرارٍ مَكِينٍ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظاماً فَكَسَوْنَا الْعِظامَ لَحْماً ثُمَّ أَنْشَأْناهُ خَلْقاً آخَرَ «۲۰»، و هنا قال معاذ بن جبل فَتَبارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخالِقِينَ فضحك رسول اللّه (ص) فقال له معاذ: لم ضحكت يا رسول اللّه ..؟ قال: بها ختمت. و هناك أمثلة أخرى لا مجال لإيرادها هاهنا ..

---

(۱۹) الاتقان فى علوم القرآن- جلال الدين السيوطى.

(۲۰) المؤمنون: ۱۲ و ما بعدها.

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۷۵

طبيعة المجتمع العربى فى عصر النبوة

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۷۷

كانت غالبية الناس فى الديار الحجازية حين نزول القرآن الكريم على صدر الرسول (ص) كانت أمية و جاهلة و لا تجيد القراءة و الكتابة، و إنما قلنا هنا الغالبية فمن اجل أن نخرج منهم فئات قليلة كانت تتقن القراءة و الكتابة و هى فى مجموعها نسبة لا يستهان بها عند الحساب ..

و سنشير فيما يلى من سطور عن مدى انتشار التعليم (القراءة و الكتابة) فى المدن الحجازية أولا- ثم نعرج من بعد على شئونها و أحوالها الأخرى ثانيا فأقول بعد الاتكال على اللّه:

بصدد نسبة المتعلمين و عددهم عند بدء نزول الوحى فقد ذهب معظم الرواة و المؤرخين السابقين و اللاحقين إلى نفى و استبعاد وجود أى لون من ألوان التعليم و الثقافة أو وجودهما و لكن بنسبة جد صغيرة حيث لا يتجاوز عدد المتعلمين- لدى هؤلاء عن عدد اصابع اليد الواحدة فى كل بلد من بلدان الحجاز و حواضره ..

أما القلة من الرواة و المؤرخين فتنحوا و تشير إلى «وجود فئات قليلة من المتعلمين و بنسب لا يمكن تجاهلها فى المدن الحجازية» «۱» ..

و هذه القلة من الرواة لم تطلق قولها هذا جزافا أو على عواهنه و إنما تورد أدلة و إثباتات قاطعة فى دعم قولها و تأييده ..

---

(۱) القرآن المجيد- محمد عزة دروزة.

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۷۸

و إنى اذ أضم صوتى إلى هذه الفئة القليلة من الرواة و المؤرخين لأورد فى أدناه و بتصرف بعض النقاط و الأدلة الواردة فى تعزيز هذا الرأى و تأييد هذا الإتجاه فأقول:

ان البيئة الحجازية و لا سيما مكة المكرمة و المدينة المنورة كانت بيئة تجارية قبل كل شىء (وفقا لما أشار إليه القرآن الكريم فى سورة قريش)، و كانت هذه البيئة بحكم عملها و طبيعتها على اتصال وثيق و مستمر ماديا مع البلاد المجاورة و هى الشام و اليمن و العراق و التى كانت على جانب لا بأس به من العلم و الثقافة ..

و كانت البيئة الحجازية أيضا تضم فئات و جاليات كتابية مسيحية و يهودية أصيلة و نازحة من البلاد المجاورة و التى كانت تتداول فيما بينها الكتب الدينية أو غير الدينية قراءة و كتابة ..

فلا يتصور فى كل هذه الحالات أن يبقى العرب فى مكة و المدينة جامدين و غافلين عن اقتباس أصول القراءة و الكتابة من هؤلاء لاستعمالها فى معاملاتهم اليومية و حياتهم التجارية و التى لا يمكن تصور قيامها بدون كتابة أو تدوين، و لاستعمالها أيضا فى تسجيل معلقاتهم و اشعارهم و أيامهم التى ملئت الخافقين و تحدث بها الركبان و سمعها القاصى و الدانى ..

هذا من جهة و من الجهة الأخرى فإن فى القرآن آيات عديدة تشير إلى فضل العلم و منزلة العلماء و درجتهم و تطلب من سائر الناس تسجيل كافة المعاملات و التصرفات و كتابتها نقدا أو دينا صغيرة أو كبيرة، فكيف تطلب هذه الآيات من الناس تحقيق كل ذلك دون وجود قسم من المتعلمين بين صفوفهم و دون وجود كتاب يكتبون و يدونون لأنفسهم أو عن الآخرين «۲» ..

---

(۲) القرآن المجيد- محمد عزة دروزة.

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۷۹

هذا بالإضافة إلى أن كتبة الوحى بين يدىّ الرسول (ص) بلغ عددهم أكثر من ۴۰ رجلا- كما سنرى بعد قليل- و ان كثيرا منهم كانوا مكيّين و هم الذين كتبوا القسم المكى من القرآن قبل هجرة الرسول (ص) إلى المدينة، و هذا دليل ساطع على وجود المتعلمين فى مكة و ان كانوا قليلين سواء من كتب و سجل الوحى كهؤلاء أو ممن لم يسلم بعد و يدخل فى رحاب الإيمان و العقيدة.

كما و نشير هنا إلى أن الأسرى الفقراء من قريش الذين وقعوا فى قبضة المسلمين فى معركة بدر الكبرى عام ۲ للهجرة و الذين لم يستطيعوا أن يقدّموا فدية نقدية لإطلاق سراحهم كلف كل واحد منهم ممن يجيد القراءة و الكتابة تعليم عشرة من أطفال المسلمين فى المدينة القراءة و الكتابة لقاء اطلاق سراحهم و عودتهم بالتالى إلى ديارهم و أهليهم «۳» ..

و يحدثنا التاريخ أن كثيرا من هؤلاء قد قاموا بما كلفوا به من تعليم كل واحد لعشرة من الأطفال فى المدينة و اصبحوا بعدها أحرارا و عادوا إلى مكة المكرمة، كما و اسلم بعضهم عند ما لمسوا بجلاء عدالة الشريعة و سماحتها و رحابة افقها.

فكيف يعقل هنا أن يجيد قسم من الفقراء و معدمى القرشيين القراءة و الكتابة و لا يتقنها اغنياؤهم و تجارهم و أرباب السلطان منهم ..

لذا نرى جازمين مما تقدم أن التعليم كان منتشرا عند بدء الرسالة و انطلاق نداء الوحى فى المدن الحجازية بأكثر مما يورده الرواة

---

(۳) يمكن هنا اعتبار هؤلاء الأسرى بتعليم أطفال المسلمين أو غيرهم من الأميين أول مدرسة قامت فى العصر الإسلامى إن صح تسميتها مدرسة .. و هناك من عدّ الدار التى كان يختبىء فيها الرسول (ص) مع المسلمين فى مكة المكرمة عند الصفا عند بدأ علنية الدعوة و التى حفظ فيها الصحابة الأوائل الكثير من الآيات الكريمة عد هذه الدار المدرسة الأولى للقرآن الكريم فى الإسلام ..

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۸۰

و المؤرخين فى كتبهم و تواريخهم و ان نسبتهم العددية و ان كانت قليلة بالنسبة إلى عموم الناس و سوادهم إلا أنها نسبة لا يستهان بها و أنها قد لا تكون بأقل من نسبة المتعلمين فى هذا العهد فى بعض الدول الأفريقية الاستوائية.

هذا و ان زيادة و ارتفاع نسبة المتعلمين بين الناس عند بعثة الرسول (ص)- كما تقدم- و خلافا لما أورده غالبية الرواة و المؤرخين- لا يمكن أن يحمل على غير محمله فظن بأن هذا الأمر يخفف أو يقلل أو يصطدم مع معجزة الإسلام الخالدة- أو أى أصل أو فرع دينى آخر. بل أن العكس هو الصحيح، حيث أرى- جازما- بأن وجود هذه الفئة القليلة من المتعلمين عند نزول القرآن على الرسول (ص) يعزز من قوة هذه المعجزة التى تحدت القوم و جابهتهم فى الميدان الذى يصولون فيه و يجولون و فى نفس السلاح الذى يحملونه فى أيديهم و فى اللسان و المنطق الذى يجيدونه ..

بل اضيف إلى كل هذا بالقول بأنه لو لم يكن هناك فى البيئة الحجازية أى متعلم أو كاتب أو كان و لكن بقدر أصابع اليد الواحدة- كما يقول البعض- لكان وقع و صدى معجزة القرآن أقل و أدنى مما لو كانت أعداد المتعلمين كبيرة و نسبتهم العددية عالية ..

أما بصدد اجادة الرسول (ص) نفسه للقراءة و الكتابة، فقد ذهبت الغالبية العظمى من المؤرخين و الرواة و كتاب السير من تقدم منهم أو تأخر، ذهب كل هؤلاء إلى أن النبى محمد (ص) كان أميا لا يعرف أن يكتب و لا اشتغل بمدارسه و لا بمثاقبه و لم يدخل مدرسة و لم يمارس تعلما «۴» ..

---

(۴) المعجزة الخالدة- هبة الدين الشهرستانى، اعجاز القرآن- أبو بكر الباقلانى، آلاء الرحمن فى تفسير القرآن- محمد جواد البلاغى، تاريخ القرآن- إبراهيم الابيارى، تفسير شبر- السيد عبد اللّه شبّر، تاريخ التشريع الإسلامى- محمد

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۸۱

و إنى إذ أضم صوتى إلى أصواتهم لأورد مختصرا بعض النقاط و الملاحظات المتعلقة بذلك فأقول:

ان النبى (ص) كان أميا بسبب اتخاذه بعد بعثته كتابا للوحى يسجّلون كلما أوحى إليها- على التفصيل الذى سنشير إليه فى فصل قادم- كما و لم نسمع بأن الرسول (ص) كتب شيئا أو دوّن رسالة أو خطا طيلة مدة حياته، بل أن هذا العمل كان منوطا و مفوضا إلى الكتّاب الذين كانوا يدوّنون عنه كلما يطلب الرسول (ص) منهم ثم يوشّحه من بعد بختمه (مهره) إذا ما كانت هذه رسالة موجهة إلى جهة معلومة أو خطابا لفئة معينة ..

كما و ننقل هنا حادثتين طريفتين يتداولها المؤرخون فى بطون كتبهم تخصان هذا الموضوع هما:

الأولى و ملخصها هو أن العباس بن عبد المطلب عم النبى (ص) و هو بمكة كان قد كتب إلى النبى كتابا يخبره فيه بتجمع ذيول و فئات قريش و خروجهم لمنازلته (فى معركة أحد)، و ان العباس كان قد أرسل هذا الكتاب رفقة فتى من غفار، و ان النبى (ص) حين و رده هذا الغفارى استدعى على الفور أبى كعب- و كان أحد كتّابه- و دفع إليه الكتاب ليقرأه عليه، و حين فرغ- أبى- من قراءة الكتاب استكتمه النبى، و لو كان النبى (ص) غير أمىّ لكفى نفسه مئونة دعوة أبى لقراءة كتاب العباس و لقرأه بنفسه «۵» ..

أما الحادثة الثانية فمفادها ان الإمام على بن أبى طالب- ع- كان

الخضرى، تاريخ القرآن- ابى عبد اللّه الزنجانى، التعبير الفنى فى القرآن- الدكتور بكرى شيخ أمين، الدين و الإسلام- الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء، دراسات فى علوم القرآن- الدكتور عبد القهار العانى، مباحث فى علوم القرآن- مناع القطان، موجز علوم القرآن- إبراهيم الأبيارى ..

(۵) تاريخ القرآن- إبراهيم الابيارى.

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۸۲

كاتبا لرسول اللّه (ص) فى عقد صلح الحديبية الذى تم عام ۶ للهجرة، فكتب الإمام: «هذا ما صالح عليه محمد رسول اللّه» و لكن سهيل رسول القرشيين فى مكة أجاب: أنه لو علم بأنه رسول اللّه لما قاتلناه فطلب محوها، فقال رسول اللّه لعلى: أمحها فأمتنع على عن محو جملة «رسول اللّه» فقال (ص) لعلى: أرنيه، فمسها النبى (ص) بيده و هذا العمل يدل على أنه (ص) كان لا يقرأ و لا يكتب ..

هذا علما بأن هناك فئة من الذين يذهبون إلى أمية الرسول (ص) تقصر و تصرف هذه الأمية على الفترة التى سبقت نزول الوحى و القرآن، لأن هذه الفترة فى نظرهم هى الموجبة لبقاء النبى اميا و هى التى ترفع الشك و الشبهة فى نسبة القرآن إلى غير منزله، أما بعد هذه الفترة فلا وجوب و لا حكمة لبقاء النبى اميا، فضلا عن أنه ليس هناك شك أو شبهة حول القرآن بعد ان نزل إلى الأرض و قرأه الناس .. و تحتج هذه الفئة بأن لفظ «من قبله» فى الآية الكريمة «و ما كنت تتلو من قبله ...» «۶» يقصد به من قبل نزول الوحى و

القرآن. كما و تحتج بأدلة و وقائع لا مجال لإيرادها فى هذا الموجز ..

و بعد فلا- يمكن هنا و بحال من الأحوال أن يتصوّر بأن الأمية هى اساءة للرسول (ص) أو منقصة له، بل هى فى الحق «من وجوه اعجازه و الإعجاب به صدوره من قبل النبى- الأمى- ربيب البادية البعيد عن حظائر الفنون النائى عن حواضر الحكماء و محاضر العلماء» «۷» ..

و لو كان النبى (ص) غير أمى (جدلا) فلربما ستثور بوجهه التقوّلات و الأراجيف بأن هذا القرآن أو بعضه من صنع يده و أن كافة ما جاء فيه من قصص الماضين و أحوال الغابرين هى مما تعلمها و سجّلها

---

(۶) مجمع البيان فى تفسير القرآن- ابى على الفضل الطبرسى.

(۷) المعجزة الخالدة- هبة الدين الشهرستانى.

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۸۳

و أخذها من أبناء اليهود و المسيحيين فى خلال سفراته العديدة إلى ديار الشام و إلى المدينة المنورة، و مما اطلع عليه من كتب اليهود القديمة و مخلّفات القرون الأولى و من دون أن يبعثه اللّه تعالى إلى العالمين رسولا و نبيا ..

لذا جاء حكم اللّه الصارم فى القرآن بنفى اجادة الرسول (ص) للقراءة و الكتابة، و قد جاء حكم اللّه هذا فلأجل أن يقطع الطريق على كل ما قد يتصور أو يشك أو يثار بصدد القرآن و نسبته إلى غير خالقه اجل جاء حكم اللّه تعالى هذا القول: وَ ما كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتابٍ وَ لا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذاً لَارْتابَ الْمُبْطِلُونَ «۸» ليؤكد كل ما قلناه آنفا من أمية الرسول و عدم اجادته للقراءة و الكتابة ..

هذا و قد كان فى وسع أى شخص فى عصر النبوة أن يتعلم القراءة و الكتابة فى بحر فترة قصيرة من الزمن، و قد كان- من باب أولى- فى مكنة الرسول (ص) ان يتقنها فى فترة قياسية إذا رغب فى ذلك و لكن اللّه سبحانه آثر له البقاء بعيدا عن عالم القراءة و دنيا الحروف و الأرقام ليكون وقع معجزة القرآن على الناس شديدا و اثرها عليهم كبيرا، فضلا عن كشف كافة التقولات و التخرصات التى قد تثار بشأن مصدر القرآن إلى غير منزله و موجده و هو اللّه تعالى ..

و رغم كل البراهين و الحجج الآنفة الذكر الخاصة بأمية الرسول و عدم إجادته القراءة و الكتابة نجد هناك قلائل يذهبون إلى أن النبى (ص) كان يقرأ و يكتب بدعوى أن الأمية هى نقص للفرد العادى فكيف الحال بالنسبة للرسول الكريم و الذى يلزم- بنظرهم- أن يكون ممن يقرأ و يكتب.

و قد قام هؤلاء بتأويل الآيات الكريمة الخاصة بأمية الرسول (ص) تأويلا يتفق و وجهة نظرهم كما أشاروا إلى ما حصل له (ص) عند قرب

---

(۸) العنكبوت: ۴۸.

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۸۴

وفاته حينما قال (ص) «لو آتونى بدواة و قلم اكتب لكم شيئا لن تضلوا بعدى أبدا» حيث أن هذا القول يوحى بإجادة الرسول للكتابة ..

و الحقيقة هنا هو ان لفظ- اكتب- هو أمر بالكتابة أى يطلب من أحد الحاضرين كتابة ما يمليه عليه (ص) لا أن يكتب (ص) بنفسه و هو مسجى على فراش الخلود فى انتظار لقاء ربه تعالى ..

هذا و قد حاولت فئة ثالثة- برزت هنا- التوفيق بين الرأيين المتضاربين الآنفين بخصوص امية أو عدم امية الرسول (ص) حيث خلصت للقول بأن الرسول (ص) كان فى الحق اميا لا يقرأ و لا يكتب و لكن كان فى مكنته ان شاء ان يقرأ و يكتب، أو يقول آخر قريب منه هو: ان الرسول (ص) كان يعرف أن يقرأ و يكتب و لكنه لم يباشر ذلك أبدا طيلة مدة حياته ...

و ليس لـدينا ما نقوله تعقيبا على الرأيين الأخيرين غير توجيه القارئ الكريم إلى الأدلـة و الحجـج الواردة آنفا و الخاصـة بأمية الرسول (ص) لكونها دلائل و براهين تتلقى مع المنطق و تتجاوب مع الواقع لـذا فقـد اعتمـدتها الغالبية الساحقة من المؤرخين و كتّاب السـير و الرواة و على اختلاف طوائفهم و مشاربهم.

و قبـل أن نترك هـذا البحث نشـير إلى أن ما ورد فى القرآن الكريم من وصف للنبى (ص) بالأمى أو بعثه فى الأميين فهو إما ان النبى كان أميا- كما تقـدم- و إما أن الغالبيـة من أهل مكـة كانوا اميين فنسب النبى إليهم أو أن مكـة المكرمـة كانت أم القرى فنسب النبى لها، كما و قيل هنا أيضا أنه يراد بالأمى: «ما يقابل أهل الكتاب الـذين يحوزون الكتب المقدسة و يعرفونها، فالرسول (ص) لم يكن له علم بهذه الكتب المقدسة و لم يتلق منها و إنما جاءه العلم من عند اللّه تعالى و عن طريق الوحى» «۹» ..

---

(۹) نظرة عامة فى تاريخ الفقه الإسلامى- الدكتور على حسن عبد القادر.

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۸۵

أما فى اللغة فأن اللفظ الأمى «فأصله المنسوب لأمه و أريد به من لا يقرأ من كتاب و لا يكتب لأنه كيوم ولدته أمه» «۱۰» ..

أما عن الأحوال الاجتماعيـة و الشـئون الأخرى التى كان يعيشـها الإنسان العربى فى أرض الحجاز عنـد بدء الرسالة و مطلع النور فنشـير إلى أن الحالة التى كانت سائدة عند العرب حينذاك لا يمكن أن نعتبرها بسـيطة ساذجة كما يقول الكثير من الرواة و المؤرخين حيث «لم يكن فى الحقيقـة ساذجـا و فطريـا سوى أحوال البـدو فى الصـحراء» «۱۱» لأـن ارتباط كل من مكـة و المدينـة بسوريا الرومانيـة و بـالعراق الساسانى و باليمن فى الجنوب و باليهود فى أطراف المدينـة بل فى قلب المدينـة نفسـها جعلتهما- مكـة و المدينـة- «متأثرين بالقـانون الرومانى و القانون الساسانى الفارسـى و القانون اليهودى فيما كان معمولا به المعاملات المدنيـة فى البلـدان» «۱۲» فضلا عن تأثرهم قبل ذلك أو بعده ببعض العادات و الطبائع و الأعراف الأخرى ..

كما و كان هناك فى كل من مكـة و المدينـة بعض النظم الاجتماعيـة التى تعود إلى النظام العربى الخالص و النظام القبلى القح و هى الأنظمـة و الروابـط و المواثيق المتعلقـة بالأسـرة و المواريث و الجنايات و القصاص فضـلا عن القواعـد التى كانت تطبق على العقود و بعض أشكال معينة للشركات و المعاملات المالية و الزراعية فى المدينة و الطائف، و كل هذه «كانت تنمو و تزدهر و تتطور بالعلاقات التجارية التى كانت تغذيها و تنعشها الأشهر الحرم «۱۳» و الأسواق الكبرى «۱۴» و رحلات الشتاء و الصيف إلى

---

(۱۰) المصحف الميسر- الشيخ عبد الجليل عيسى.

(۱۱)،

(۱۲) نظرة عامة فى تاريخ الفقه الإسلامى- الدكتور على حسن عبد القادر.

(۱۳) الأشهر الحرم هى أربعة: ثلاث منها متواليات هى ذو القعدة و ذو الحجة و محرم، و الرابع هو شهر رجب الذى يقع بين جمادى و شعبان ..

(۱۴) اهم الأسواق عند العرب هى: سوق عكاظ، المربد، ذى المجاز، هجر،

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۸۶

اليمن و الشام» «۱۵» ..

و إلى جـانب كل هـذه كانت هناك أيضا «عادات و تقاليـد ظالمـة و جائرة لا تتلاءم مع أبسط قواعـد العـدل و الإنصاف و لا تتفق مع أدنى و أبسـط حقوق الإنسان» «۱۵» و هـذه العادات البالـية و إن لم تكن شائعة بين صـفوف أبناء كافة القبائل و سـكان المدن إلا أنها كانت منتشـرة بين بعض أمهات هذه القبائل، و من هذه التقاليد الغابرة الربا و شـرب الخمر و الميسـر و الدعارة و وأد البنات و تمليكها

كجزء من تركة المتوفى و اشعال نيران الحروب لسبب بسيط أو بدونه كحرب الفجار و داحس و الغبراء و البسوس و التى قامت بين قبيلتى تغلب و بكر و امتدت إلى أربعين عاما هلك فيها الآلاف من أبناء القبيلتين، هذا بالإضافة إلى انتشار عبادة الأوثان و الأصنام «۱۷» بين كثرتهم الكاثرة إلا من بعض الأفراد ممن يدعى بالحنفاء حيث كانوا يعبدون اللّه سبحانه و يكفرون بما سواه مثل ورقة بن نوفل و غيره من القرشيين ..

هذه هى حالة المجتمع العربى و هذا هو تاريخه واضحا و ساطعا و موجزا عند بدء نزول الوحى الأمين على صدر الرسول (ص) و بدء ساعة الصفر فى الثورة الإسلامية المباركة ..

مجنة، دومة الجندل و هذه كلها اسواق سنوية «حولية» كما و هناك أسواق أسبوعيه مثل «سوق الخميس و الاثنين و الثلاثاء».

و كانت الأسواق تزخر بالناس من تجار و صناع و ادباء و خطباء و شعراء و ساسة و أشراف للبحث و التداول فى الشئون التجارية و الاقتصادية و الخطابية و السياسية .... الخ.

(۱۵) نظرة عامة فى تاريخ الفقه الإسلامى- الدكتور على حسن عبد القادر ..

(۱۷) قيل فى التفريق بين الأصنام و الأوثان ان الصنم هو ما عمل من خشب أو ذهب أو فضة على صورة انسان و إذا عمل هذا من حجارة فيصبح وثن ..

و هناك من لا يفرق بينهما: انه إذا كان ما يعبد حجرا على غير صورة فهو نصب و ان كان تمثالا سمّى صنما و وثنا ..

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۸۷

فكيف- يا ترى- سيكون وقع صوت الوحى و نداء الحق على مسامع أفراد هذا المجتمع و كيف سيغدو اثره و انعكاساته على أفكارهم و أحلامهم و كيف ستكون استجابتهم له ..

ان كل الإجابات على التساؤلات الآنفة ستكون مواضيع الفصول التالية بإذن اللّه ..

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۸۹

القرآن فى طريقه إلى الأرض

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۹۱

نزل القرآن الكريم على الرسول (ص) نجوما «نجما» فى مدة ۲۳ سنة و هى «الفترة التى تكامل فيه الكتاب العظيم نزولا و ترتيبا بين سوره و آياته» «۱» و ذلك استنادا إلى بقاء و اقامة الرسول (ص) فى مكة المكرمة قبل الهجرة مدة ۱۳ «۲» سنة و اقامته فى المدينة المنورة من بعدها مدة ۱۰ سنوات حتى لحق برحاب ربه راضيا مرضيا ..

و قيل إنه نزل فى أقل من ذلك و على وجه التحديد و الحصر فى مدة ۲۲ سنة و ۳ شهر و ۲۲ يوم «۳».

و كان أول ما نزل من القرآن هو ما جاء فى دعوته سبحانه لرسوله و ابناء الأمة كافة للقراءة و التعليم و تذكيرهم بخلقتهم الأولى و أصل نشأتهم اضافة للإشارة إلى وحدانيته و عطفه على الخلق بقوله تعالى: اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ، خَلَقَ الْإِنْسانَ مِنْ عَلَقٍ، اقْرَأْ وَ رَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِى عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسانَ ما لَمْ يَعْلَمْ «۴» ..

لقد كان نزول هذه الآيات الكريمة يوم الاثنين ۱۷ رمضان للسنة

---

(۱) التعبير الفنى فى القرآن- الدكتور بكرى شيخ أمين.

(۲) و فى هذا المعنى قال الشاعر:

ثوى فى قريش بضع عشرة حجةيذكّر لو يلقى صديقا مواتيا

(۳) الاتقان فى علوم القرآن- جلال الدين السيوطى.

(۴) سورة العلق- الآية الأولى و ما بعدها.

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۹۲

۴۰ من ميلاد الرسول (ص) المصادف ۱ شباط أو ۶ آب (بقول آخر) من سنة ۶۱۰ ميلادية، و فى غار حراء فى أعلى جبل النور الذى يقع على بعد ۵ كيلومتر من مكة و على يسار الشخص المتجه إلى منى و عرفات من مكة، و الذى كان الرسول (ص) يتعبّد فيه و يخلو به قبل أن يبعثه اللّه بالرسالة و يصطفيه بالنبوة ..

كانت ساعة الصفر فى قيام الثورة الإسلامية قد دقت عند ما دوّى جنبات غار حراء صوت عال متسم بالوضوح و الجلاء و قاضيا على سكون الغار و صمته مخاطبا الرسول (ص) ب: اقرأ فيجيبه ما أنا بقارئ ...؟ و هكذا يتكرر النداء ثلاثا حتى يعود الصوت لينشد البيان الأول لقيام الثورة و بدء مرحلة القضاء على أوكار الوثنية و قلاع الكفر و تصفية جيوب الانحراف و المقاومة، و هذا البيان التاريخى كان: اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ ... الخ.

و ما كان على الرسول (ص) بعد أن أصبح الثائر الأول على الأرض العربية إلا أن يردد فى تؤدة و هدوء كلمات هذا البيان الذى سمعه لتوه مرة و مرة و مرات بعد أن يكون الطارق الجديد قد أنهى مهمته الأولى فى نقل البيان الأول و انصرف عائدا لا يلوى على شىء ..

و ما هى إلا لحظات قليلة حتى يغادر الرسول (ص) موقع الغار مسرعا تلقاء داره ليخفّف عن كاهله وطأة هذا الحدث الجبار الذى ألمّ به، و ليرى فيه من يفسر له حقيقة ما سمعه لتوه، و ما أن يتوسط الجبل و إذا به (ص) يسمع من أعالى السماء نداء مماثلا للذى سمعه قبل قليل يقول له: «يا محمد أنت رسول اللّه إلى الناس كافة و أنا الأمين جبرائيل» و ينقطع الصوت و يغيب الوحى ليخيم على جنبات المنطقة و الوديان التى تتخللها صمت رهيب كصمت القبور ..

لقد عرف الرسول (ص) اثر هذا و ذاك أن الأمر لم يكن إلا حقيقة و واقعا و أنه غدا من هذه اللحظة رسول الثورة إلى الناس كافة. و ان عليه

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۹۳

الآن أن يكون فى مستوى المهمة التى أوكلت له، و أن كل الذى حصل له فى سواد يومه لم يكن من خيالات النفس و أوهام اليقظة بل الحقيقة الواضحة و الواقع الجلى وضوح الشمس و جلاء النور لذى عينين ...

جاء النبى (ص) بعد كل هذه الأحداث المتتابعة إلى داره من أقصر الطرق، و من دون أن يعرّج أو يمر بأحد و حال وصوله إلى أرض الدار يلقى بنفسه إلى حجر زوجته خديجة بنت خويلد «۵» طالبا منها أن تدثره على الفور، فما عتمت هذه الزوجة البارة أن لمست من خلال قسمات جبين زوجها أن شيئا جديدا قد حدث له فى يومه هذا، فقادها تفكيرها إلى أن أمرا خطيرا قد كلف زوجها (ص) به، و لكن- يا ترى- ما هو حقيقة كل ذلك حيث لا أحد يعرف سر ذلك إلا شخص واحد فقط على وجه البسيطة و هو زوجها (ص) ..

لذا استجمعت قواها و صممت على الوقوف على حقيقة الأمر، فاقتربت منه (ص) و سألته عما شاهد أو سمع فى سحابة يومه، و لكنه (ص) طلب منها التريث قليلا ليقصّ عليها بعد حين حقيقة الوحى الذى نزل عليه و الرسالة التى كلف القيام بها و البيان الأول الذى سمعه لتوه ..

و بعد صمت مطبق خيّم على أرجاء الغرفة اثر نقل حركة الدعوة الإسلامية إلى أسماع المرأة التى أصبحت المسلمة الأولى فى التاريخ، فإذا بها تجيب زوجها بكلام يطمئن قلبه و يبعث فيه السكينة و الهدوء بقولها: «كلا و اللّه ما يخزيك اللّه أبدا، انك لتصل الرحم و تحمل الكل

(۵) خديجة بنت خويلد (الكبرى) هى الزوجة الأولى للرسول (ص) حيث تزوجها بعد وفاة زوجها و عمرها (۴۰) سنة بينما كان عمر الرسول (۲۵) سنة، و لم يتزوج الرسول عليها حتى انتقالها إلى جوار اللّه تعالى، و لأموالها- رحمها اللّه- دخل كبير فى انتصار الإسلام و نشر رسالته حتى قيل فى الأمثال: لم يقم للإسلام قائمة إلا بكفاح النبى (ص) و أموال خديجة و سيف على- ع- و كانت أول مسلمة فى الإسلام، توفيت فى السنة التى توفى فيها أبو طالب عم النبى فكان عاما للأحزان و نكسة للمسلمين و هى السنة الثالثة قبل الهجرة ..

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۹۴

و تكسب المعدوم و تقرى الضيف و تعين على نوائب الحق، فابشر يا ابن العم و اثبت فو الذى نفس خديجة بيده انى لأرجو أن تكون نبى هذه الأمة» ..

فوضعت يدها فى يده (ص) لتصبح أول من يلبى دعوة السماء و نداء الثورة من النساء، ثم يدخل بعد فترة صهرها امام الهدى على بن أبى طالب- ع- ليضع هو الآخر يده فى يد ابن عمه (ص) ليكون أول من يسلم من الرجال، ثم يليها بعد ذلك أبو بكر الصديق (رض) ليصبح المسلم الثالث على وجه الأرض ..

لم يهدأ روع خديجة من كل الذى سمعته و لم يقر لها قرار و باتت فى انتظار من يطمئن لها قلبها و يزيد فى يقينها و ما آمنت به، فلم تجد بدا من الإسراع تلقاء الدار التى كانت تقيم فيها سابقا حيث يقطنها قريبها ورقة بن نوفل بن عبد العزى «۶» ففاتحته بالقصة كاملة فى انتظار ما سيجيب عليها من أجل أن يطمئن قلبها و تزداد قوة و مضاء فى دعم الرسالة الجديدة ..

فما كاد ورقة يفرغ من سماع حديث خديجة حتى انتفض قائما و كأنه عثر على ما كان يبحث عنه و أجاب خديجة بقولته الشهيرة التى تحدث بها الركبان و التى جاء فيها: «لئن كنت قد صدقتينى يا خديجة فيما قلتيه لى- و ما أظنك إلا صادقة- فقد جاء زوجك أمين الوحى (الناموس) الذى اتى موسى من قبل و أنه لنبى هذه الأمة، فقولى له

---

(۶) ورقة بن نوفل ينتسب إلى قريش و هو حكيم جاهلى، اعتزل الأصنام و الأوثان و تنصر قبل الإسلام و كان شيخا كبيرا قد كف بصره، و قد قرأ كتب الأديان و اطّلع على ما ورد فيها بصدد النبى الموعود و الرسول المنتظر، و كان يكتب اللغة العربية بالحروف اللاتينية، أدرك عصر النبوة و لم يدرك الدعوة، و هناك من يعده من الصحابة و له شعر جميل سلك فيه مسلك الحكماء، توفى- رحمه اللّه- نحو سنة ۱۲ قبل الهجرة ..

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۹۵

فليثبت فإنه ذائق من قومه ما ذاقه اخوانه موسى و عيسى من قبله، فطوبى لمن يؤمن به و من يصدّقه» «۷» ..

و عادت خديجة و هى مثقلة بالأقوال التى سمعتها آنفا إلى زوجها لتروى له كل ذلك من أجل مضاعفة عزيمته و تصميمه على النضال و الكفاح، فحكت له (ص) كل ما سمعته، فما كان منه (ص) إلا أن حمد اللّه تعالى على ما اصفاه لأداء الرسالة و آثره لتبليغها إلى الناس كافة رغم ما سينتظره فى سبيل ذلك من عقبات و مكاره و هو أمر طبيعى عند طرح أية فكرة جديدة و نشرها بين صفوف أناس يؤمنون بسواها ..

هذا و أن الوحى الذى جاء الرسول (ص) كان قد انقطع عن النزول عليه مدة قيل أنها (۴۰) يوم و قيل ثلاث سنوات و هى المدة التى تدعى ب «فترة انقطاع الوحى» و هى الفترة التى اتخذت الدعوة و الثورة فيها جانب السرية و التكتم و لم تصل أنباؤها و أخبارها إلى صفوف قريش و أقطابها، لذا لم تلق الدعوة فى طريقها أية عقبة أو معارضة من قبل طواغيت مكة و طغاتها ..

ثم يعود الوحى بعد مضى هذه الفترة- و هى ثلاث سنوات على أصح الأقوال- و بعد أن «تركه خلالها فى حيرة يزرع دروب الصحراء الملتهبة يكاد يجزع من أمر هذا الصوت الذى نزل عليه ثم انقطع عنه» «۸» يعود ليستأنف نزوله كرة أخرى لمتابعة تبليغ البيانات الإعلانات التالية للثورة حيث كان البلاغ و البيان الثانى و التالى هو: يا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ وَ رَبَّكَ فَكَبِّرْ وَ ثِيابَكَ فَطَهِّرْ وَ الرُّجْزَ فَاهْجُرْ

وَ لا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ «۹».

و عند الفراغ من اذاعة هذا البيان شعر الرسول (ص) بمبدإ أو

---

(۷) القرآن- محمد صبيح.

(۸) القرآن- محاولة لفهم عصرى- مصطفى محمود.

(۹) المدثر: ۱۰ و ما بعدها.

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۹۶

انتقال الدعوة و الثورة من عهد السكون و التخفى إلى عهد الحركة و المجابهة، لذا فقد توجه الرسول (ص) إلى جبل الصفا بمكة و وقف على قمته ثم هتف برفيع صوته: «يا معشر قريش .. يا معشر قريش ...» فاجتمعت جموع البلد و فرسان قريش من كل حدب و صوب، ثم استأنف الرسول (ص) قوله: «يا معشر قريش أ رأيتم لو أخبرتكم أن خيلا- بسفح هذا الجبل تريد أن تغير عليكم أ كنتم تصدقونى ..؟» فأجابت جموع قريش المحتشدة: «نعم أنت عندنا غير متهم و ما جرّبنا عليك كذبا قط» فقال النبى (ص): «إذن فاسمعوا أنى نذيركم بين يدىّ عذاب شديد، إن اللّه أمرنى أن أنذركم و عشيرتى الأقربين و انى لا أملك من الدنيا منفعة و لا من الآخرة إلا أن تقولوا لا إله إلا اللّه» ..

و كان عمه أبو لهب «۱۰» من الحاضرين فأجاب غاضبا: «أ لهذا جمعتنا هذا اليوم تبا لك، تفرّقوا أيها الناس عن هذا الضال و لا تعيروا لقوله أذنا واعية أو كبير أهمية» فتفرّق القوم هنا و هناك ..

و مرة ثانية يدعو (ص) عشيرته و أقاربه لمأدبة اعدها الإمام على- ع- فى بيت أبيه أبى طالب و بعد اكتمال نصابهم و انتظام جمعهم الذى بلغ الأربعين فردا خطبهم الرسول (ص) فقال: «ألا و ان الرائد لا يكذب أهله، و اللّه لتموتن كما تنامون و لتبعثن كما تستيقظون و لتحاسبن كما تعملون و لتجزون بالإحسان احسانا و بالسوء سوءا و أنها لجنة أبدا أو نارا أبدا ..» ثم أضاف (ص): «يا بنى عبد المطلب إنى و اللّه ما اعلم

---

(۱۰) رغم ان أبا لهب هو عم الرسول (ص) إلا أن هذه القرابة لا تغنى عن اسلامه شيئا، فالإسلام هو المعول عليه فى الإكرام و القرابة و هو الحجر الأساس فى رفعة الفرد و عزته لا أى اعتبار آخر و فى هذا المعنى قال الشاعر:

لقد رفع الإسلام سلمان فارسو قد وضع الشرك الشريف أبا لهب كما و قال شاعر آخر فى هذا المعنى:

كانت مودة سلمان لهم رحماو لم يكن بين نوح و ابنه رحم

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۹۷

إنسانا فى العرب جاء قومه بأفضل مما جئتكم به، لقد جئتكم بخير الدنيا و الآخرة و قد أمرنى ربى ان أدعوكم إليه فأيكم يؤمن به و يؤازرنى على هذا الأمر على أن يكون أخى و وصى و وزيرى و خليفتى فيكم».

فسكت الجميع ثم ضحك البعض ساخرين من هذه القولة، بينما نهض من بينهم الإمام على- ع- و قال: «أنا يا نبى اللّه أكون وزيرك على ما بعثك اللّه به و حرب على من حاربت و سلم لمن سالمت» ..

فقال الرسول (ص) بعد أن أخذ برقبة الإمام على- ع-: «هذا أخى و وصيى و وزيرى و خليفتى من بعدى فيكم فاسمعوا له و اطيعوا» «۱۱» ..

و بعد هذه الواقعة اخذت الآيات الكريمة تأخذ طريقها تباعا إلى صدر الرسول (ص) من دونما انقطاع أو تأخير حيث مضى إلى غير رجعة عهد سرية الدعوة و انقلبت هذه إلى معركة علنية، و أخذ أفراد المسلمين يزدادون و يتضاعفون بمرور الوقت و شيئا فشيئا، كما

أخذت فى نفس الوقت مقاومة قريش و عدوانها هو الآخر يزداد و ينمو من أجل الحد من اندفاع حركة الدين الجديد و إيقاف زخم تقدمه و تفشيه و بالتالى محاولة القضاء عليه و هو عقر داره ..

و لكن حكم اللّه تعالى و امره كان قد تقرر و صدر و مفاده هو أن يكون النصر و الفلاح فى النهاية حليفا لهذا الدين الجديد و ثواره البواسل، و أن تكون جهود و مساعى اعدائه من القرشيين و طواغيت الكفر و من شايعهم إلى بوار و فشل، فكان كما أراد اللّه تعالى إذ انتصرت الدعوة الجديدة و عم الدين الحنيف بطاح الأرض و تمزق أعدائه بين مشهر لإسلامه و بين صريع تحت سنابك خيول المسلمين و سيوفهم تلاحقهم لعنة التاريخ و البشرية ..

أما عن آخر ما نزل من القرآن الكريم فهو قوله تعالى: الْيَوْمَ

---

(۱۱) حياة محمد- الدكتور محمد حسين هيكل (الطبعة الأولى)، الإسلام على ضوء التشيع- الشيخ حسين الخراسانى، بحار الأنوار- محمد باقر المجلسى.

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۹۸

أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَ أَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَ رَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلامَ دِيناً «۱۲» و لم ينزل على النبى (ص) بعد هذه الآية شىء من الفرائض و لا تحليل و لا تحريم شىء ..

و قد هبطت هذه الآية فى غدير خم بين مكة و المدينة بعد الخطبة الشهيرة التى ألقاها الرسول (ص) على جموع المسلمين الذين تجاوز عددهم على المائة ألف نسمة، و حين الفراغ من حجة الوداع عام ۱۰ هجرية و قبل أن يتفرّق هؤلاء المسلمون و ينطلقوا إلى أمصارهم و ديارهم و هى الخطبة المسماة ب «خطبة الوداع» حيث أحاط بها الرسول (ص) المسلمين علما بأحكام دينهم و شئون دنياهم فخوّفهم من عذاب اللّه و رغبهم فى رضوانه و عبّد لهم السبيل موصل للوحدة و الحرية و العدالة الاجتماعية، كما و حذرهم منها من ارتياد و سلوك الطرق المفضية للخلاف و الشقاق و النزاع و مؤكدا فيها بلزوم التمسك بالثقلين كتاب اللّه و عترته الطاهرة حيث انهما لن يفترقا حتى يردا عليه الحوض يوم القيامة، و قد حرص (ص) بعد كل أمر أو نهى على ترديد العبارة الخالدة: «ألا هل بلغت اللهم اشهد» «۱۳».

و قد كان تاريخ إلقاء هذه الخطبة على وجه الحصر فى ۱۸ ذى الحجة من السنة العاشرة للهجرة حيث كان عمره الشريف (ص) حينذاك ۶۳ سنة و قبل ارتحاله إلى رحاب اللّه بفترة قصيرة ..

كما و قد قيل هنا أن آخر ما نزل من القرآن هو قوله تعالى: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَ ذَرُوا ما بَقِيَ مِنَ الرِّبا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ «۱۴»، و قيل كذلك هو قوله تعالى: يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ

---

(۱۲) المائدة: ۳.

(۱۳) الغدير فى الكتاب و السنة- الشيخ عبد الحسين الأمينى.

(۱۴) البقرة: ۲۷۸. لمحات من تاريخ القرآن ۹۹ القرآن فى طريقه إلى الأرض

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۹۹

فِي الْكَلالَةِ «۱۵»، كما و قيل أن آخر ما نزل هو قوله سبحانه: وَ اتَّقُوا يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ ما كَسَبَتْ وَ هُمْ لا يُظْلَمُونَ «۱۶».

و السر فى اختلاف الروايات فى آخر ما نزل من القرآن هو غلبة ظن الرواة و اجتهاداتهم، فكل واحد يروى ما سمعه من الرسول (ص) قبل مرضه ثم فارقه ..

هذا ما كان من حال آخر آية نزلت من القرآن، أما بشأن نزول آخر سورة كاملة على الرسول (ص) فقد قيل «۱۷» هى سورة براءة كما و قال آخرون أنها سورة الأنعام و التى ذكر أنه «قد شيّعها سبعون ألف ملك لهم زجل بالتسبيح و التحميد حتى نزلت على الرسول (ص) «۱۸»» ..

أما عن أول أول سورة نزلت بتمامها على الرسول (ص) فقد قيل أنها سورة الفاتحة «۱۹» و قيل غيرها ..

و نشير بعد ذلك إلى أنه سبق أن قلنا فى مطلع هذا الفصل إلى أن القرآن الكريم كان قد نزل نجوما أى متفرقا و دفعة دفعة، فكيف- يا ترى- يمكن أن نوفق بين قولنا هذا و بين ما جاء فى قوله تعالى: شَهْرُ رَمَضانَ الَّذِى أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدىً لِلنَّاسِ وَ بَيِّناتٍ مِنَ الْهُدى وَ الْفُرْقانِ «۲۰» و قوله سبحانه: إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِى لَيْلَةِ الْقَدْرِ ..

أن الجواب على هذا التساؤل يتلخص فى أن المقصود من الآيات الكريمة الآنفة الذكر هو أن اللّه تعالى كان قد أنزل القرآن الكريم جملة واحدة فى ليلة القدر من شهر رمضان المبارك أنزله إلى اللوح المحفوظ ثم إلى بيت العزة من السماء الدنيا، ثم تولى سبحانه إنزال الآيات تباعا

---

(۱۵) النساء: ۱۷۶.

(۱۶) البقرة: ۲۸۱، التعبير الفنى فى القرآن- الدكتور بكرى شيخ أمين.

(۱۷) البرهان فى تفسير القرآن- السيد هاشم البحرانى.

(۱۸) مقدمتان فى علوم القرآن- آرثر جفرى.

(۱۹) مجلة منبر الإسلام- العدد العاشر تفسير سورة الفاتحة.

(۲۰) البقرة: ۱۸۵.

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۱۰۰

و متفرقة من المكان الأخير إلى صدر الرسول (ص) مدة بعثته و بحسب الحاجة و الطلب، و هذا يعنى «أن هناك ثلاثة تنزلات للقرآن الكريم» «۲۱» ..

و يرتب البعض «۲۲» على تعدد التنزلات هذه هو «ان الرسول (ص) حين تنزل عليه الآيات و السور كان على علم سابق بمحكم القرآن لنزوله عليه جملة دفعة واحدة و هو ما يلوح من قوله تعالى: وَ لا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضى إِلَيْكَ وَحْيُهُ «۲۳» ..

لقد أشرنا آنفا إلى أن القرآن الكريم لم ينزل على الرسول (ص) من السماء الدنيا جملة واحدة و دفعة واحدة لأنه لو فرضنا- جدلا- أنه نزل بهذه الكيفية- جملة واحدة- لتحوّل عاجلا إلى كلمة مقدسة ساكنة و فكرة هادئة و مجرد وثيقة دينية، و ليس مصدر و سبب لبعث الأمل و الحياة فى الفكرة الناشئة و الدعوة الجديدة، إضافة إلى ذلك فإن نزوله جملة واحدة سيكون «للكافرين وجه من العذر يلبس الحق بالباطل و ينفّس عليهم أمر الإعجاز و يهوّن فى أنفسهم من الجملة بعض ما لا يهون من التفصيل» «۲۴» ..

أجل لم ينزل القرآن جملة واحدة على صدر الرسول (ص) و إنما نزوله هذا كان مفرقا كل بضع آيات معا و دفعة دفعة و ذلك لأسباب عديدة منها تسهيل حفظه و ضبطه و ليكون أقرب للفهم و القبول و أبعد عن النسيان، و كان «نزوله نجوما حسب مقتضيات حوادث المجتمع الإسلامى، لذا سميت هذه الحوادث بأسباب النزول» «۲۵» نحو جواب

---

(۲۱) دراسات فى علوم القرآن- عبد القهار العانى.

(۲۲) موجز علوم القرآن- داود العطار.

(۲۳) طه: ۱۱۴.

(۲۴) اعجاز القرآن و البلاغة النبوية- مصطفى صادق الرافعى.

(۲۵) تاريخ التشريع الإسلامى- الشيخ محمد الخضرى، فلسفة التشريع فى

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۱۰۱

على بعض الأسئلة و الاستفسارات التى يسأل عنها الرسول الأمين أو بيان لأنواع التكاليف الدينية و الأخبار عن الحوادث و الأحداث السابقة و الإشعار عن المغيبات و الوقائع القادمة، اضافة إلى ذلك فإن نزوله بهذه الطريقة كان يراعى فيه «الحاجات المتجددة و وفق النمو المطّرد فى الأفكار و التصورات و النمو المطّرد فى المجتمع و الحياة و وفق المشكلات العملية التى تواجهها الجماعة المسلمة فى حياتها الواقعية» «۲۶» ..

كما أن نزوله بهذه الكيفية كان يبتغى منه العزاء العاجل لكل ألم أو مصيبة تلم بالرسول و آله و أصحابه و الجزاء لكل تضحية و الأمل لكل هزيمة و الدرس لكل نصر و الجهد لكل عقبة و اسباب التشجيع لكل خطر أو عقبة، فضلا عن أن نزوله بهذا السبيل كان يراعى فيه أيضا تقبل العرب لاستبدال عاداتهم القديمة بالأحكام الجديدة.

هذا و يمكن هنا اجمال و حصر كافة الأسباب الحقيقية فى نزول القرآن منجما على الرسول (ص) و التى أشرنا إليها آنفا، يمكن اجمالها فى نقاط عدة ليتاح للقارئ حفظها عند اللزوم و هى.

۱- أن نزول القرآن منجما هو من أجل أن يقوى قلب الرسول (ص) عند محاجة قومه و تحديهم بأن يأتوا بمثله، لأن الوحى إذا كان يتجدد فى كل حادثة و فى كل واقعة كان أقوى و أثبت للقلب و اشد عناية و رعاية بالرسول ..

۲- أن نزوله مفرقا و شيئا فشيئا هو أقرب و أسهل للحفظ و الاستظهار و التدوين فيما إذا هبط جملة واحدة، و لا سيما و انه ليس لدى غالبية العرب من الوسائل الكتابية ما يضبط أو يحفظ كل ما ينزل من الوحى إلا وسيلة التكرار و الحفظ ..

الإسلام- الدكتور صبحى المحمصانى لقد تم اعداد فصل خاص بأسباب النزول فى نهاية الكتاب.

(۲۶) معالم فى الطريق- سيد قطب.

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۱۰۲

۳- آثر اللّه سبحانه أن يكون هناك ناسخ و منسوخ فى الآيات المنزلة فربما حكم كانت المصلحة و الرحمة بالناس تتطلب اخذهم به على مراحل كتحريم الخمر مثلا، و لا يمكن أن يتصور حصول هذا الأمر بدون أن ينزل القرآن متفرقا ..

۴- تطلّبت الحكمة و أساليب الدعوة بأن يكون من القرآن أجوبة لاستفسارات و حلا لمشكلات واقعة و بيان الحوادث و وقائع و انكار على قول ليكون أقرب للقبول و أبعث لليقين و لا يكون ذلك إلا إذا جاء القرآن دفعة دفعة و أثر كل استفسار و بعد كل قول أو طلب ..

علما بأن قليلا ما كانت تنزل الأحكام مبتدئة بغير سؤال من أحد الناس، أما الأحكام التى أنزلت بدون حادث أو سؤال فهى آيات تقل كثيرا جدا عما جاء اجابات على أسئلة متصلة بأحداث معينة ..

۵- لو أن القرآن الكريم نزل كله جملة واحدة لكان لانقطاع الوحى عنه (ص) بعد ذلك اثر كبير فى استشعاره الوحشة و الغربة، و مهما يكن الرسول قد اوتى من العزيمة و الصبر فإن لبشريته أيضا أثرا بينا فى حياته ما دام بشر «۲۷» ..

۶- أن فى التفريق رحمة و لطفا للعباد، فلو نزل القرآن دفعة واحدة لثقلت التكاليف و الأعباء فتنفر لذلك قلوبهم و ترفض نفوسهم عن قبول كافة الأوامر و النواهى فى آن واحد و دفعة واحدة ..

لذا جاء التشريع متدرجا مع الوقائع الفردية و الأحداث الاجتماعية تبعا لنزول القرآن و هبوطه متفرقا و نجوما لأن التدرج مع التنظيم خير من العجلة و السرعة مع الفوضى و الارتباك ..

هـذا و لو لا أن الحكمـة الإلهية و الرغبة الربانية قد آثرت نزول القرآن إلى الأرض منجما بحسب الوقائع و المناسبات لأهبطه اللّه على الرسول

---

(۲۷) التعبير الفنى فى القرآن- الدكتور بكرى شيخ أمين.

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۱۰۳

(ص) جملـة واحـدة كأغلب الكتب الدينيـة المنزلة من قبل، و لكن اللّه تعالى اختصّ و ميّز القرآن عنها فجعل لها الحسـنيين، فى إنزاله جملـة واحـدة إلى سـماء الـدنيا ثم إنزاله من المحل الأخير إلى الأرض مفرّقا، و هذا هو تشـريفا و تكريما من اللّه تعالى للمنزل عليه و المنزل به و تعظيما لهما ..

و بصـدد عـدد و كميـة الآيـات التى كـانت تنزل فى كـل دفعـة على الرسول (ص) فـالحق أنهـا كانت تنزل نجوما الواحـدة و الاثنان و الأـكثر، كما و قيل «۲۸» أنه صـح نزول بعض آيـة على الرسول (ص) كمـا فى قوله تعـالى: «غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ» «۲۹» و كذلك فى قوله سبحانه: «وَ إِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً» «۳۰» ..

كمـا و قـد كانت تنزل تارة سورة بجملتها كما فى الفاتحـة و المـدثر و يوسف و الأنعام، و يقال عن السورة الأخيرة أنها نزلت كلا فى مكة المكرمة دفعة واحدة عدا ثلاث آيات منها نزلت فى المدينة المنورة.

«كانت هذه الآيات و السور تنزل عليه (ص) بين وقت تتابع أحيانا و تبطئ أحيانا أخرى» «۳۱» ..

و القاعـدة العامـة بخصوص نزول السور كاملـة هو أن كل سورة يتّحـد موضوعها أو تتـداعى مواضـيعها تداعيا كبيرا و يلتزم فيها نسق معين فيرجـح أنهـا نزلت جملـة واحـدة بينما نجـد أن السور التى تختلف مواضـيعها و تتباعـد و لا تتـداعى و لا تلتزم بآياتها نسق معين فيرجح نزولها متفرقة ..

و هكـذا و على الـترتيب و السبيـل المتقـدم كـان نزول الآيـات على الرسول «ص» حـتى أكملت الشـريعة الإسـلامية الغراء بتمـام نزول القرآن.

---

(۲۸) مباحث فى علوم القرآن- الدكتور صبحى الصالح، تاريخ القرآن- ابى عبد اللّه الزنجانى.

(۲۹) النساء: ۹۵.

(۳۰) التوبة: ۲۸.

(۳۱) المصحف الشريف- الدكتور محمد عبد العزيز مرزوق.

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۱۰۴

أما أساس هذه الشريعة فى القرآن فقد روعى فيه الأمور الثلاثة التالية و هى «۳۲»:

۱- عدم الحرج: و هو عدم تكليف الإنسان فوق طاقته، اضافة إلى التسهيلات التى يجدها عند الضرورات.

۲- تقليل التكاليف: و ذلك إلى أدنى حد ممكن لقوله (ص):

«جئتكم بالشريعة السهلة السمحاء» ..

۳- التـدرج فى التشـريع: و ذلك حتى تتقبل للأحكام البدائية و الأولية و تعتاد على ممارسـتها ليمكن اسـتجابتهم بعد ذلك و بسـهولة لأحكام رئيسية اخرى، فضلا عن أن عملية تغيير الإنسانية و بنائها- و الذى جاء القرآن من أجلها- يستدعى و يتطلب هذا التدرج ..

هذا و قد اسـتعمل القرآن الكريم فى أسلوبه و بيانه الحقيقة و المجاز و العموم و الخصوص و الإطلاق و التقييد و التصريح و الكناية و الإيجـاز و الإسـهاب على نمط العرب فى لغتهم و كلامهم مع علوّه و سـموّه على اللغـة العربيـة بفنونه و علومه و قصـصه و تعابيره على

النحو الذى سنراه مفصلا فى الفصول القادمة ..

أما عن كيفية مجيء الوحى إلى الرسول (ص) أو بتعبير آخر كيف كان الرسول أو غيره من الأنبياء و المرسلين يتلقون آيات اللّه البينات المنزلة عليهم، فأشير إلى أن هذا الأمر كان يتم على واحد أو أكثر من الوسائل و الطرق التالية:

١- أن يسمع الرسول أو النبى كلام الملك (الوحى) من وراء حاجز دون أن يشاهده أو يراه بعينه ..

٢- أن يسمع الرسول كلام الملك كما و يراه أمامه جليا، و هذا

---

(٣٢) تاريخ التشريع الإسلامى- الشيخ محمد الخضرى.

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ١٠٥

الوضع هو الذى يفرّق و يميز بين درجة الرسول و درجة النبوة (الرسالة و النبوة) فالرسول وحده هو الذى فى استطاعته و مكنته مشاهدة الملك و سماع قوله فضلا عن أن دعوته تكون عامة و شاملة، بينما النبى الذى تكون دعوته محدودة و محصورة ببلده أو قومه أو ربما بأهل بيته يكون اتصاله و ارتباطه بالملك محدودا أيضا و فى إطار و حدود السماع فقط دون الرؤية و المشاهدة ..

٣- أن يأتى الملك للرسول أو النبى فى النوم (اليقظة) فيكلمه حول الآيات المنزلة، علما بأن رؤيا الرسول أو النبى لا تأتى إلا كمثل فلق الصبح أو الشمس فى رابعة النهار وضوحا و جلاء و كما هو الحال فى رؤيا الخليل إبراهيم و مشاهدته و هو يذبح ولده إسماعيل و رؤيا الرسول محمد (ص) حول دخوله البيت الحرام آمنا ..

و قيل أن هناك علاوة على ما تقدم طرق و سبل أخرى للاتصال و التلقى من الوحى منها أن ينفث الوحى فى روع الرسول الكلام المنزل نفثا و منها أن يأتيه كصلصلة الجرس أو أن يكلمه من وراء حجاب «٣٣» ..

كما و نود أن نشير هنا أيضا إلى أمر آخر و هو هل سبق و ان نزلت سور أو آيات لأكثر من مرة واحدة على صدر الرسول (ص) عند تجدد نفس الحادثة أو السبب الذى نزلت من أجله السورة أو الآية، و هو المعبر عنه ب «تعدد النازل و السبب واحد» أو عند عدم تجدده ..

لقد قيل بصدد هذه الحالة أنه لا يمنع من ذلك، فهناك آيات و سور عديدة فى القرآن الكريم نزلت مرتين فيقال بأن «سورة الفاتحة نزلت على الرسول مرتين» «٣۴» و أنها مكية مدنية معا، فقد «نزلت بمكة حين فرضت الصلاة ثم نزلت بالمدينة حين حوّلت القبلة إلى الكعبة» «٣۵» ..

---

(٣٣) روح الدين الإسلامى- عفيف عبد الفتاح طبارة.

(٣۴) البرهان فى علوم القرآن- بدر الدين الزركشى.

(٣۵) تفسير النسفى- عبد اللّه النسفى.

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ١٠۶

و قيل أيضا أن الآية وَ يَسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَ ما أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا «٣۶» هى الأخرى نزلت مرتين فى مكة و المدينة «٣٧» ..

أما علة نزول السور أو الآيات لمرتين أو أكثر فيقال أنها لأجل التعظيم و التذكير و «لحكمة أرادها اللّه» «٣٨» ..

هذا و مثلما هناك سور أو آيات نزلت مرتين فهناك أيضا آية أو آيات تتشابه فيما بينها باللفظ أو مع وجود فرق بسيط بينهما فى بعض الكلمات أو التراكيب ..

و من هذا النوع هو قوله تعالى: وَ اتَّقُوا يَوْماً لا تَجْزِى نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئاً وَ لا يُقْبَلُ مِنْها شَفاعَةٌ وَ لا يُؤْخَذُ مِنْها عَدْلٌ وَ لا هُمْ يُنْصَرُونَ

«۳۹» و قوله سبحانه: وَ اتَّقُوا يَوْماً لا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئاً وَ لا يُقْبَلُ مِنْها عَدْلٌ وَ لا تَنْفَعُها شَفاعَةٌ وَ لا هُمْ يُنْصَرُونَ «۴۰» و هكذا فى آيات أخرى «۴۱» ..

و قيل هنا بصدد هذا التشابه النسبى فى الآيات هو أن نزول الآية الثانية المماثلة للأولى نسبيا إلا فى بعض الكلمات و الألفاظ هو بسبب تجدد نفس الواقعة السابقة التى نزلت من أجلها الآية الأولى عدا تغيير

---

(۳۶) الإسراء: ۸۵.

(۳۷) البرهان فى علوم القرآن- بدر الدين الزركشى.

(۳۸) دراسات فى علوم القرآن- عبد القهار العانى.

(۳۹) البقرة: ۴۸.

(۴۰) البقرة: ۱۲۳.

(۴۱) مثل قوله تعالى فى سورة التوبة الآية: ۵۵ «فَلا تُعْجِبْكَ أَمْوالُهُمْ وَ لا أَوْلادُهُمْ إِنَّما يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِها فِي الْحَياةِ الدُّنْيا وَ تَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَ هُمْ كافِرُونَ» و قوله سبحانه فى نفس السورة الآية: ۸۵ «وَ لا تُعْجِبْكَ أَمْوالُهُمْ وَ أَوْلادُهُمْ إِنَّما يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِها فِي الدُّنْيا وَ تَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَ هُمْ كافِرُونَ» ..

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۱۰۷

بسيط فى بعض ظروفها و وقائعها مما تطلب الحال تغيير بعض الألفاظ فى الآية الثانية بما يناسب و يلائم الواقع الجديد.

كما و هناك اضافة لما تقدم آيات صغيرة فى القرآن الكريم مكررة لعدة مرات مثل قوله تعالى: فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ «۴۲» و قوله تعالى:

فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ «۴۳» و قوله سبحانه: فَكَيْفَ كانَ عَذابِي وَ نُذُرِ «۴۴» ..

و هذه الآيات المكررة هى- دون شك- نوع طريف من الإبداع لم يكن معروفا من قبل و قد شاع استعمال هذه الطريقة «التكرار» فى اللغة العربية بعد نزول القرآن الكريم. فنجد فى المخمسات تكرر بيت واحد كما و نلاحظ ذلك فى «الأناشيد القومية و الوطنية و التى تتكرر فيها بعض المقاطع الحماسية المثيرة» «۴۵» لمرات عديدة فضلا عن أن «تكرر هذه الآيات ما يثير فى نفس سامعيه اليقين بأنه ليس من الصواب نكران نعم تكررت و آلاء توالت» «۴۶» ثم «أنه فى ذاته قد يكون اسلوبا من الأساليب البليغة فى كلام العرب حينما يكون مظهرا من مظاهر الإطناب البليغ» «۴۷» ..

و فى ختام هذا الفصل أشير إلى موضوع قد يكون خارج محيطه إلا أن بحثه قد يكون ذا منفعة لمن أحب الاستزادة من معارف القرآن و معالمه، و هو أن القرآن الحكيم ينقل إلى البشر فى خلال و عبر آياته و سوره- فيما ينقل- كلمات و أقوال و محادثات سبق أن نطقت من قبل

---

(۴۲) المرسلات.

(۴۳) الرحمن.

(۴۴) القمر.

(۴۵) القرآن و العلم الحديث- عبد الرزاق نوفل.

(۴۶) من بلاغة القرآن- أحمد أحمد بدوى.

(۴۷) التفسير العلمى للآيات الكونية فى القرآن- حنفى أحمد.

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۱۰۸

الأنبياء و الملائكة أو الجن أو الحيوانات أو جهنم .... الخ و ثابت هنا أن لسان و لغة كثير من هؤلاء لم يكن عربيا فقد كان إغريقيا أو روميا أو مسماريا أو عبرية أو هيروغلوفيا أو لغة خاصة لم تكشف أسرارها بعد ..

فيا ليت شعرى ما هى علاقة و ارتباط تلك الأقوال التى نطقت فى وقتها و بغير العربية بما جاء فى القرآن من إشارة لها تفصيلا أو إيجازا و بلسان عربى مبين هو فى منتهى البلاغة و البيان ..

الظاهر أن من تكلم عن حقيقة ذلك انقسم إلى مذهبين:

۱- ان ما جاء فى القرآن الكريم على لسان كل هؤلاء إنما هو الترجمة الكاملة الأمينة لها من دونما زيادة أو نقص ..

۲- أن ما جاء على لسان هؤلاء لا يتعدى أن يخرج عن معانيه الحقيقية، و قد يكون هذا المعنى موجزا كما و قد يكون مسهبا تبعا لما يتطلبه المقام عند نزول الآيات على الرسول (ص) ..

فقد تكون هذه المعانى مفصلة و مسهبة إذا كان الحال يتطلب مزيدا من الموعظة و الهداية و الإرشاد، كما و قد تكون مختصرة و موجزة إذا لم يتطلب المقام الاطناب كرد مفحم قصير على ادعاء أو جواب على سؤال عابر أو نحو ذلك ..

و أخيرا أود أن أعقب على كل ما أكتبه آنفا حول نزول القرآن الكريم فأقول هل ذهبت- يا ترى- الآيات النازلة يمنة و يسرة و تفرّقت هنا و هناك و حفظ و دوّن قسم منها دون الآخر، أم أن أمرها كان على عكس ذلك حيث التقت الآيات الكريمة برمتها فى مكان واحد و انتظمت تباعا و حفظت و دوّنت جميعها من دون فقدان حرف أو سقوط نقطة ..

إن الجواب الشافى على كل هذه التساؤلات سيكون مادة الفصول الثلاثة القادمة، فلنبدأ مسيرتنا الهادئة شطرها بعد الاتكال على اللّه و الاستعانة به ..

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۱۰۹

الجمع الأول للقرآن

اشارة

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۱۱۱

يؤثر عن النبى الكريم صلى اللّه عليه و آله و سلّم أنه قال «۱»: «لا تكتبوا عنى شيئا غير القرآن، و من كتب فليمحه و حدّثوا عنى و لا حرج، و من كذّب علىّ متعمدا فليتبوأ مقعده من النار» «۲».

و قوله (ص) هذا ما جاء إلا لكى يحفظ للقرآن صفته و ارتباطه المباشر باللّه تعالى و ليحول دون اختلاطه بشىء له هذه الرابطة و هذه الصفة و السمة القدسية و دون أن تلتبس أقواله و شروحه و سيرته (ص) بآيات القرآن الكريم «۳» ..

---

(۱) يروى بهذا الصدد أن الرسول (ص) قد أذن فى السنوات الأخيرة من حياته فى كتابة الحديث و ذلك بعد أن نزل أكثر القرآن و حفظه الكثير و اشربوا حبه و ذاقوا حلاوته و بلاغته و بعد أن سمعوا كلام الرسول (ص) و عرفوا مرتبته من القرآن ..

و هناك من قال بأن هذا الإذن كان خاصا و من قال بأنه كان عاما ..

و استنادا إلى كل هذا فقد كتب الأصحاب و دوّن الحديث فى عهد النبى (ص) و منهم من كانت له مجموعة خاصة اشتهر بها، فقد كان للإمام على- ع- صحيفة و كان لأنس بن مالك صحيفة، فضلا عن صحائف حبر الأمة عبد اللّه بن عباس و عبد اللّه بن مسعود و جابر بن عبد اللّه الأنصارى، و لم تكن هذه الصحائف تأليفا جامعا بل كان تدوينا لأبواب متفرقة غير مجمعة، علما بأن التجميع و

التدوين الرسمى للأحاديث النبوية كان فى مطلع القرن الثانى الهجرى و فى عهد الخليفة الزاهد عمر بن عبد العزيز كما مرّ الاشارة إليه من قبل ..

(۲) صحيح مسلم، فضائل القرآن- اسماعيل بن كثير القرشى.

(۳) ان عدم اختلاط السنة بالقرآن هذا لا يعنى البتة عدم حفظ السنة، بل إن السنة النبوية حفظت فى الصدور فى صدر الإسلام كآيات القرآن ..

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۱۱۲

لذا فعند ما كان الوحى ينزل على النبى (ص) و الذى- كان يترقّب نزوله بشوق عارم- عند ما كان ينزل عليه بشىء من الآيات الكريمة كان يستدعى على الفور بعض من كان يكتب له بالخط المقرر حينذاك و هو (الخط المكى) و هم كتاب و امناء الوحى «الذين كانوا يلازمون النبى حيثما ذهب و انى قام لكى يؤدوا هذا العمل الذى تفرغوا له لا يشغلهم عنه شاغل» «۴» فيملى عليهم كل ما كان ينزل عليه و ذلك «مبالغة فى تسجيله و تقييده و زيادة فى التوثق و الضبط و الاحتياط الشديد» «۵» ..

و إذا فرغ (ص) من ذلك طلب من الكاتب اعادة ما كتبه، فإن كان فيه سقط أو زيادة أو نقصان صلّحه و أقامه لهم، و كان «كثير من المؤمنين بعد ذلك ينقلون الآيات من الألواح المكتوبة بيد كتاب الوحى» «۶» فيجمعوها بعد أن يحفظوها ..

كما و كان (ص) يقرئ الفائزين بشرف الصحبة و يحفظهم كل ما كان ينزل عليه من الآيات اولا بأول «و يوما فيوما حتى لا تضيع، و اعفى هؤلاء من الحضور فى جبهات القتال» «۷» لما فى الآية الكريمة «وَ ما كانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً» «۸» ..

هذا فضلا عن أنه (ص) كان يبعث إلى من كان بعيد الدار منهم من يعلمه و يقرؤه، و كان «يحرّض امته على أن يبلغ الشاهد منهم الغائب و لو آية من القرآن فقال: بلغوا عنى و لو آية من القرآن» «۹»، و أنه (ص) قد خصص سيدة لتعليم النساء القرآن، إضافة إلى «أن النبى كان

---

(۴) المصحف الشريف- الدكتور محمد عبد العزيز مرزوق.

(۵) التعبير الفنى فى القرآن- الدكتور بكرى شيخ أمين.

(۶) الاعتذار (محمد و القرآن) جان ديون بورت، ترجمة عباس الخليلى.

(۷) القرآن فى الإسلام- السيد محمد حسين الطباطبائى.

(۸) التوبة: ۱۲۲.

(۹) التعريف بالقرآن و الحديث- محمد الزفزاف.

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۱۱۳

يحتفظ بنسخة مما كتب فى داره» «۱۰» و أنه (ص) كان يؤم الصحابة و المصلين خلال الصلوات فيقرأ القرآن و هم ورائه يسمعون فيحفظ القرآن فى صدورهم «۱۱» ..

كما و ان العرب عشاق الفصاحة و البلاغة كانوا ينجذبون لآيات اللّه لما فيها من البيان و الأدب فيأتون من بلاد بعيدة لاستماع بعض هذه الآيات من فم الرسول (ص) «۱۲»، و كانوا يأتون فى الليالى الظلماء خفية إلى قرب دار النبى و يستمعون إلى الآيات التى كان يقرأها النبى (ص) ..

أما الأصحاب فكانوا يتنافسون فى استظهار آيات اللّه و حفظها و مدارستها لأجل قراءتها فى الصلوات و النوافل و يتسابقون إلى فهمها و هضمها، و كانوا كلما نزل شىء من الآيات تهفو قلوبهم إليها و تنشرح صدورهم و تلقوها بالغبطة و الفرحة الغامرة حيث كان «شعار الإسلام و سمة المسلم حينئذ هو التجمل و التكمل بحفظ ما ينزل من القرآن الكريم لكى يتبصر بحججه و يتنوّر بمعارفه و شرائعه»

«۱۳» لأنه الينبوع الأول للتشريع و الحبل المتين و الدستور الشامل، على النحو الذى نجده حاليا عند حملة المبادئ المختلفة حيث نراهم يحفظون نظرياتها و فلسفتها و نشراتها لغرض التثقف بها و وعيها و الاحتجاج بها و الذود عن حياضها ..

و يتفاوت حفظ هؤلاء الأصحاب للآيات الكريمة تبعا لمدى حضورهم و وجودهم عند الرسول (ص) حال املاء الآيات على كتّاب الوحى حيث «ان كثيرا منهم كان يخرج فى السرايا التى يبعث بها

---

(۱۰) روح الدين الإسلامى- عفيف عبد الفتاح طبارة.

(۱۱) المصحف الشريف- الدكتور محمد عبد العزيز مرزوق.

(۱۲) القرآن فى الإسلام- السيد محمد حسين الطباطبائى.

(۱۳) آلاء الرحمن فى تفسير القرآن- الشيخ محمد جواد البلاغى.

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۱۱۴

الرسول لجهاد أعدائه فيشغلون بهذا عن بعض ما ينزل» «۱۴» و على درجة فطنتهم و ملكتهم فى الحفظ و الاستظهار فى لوح القلب و سعة خبرتهم بأساليب اللغة و طرق البيان و البديع ..

و كان هؤلاء أيضا إذا حفظوا شيئا أو عشرا من الآيات لم يتجاوزوها إلى غيرها أو إلى العشر الأخرى حتى يعلموا ما فيها من العلم و العمل ..

و بالنظر لعدم وجود المشاغل و انتفاء المتاعب لدى هؤلاء لبساطة الحياة الاجتماعية التى كانوا يحيوها و سهولتها و ذلك على خلاف ما هى عليها الحياة الآن من التعقيد و التّطور و المشقة، نرى أنه شذ أن نجد أحدا منهم أو من بقية رجالات المسلمين أو نسائهم يخلو من حفظ قسم كبير أو صغير من آيات القرآن، و هذا وضع طبيعى إذا ما أضفنا إلى بساطة الحياة ما امتازت به العرب و عرفوا به من خصائص العروبة الكاملة و فيها قوة الحافظة الفطرية- و التى قد تصل عند البعض منهم إلى درجة النقش فى الحجر- و سيلان الأذهان و قوة الذاكرة و صفاء الذهن، و هذه نتيجة طبيعية للأمية التى كانت تحياها غالبية العرب، حيث أن هذه الأمية قد وجهتهم للاهتمام بالحفظ فقويت لديهم الذاكرة قوة خارقة على النحو الذى نجده فى الأعمى، فالأخير أقوى حفظا من البصير إذ جعل كل اعتماده على الحفظ، أما البصير فإن ركونه إلى الكتابة و اعتماده عليه يضعف ذاكرته عن غيره، لذا نرى من ذلك «أنه كانت عناية الصحابة بحفظ القرآن أكثر منهم من عنايته بكتابته» «۱۵» ..

و كتاب الوحى موضوعى البحث و الذين كانوا يكتبون للرسول (ص) الآيات المنزلة «لا يحصون» «۱۶» و قيل يصل عددهم إلى ۴۳ نفر «۱۷»،

---

(۱۴) التعريف بالقرآن و الحديث- محمد الزفزاف.

(۱۵) التعريف بالقرآن و الحديث- محمد الزفزاف.

(۱۶) التعبير الفنى فى القرآن- الدكتور بكرى شيخ أمين.

(۱۷) الإتقان فى علوم القرآن- جلال الدين السيوطى، تاريخ القرآن- أبى عبد اللّه الزنجانى.

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۱۱۵

و اشهرهم و أقدمهم إمام الهدى على- ع- و منهم الخلفاء أبو بكر و عمر و عثمان (ر ض) و كذلك زيد بن ثابت أبى بن كعب و ثابت بن قيس و الزبير ابن العوام و حذيفة بن اليمان و عبد اللّه بن رواحة و سعيد بن العاص و معاذ ابن جبل ..

و كان ألزم كتاب الوحى للنبى (ص) و أكثرهم كتابة و تدوينا هو الإمام على- ع- و يأتى من بعده زيد بن ثابت ..

نخلص هنا مما تقدم بيانه أن حفظ القرآن و جمعه الأول (و يطلق الجمع على حفظ القرآن و على كتبته) قد تم فى عهد الرسول (ص) بصورتين و طريقتين هما «۱۸»:

۱- الصورة الصوتية:

و هو حفظه فى صدور المسلمين حفظا لم يهمل حرفا «۱۹» و لا حركة و لا سكونا و لا اثباتا و لا حذفا و لا دخل عليهم فى شىء منه شك و لا- و هم، و قد كان البعض يحفظه كله و البعض الآخر شطرا منه قل أو كثر و سواء أ كانت سور كاملة أم آيات عديدة من مختلف السور ..

و كان شغف المسلمين بحفظه و تلاوته حينئذ عظيما، فقد كانوا يتداولون ما استجد منه فى نواديهم و مجتمعاتهم لأنه بات يملك عليهم سويداء قلوبهم و غدا همهم الأوحد قراءة و كتابة الكتاب أو الاستماع إليه لأنه قاعدة الدين و الدنيا و به تتأيد السلطة و الحكم، حتى أن منازلهم كانت تدوى ليلا من أصواتهم بالقرآن كدوىّ النحل حيث كانوا يهجرون لذة النوم و راحة الهجود إيثارا للذة القيام به فى الليل متفرقين أو مجتمعين ..

---

(۱۸) كان «لزاما ان يتطابق القرآن عن هذين المصدرين و الصورتين حيث كان كل

(۱۹) نشير إلى أن زيادة أو نقصان أى حرف كان أمرا مهتما به و لو مثل حرف «واو» مع أن ذلك قد لا يغيّر المعنى كثيرا ..

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۱۱۶

كما و كان يسمع لمسجد رسول اللّه (ص) ضجة بتلاوة القرآن حتى امرهم الرسول (ص) أن يخفضوا و يخففوا من أصواتهم لئلا يتغالطوا ما بينهم ..

كما و كانت سور القتال تتلى أحيانا فى نشيد جماعى تهدر به الكتائب الغازية فتملأ نفوسها روعة و قلوبها إيمانا مما يدفعها لأن تفعل الأعاجيب و تقوم بالمستحيلات و تحقق المعجزات على النحو الذى نجده فى عصرنا هذا «من هتاف بالنشيد القومى و الوطنى خلال فترات الحماسة و الشجاعة و المناسبات الأخرى» «۲۰» خصوصا عند بدء هجوم القوات لتزيد من حماسة الجند و تفانيهم فى القتال ..

هذا فضلا عن أن المرأة قد تجعل مهرها سورة من القرآن «۲۱» أو أكثر و ذلك من أجل العناية به و الحث على تعهده، و هذا عكس ما نلمسه

خلاف فيه يذكر يرجع فيه إلى الرسول (ص) كى يزيله» علوم القرآن- أحمد عادل كمال.

(۲۰) نظرات فى القرآن- محمد الغزالى.

(۲۱) يروى ان امرأة أدت إلى النبى (ص) فقالت: انها قد وهبت نفسها للّه و لرسوله فقال (ص) ما لى فى النساء من حاجة، فقال رجل زوجنيها، قال (ص):

اعطها ثوبا، قال: لا أجد، قال: اعطها و لو خاتما من حديد، فاعتل له فقال (ص): ما معك من القرآن، قال: كذا و كذا، قال (ص): زوجتكها بما معك من القرآن ..

و لقد ذهب البعض إلى كراهية أخذ الأجرة على تعليم القرآن فيقول العلامة الحلى فى الحدائق: «الأقرب إباحته على كراهية، الأصل الإباحة لأن فيه منفعة تعليم القرآن و تعميم اشاعة معجزة النبى (ص) و لأنه يجوز جعله مهرا فيجوز اخذ الأجرة عليه اذ لو حرمت الأجرة لحرم جعله مهرا» و قال الشيخ الطوسى فى النهاية: «نكره أخذ الأجرة على تعليم شىء من القرآن و كذلك على نسخ المصاحف و ليس بمحظور و انما يكره إذا كان هناك شرط فان لم يكن شرط لم يكن به بأس» ..

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۱۱۷

الآن من المشاكل و العقبات التى توضع فى طريق الزواج بمضاعفة مهور الفتيات أو اشتراط أشياء من غير الممكن تنفيذها بسهولة و يسر خلافا لحديث الرسول (ص) حين قال: «إذا أتاكم من ترضون دينه و خلقه فزوجوه، إلا تفعلوا تكن فتنة فى الأرض و فساد كبير» ..

و طبيعى أن انتشار الفكر الإسلامى النير سيزيل هذه العقبات من الطريق و سيبعد العادات و الأعراف العشائرية و الضالّة و التى تقف فى طريق بناء الأعشاش الزوجية و اقامة مجتمع العدل و الكفاية ..

هذا و ان أشهر من حفظ القرآن كله أو قسم كبير منه من آل و أصحاب رسول اللّه (ص) هو الإمام على- ع- و الخلفاء أبو بكر و عمر و عثمان (رض) و حبر الأمة و ترجمان القرآن عبد اللّه بن عباس «۲۲» و أبى بن

---

(۲۲) هو عبد اللّه بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ولد فى مكة المكرمة قبل الهجرة بثلاث سنين و فى خلال حصار بنى هاشم فى شعبهم، و كان له منزلة مميزة بين الصحابة بعلمه و فهمه على صغر سنه، حيث دعا له الرسول (ص): بقوله «اللهم فقّهه فى الدين و علّمه التأويل» ..

و ينقل عن لسان- ابن عباس- قوله: «ما أخذت من تفسير القرآن فعن على بن أبى طالب» و قد قيل له مرة: «اين علمك من علم ابن عمك-؟» فأجاب:

«نقطة من بحر» ..

و قد روى عنه ما لا- يحصى كثرة فلا- تكاد تخلو آية من آيات القرآن إلا و له فيها قوله أو أقوال، كما و كثر الرواة عنه كثرة جاوز الحد و المعقول ..

توفى- رحمه اللّه- فى مدينة الطائف عام ۶۸ من الهجرة عن عمر ۷۱ سنة و قبره هناك يزار، و حين سوى عليه التراب قام ابن الحنفية و قال قولته المشهورة:

«مات و اللّه هذا اليوم حبر هذه الأمة» ..

لابن عباس عدة اخوة هم قتم الذى توفى و دفن فى سمرقند بالصين و الفضل الذى توفى و دفن باليمن و عبيد اللّه و من الأمثال أو الطرائف التى تروى عند ذكر عبد اللّه و عبيد اللّه ابنا العباس هو أن الرسول (ص) كان قد أشعر عمه العباس بالويلات و المصائب التى سيذوقها ابناؤه من أبنائه بقوله: «ويل لابنائى من أبنائك» فأجاب العباس: «و هل اترك الزواج» فقال النبى: «أبعد عبد اللّه و عبيد اللّه» ..

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۱۱۸

كعب و زيد بن ثابت و عبد اللّه بن مسعود و أبو الدرداء و أبو موسى الأشعرى و معاذ بن جبل و حذيفة بن اليمان و سالم بن معقل و أبو زيد (قيس) بن السكن و أبو هريرة و طلحة و سعد و عبد اللّه بن عمر و عبيد اللّه بن السائب و عبادة بن الصامت ... الخ.

و طبيعى أن هؤلاء ليسوا هم كل الحفاظ للقرآن الكريم و إنما هناك آخرون من المسلمين ممن حفظ من القرآن كثيرا أو قليلا مما لا يسع المقام لا يراد أسمائهم جميعا ..

و يكفى أن نشير هنا إلى (۷۰) صحابيا من حفاظ القرآن و رواته قد استشهدوا فى واقعة اليمامة و مثلهم فى العدد قد قتلوا فى عصر النبى (ص) عند بئر مؤتة و غيرهم قد قتل بعد وفاة الرسول (ص) فى الوقائع المختلفة و كلهم كانوا ممن استوعب القرآن حفظا و استظهارا ..

و يروى بهذا الصدد أن القبائل فى صدر الإسلام كانت تفاخر فيما بينها على كثرة ما بين أفرادها من حفاظ القرآن كله، فيقال أن الخزرج كانت تفاخر الأوس بوجود أربعة أشخاص من قبيلتها ممن حفظ القرآن كله و هم زيد بن ثابت و معاذ بن جبل و أبى بن

كعب و أبو زيد، بينما لا تملك الأوس هنا إلا أن تفاخر بأفراد منها لهم مناقب أخرى مثل ذو الشهادتين و غيره «۲۳» ..

و نحب ان نورد هنا إلى أنه قد حفظ القرآن عند فجر النبوة الإسلامية أيضا جملة و زمرة من أقطاب الكفر و فرسان الشرك بأمل الرد عليه و معارضته، فمن أشهر إسلامه منهم فيما بعد- و فعلا قد أسلم معظمهم- كان ما حفظوه من الآيات فى عهد شركهم عونا و مددا لهم فى تفهّم أصول الشريعة و مبادئ العقيدة بعد أن وضّح لهم النبى (ص) المعنى الحقيقى و الغرض الصحيح للآيات المحفوظة فى صدورهم ..

---

(۲۳) تاريخ القرآن- محمد طاهر الكردى.

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۱۱۹

أما القلة القليلة التى أخذتها العزة بالإثم و لم توفق للدخول فى رحاب الدعوة الجديدة ثم ماتت و هى بعيدة عن أنوار الحق و الهداية فقد كانت الآيات المحفوظة فى صدورهم حجة عليهم عند الحساب ..

۲- الصورة المكتوبة:

و هى الطريقة الثانية التى تم بواسطتها حفظ و جمع القرآن الكريم و هذا الأمر جرى عن طريق تدوينه و تسجيله «۲۴» بواسطة الكتابة و التسجيل على الوسائل المتيسرة و الموجودة فى ذلك العهد و هى «۲۵»:

أ- العسب: «جمع عسيب و هى اضلاع و جريد النخل حيث كانوا يكشفون عنه الخوص و يكتبون فى الطرف العريض، و قيل أنه ما لم ينبت عليه الخوص من جريد النخل».

ب- اللخاف: «جمع لخفة و هى صفائح الحجارة الرقاق».

ج- الرقاع: «جمع رقعة و هى القطعة من الجلد أو الورق».

د- الأقتاب: «جمع قتب و هو الخشب الذى يوضع على ظهر البعير ليركب عليه» و يستعمل لنقش الكتابة عليه.

ه- الأكتاف: «جمع كتف و هو العظم بالبعير أو الشاة و إذا جف كتب عليه».

و- الكرانيف: «جمع كرنافة و هى أصول سعف النخل الغلاظ» ز- اضافة إلى العظام المختلفة و الحرير و الكتان و قطع الأديم و القراطيس و الأوراق الأولية و الرقوق الناعمة المسواة ..

فقد حرص كثير من الصحابة فى حياة الرسول (ص) و بإشراف مباشر منه و استجابة لقوله (ص): «قيدوا العلم بالكتاب» على الاحتفاظ و جمع كل أو قسم من الآيات الكريمة و التى دوّنوها على الوسائل

---

(۲۴) إن الفرق بين الجمع و التدوين هو ان الأول عبارة عن تأليف مصحف و ترتيبه بينما الثانى فلا يخرج عن التسجيل دون السير أو الالتزام بنظام ثابت ..

(۲۵) الإتقان فى علوم القرآن- جلال الدين السيوطى.

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۱۲۰

المتقدمة جمعها فى مكان واحد «و ليس فى مصحف واحد» بسبب أن الوحى لم ينقطع نزوله على الأرض طيلة حياة الرسول (ص)، و قبل هذا الانقطاع لا يمكن إتمام جمع المصحف، فضلا عن ترقب ورود ناسخ لبعض الأحكام و الآيات ..

و المقصود من حفظ و جمع الآيات فى مكان واحد هنا هو أن يسجل و يحرّر الحافظ أو الصحابى الآيات تباعا ثم يدعها فى غرفة واحدة أو صندوق خاص أو مكان أمين متفرقة و ليست على هيئة الكتب المجلدة، كما و كان هناك من أكمل منهم هذا الجمع عقب

وفاة الرسول (ص) مباشرة ..

و يؤكد قولنا هذا ما يروى من أن أكثر الصحابة كان معتادا على الختم، و معنى ختمه هو أن يقرأه من أوله إلى آخره «فلو لم يكن القرآن مسجلا و مجموعا و مرتبا من الأول إلى الآخر و محفوظا فى مكان خاص لما اطلق على قراءته عنوان الختم» «۲۶» ...

كما و يؤكد هذا القول أيضا ما يروى عن زيد بن ثابت بقوله:

«بأننا كنا نجمع آيات القرآن الكريم بحضور النبى (ص) من قصاصات من الورق .... الخ» ..

أما بصدد ترتيب آيات السور فإن الرسول (ص) لم يكن ينتظر فى ترتيب الآيات المنزلة نجوما حتى يكمل نزولها، و لم يتريث فى تأليف سورة واحدة حتى تتم كافة فصولها، بل كان كلما القيت عليه آية أو أكثر يأمر حالا بوضعها فى مكان يحدده لهم من سورة معينة، كما و يعيّن موضعها من بعضها طبقا لما أخبر به الوحى الأمين فيقول (ص): ضعوا آية كذا فى موضع كذا أو فى سورة كذا ...

و فى بعض الأحيان كان يحدث أن تنزل آيتان لسورتين مختلفتين

---

(۲۶) مجلة الإيمان النجفية- مقال السيد جمال الهاشمى حول جمع القرآن.

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۱۲۱

فى آن واحد فيطلب الرسول (ص) تدوينهما منفصلتين تفاديا لأى لبس أو خلط بينهما «ثم يدلهم (ص) على موضع كل آية من سورتها المطلوبة» «۲۷» و على مكانهما المقرر ..

فالتتابع الخاص بين الآيات فى كل سورة اذن هو تصميم ربانى لا- يجوز تغييره أو استبداله بترتيب مغاير آخر الآيات، كما و ان الصحابة (رض) لم يرتبوا الآيات ترتيبا سمعوا النبى (ص) يقرأ على خلافه ..

و على هذا يمكن التأكيد و الجزم بأن جميع الآيات قد نسقت و وضعت فى أماكنها المطلوبة و الثانية ضمن السورة كما و تم ترتيب السور «۲۸» فى المصحف قبيل وفاة الرسول (ص) و سميت السور بإذنه و توجيهه ..

علما بأن هذه الآيات و هذه السور فى القرآن الكريم لم تتخذ فى ورودها التنزيلى سبيلها التى اتبعته فى وضعها الترتيبى، فما أكثر السور التى نزلت جميعا أو اشتاتا فى الفترات التى نزلت بها سور اخرى، و كم آية فى السورة الواحدة تقدمت فيها نزولا و تأخرت ترتيبا، و كم آية هى على عكس ذلك ..

و لهذه الطريقة كما يرى البعض «۲۹» سر خاص مفاده أن جميع القرآن و آياته و أحكامه و تشريعاته و ان اختلفت أماكنها و تعدّدت مواقعها فهى وحدة كاملة لا يجوز التفريق بينهما فى العمل أو التمسك ببعضها دون البعض فهى إما أن تؤخذ كلها أو تترك كلها و لا وسط بين ذلك قط ..

هذا و عند ما كان الوحىّ ينزل بالبسملة فى أول سورة كان يعرف

---

(۲۷) روح الدين الإسلامى- عفيف عبد الفتاح طبارة.

(۲۸) نشير إلى أن هناك من يذهب إلى أن ترتيب السور كان باجتهاد من الصحابة و ان غيرهم يذهب إلى أن ترتيب بعض السور توقيفى و بعضه باجتهاد من الصحابة كما سيلى تفصيله فى فصل الجمع الثالث للقرآن.

(۲۹) نظرات فى القرآن- محمد الغزالى.

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۱۲۲

الجميع أنها سورة جديدة فتوضع فى محلها، فضلا عن أن الرسول (ص) أو المسلمين بقول آخر لا يعلم ختم السورة حتى تنزل البسملة فإذا نزلت علم بان السورة قد انتهت، لذا اعتبرت البسملة- فى الحق- «آية أصيلة و جزءا من كل سورة لا تتجزأ» «۳۰» عدا سورة براءة،

و دليل ذلك هو أن الرسول (ص) كان يقرأها و لو لم تكن جزءا من القرآن لوجب عليه (ص) ان يصرّح بذلك، فان قراءته لها- و هو فى مقام البيان- دليل على أنها من القرآن، فضلا عن أن السلف الصالح قد جرى على اثباتها فى المصحف مع استقرار السيرة و استمرارها على قراءتها فى أول كل سورة، فضلا عن اشتمال جميع المصاحف منذ صدر الإسلام حتى الآن على ذكرها فى أول كل سورة مع حرصهم الشديد- المسلمين- على عدم ادخال ما ليس فى القرآن فيه «حتى أن بعض الصحابة عارض فى تنقيط المصحف و تشكيله لكى لا يدخل فى المصحف أى عنصر جديد» «۳۱» ..

أما سورة براءة فقد قيل فى سبب حذف البسملة منها أن هذه قد جاءت تقريعا و عذابا أليما على الكافرين و المشركين فلا تتفق و الحالة هذه مع فحوى البسملة و فلسفتها و التى سداها الأمان و لحمتها الرحمة و الرضوان ..

و قد قيل فى سبب حذفها من سورة التوبة أيضا أنه قد جاء عن طريق الشك الذى نجم عند جمع القرآن- الجمع الثالث- و هو ما إذا كانت كل سورة الأنفال التى تسبق سورة التوبة و سورة التوبة هما سورة واحدة أو سورتان لأنه ورد فى الأثر أن النبى (ص) كان قد قرأهما بدون الإتيان بالبسملة بينهما، لذا حذفت البسملة عند الجمع من سورة التوبة أولا و وضعت الأخيرة- التوبة- مستقلة بعد الانفال ليصدّق عليها

---

(۳۰) تفسير المنار- محمد رشيد رضا، تفسير الرازى- فخر الدين الرازى.

(۳۱) محاضرات فى تفسير القرآن- السيد اسماعيل الصدر.

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۱۲۳

الوجهان و الاحتمالان، وجه أنها سورة مستقلة و وجه آخر هو أنها من سورة الأنفال «۳۲» ..

علما بأن التعليل الأول هو المأخوذ به و المقبول لدى الكثيرين من المؤرخين و الرواة «۳۳» ..

لقد ذهبنا آنفا إلى «أن البسملة آية من الفاتحة و من كل سورة عدا سورة براءة» «۳۴» و قد أوردنا الأخبار المتضافرة المأثورة عن النبى (ص) و أهل البيت و الأصحاب، و لكن رغم هذا فلا نعدم من يقول بأن البسملة ليست أصيلة فى السورة بسبب أن «اثبات السلف لها فى المصاحف- كما تقدم- كان لأجل التبرك» «۳۵» فيكون الافتتاح بها فى الصلاة أو فى كل عمل ذى شأن هو ثواب و خير و بركة ..

أما سورة الفاتحة فإن بسملتها- لدى الجميع- هى جزء من الفاتحة لا تتجزأ و لا يعد من قرأ سورة الفاتحة بدون الإتيان بها سرا أو جهرا أنه قد قرأ سورة كاملة من القرآن الكريم ..

هذا و لم نعدم أيضا وجود فئة صغيرة أخرى تذهب فى البسملة مذهبا جديدا و هو أنها مستقلة بنفسها و ليست جزءا من أى سورة و ان رجح- لديها- هنا قراءتها فى مطلع كل سورة ..

و نشير بعد ذلك إلى أن الرسول (ص) كان يعرض ما نزل عليه من الآيات فى كل شهر رمضان من كل عام هجرى على الوحى الأمين،

---

(۳۲) الإتقان فى علوم القرآن- جلال الدين السيوطى.

(۳۳) من الطريف أن نذكر هنا ان الصبيان فى مكاتب جمهورية مصر العربية يتنادرون فيما بينهم بأن النمل من عادته سرقة ما يجده، و من أجل ذلك فقد تولى سرقة بسملة براءة و وضعها فى قلب سورته- سورة النمل- عند ذكر حوادث النبى سليمان و زوجته الملكة بلقيس ..

(۳۴) منهج البيان فى تفسير القرآن- السيد ابن الحسن الرضوى.

(۳۵) البيان فى آداب حملة القرآن- يحيى شرف الدين.

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۱۲۴

و ان الوحى طلب منه فى السنة العاشرة من الهجرة عرضها عليه مرتين و هى التى تسمى ب- العرضة الأخيرة- فعرف الرسول بأن هذا الأمر قرينة و إشارة إلى أن أجله قد حان و ان اللّه سبحانه قد آثره لجواره و اختار له دار كرامته «۳۶».

و كان الرسول (ص) بدوره أيضا يستعيد قراءة- كتاب الوحى- و غيرهم من الحفاظ فى كل فرصة و مناسبة سانحة من أجل التثبت من سلامة كتابتهم و استظهارهم و لتصحيح الأغلاط و السقطات التى قد تشوب بعض ما حفظوه فى صدورهم أو ما كتبوه فى أوراقهم ..

و قد فعل الرسول (ص) هذا و أكّد عليه حتى لا يضيع الإسلام بضياع دستوره و كتابه الخالد و لأن «القرآن أمانة فى عنق الرسول (ص) عليه حتما أن يؤديه كاملا و يسلّمه مجموعا لئلا تناله أيدى العابثين» «۳۷» و تتطاوله ألسنة المغرضين فى كل زمان ..

و الاستعاذة الأخيرة هذه تختلف عن الأولى- و المماثلة لها فى الطريقة- تختلف عنها فى الوقت فقط حيث كانت الأولى تتم حال الفراغ من كتابة الآية التى أنزلها الوحى الأمين على النبى (ص) أو بعد حفظها فى الصدور مباشرة، إما الثانية- موضوعة البحث- فتتم فى المناسبات و الفرص و الأوقات المؤاتية تقاربت أو تباعدت ..

أما بصدد وسائل التدوين التى كانت مستعملة فى عصر النبوة و التى تم بواسطتها تحرير و تسجيل الآيات القرآنية المنزلة، فلنا تعقيب موجز حولها، و كان المؤمل أن اشير إليها فى فصل سابق هو- طبيعة المجتمع العربى فى عصر النبوة- إلا انى آثرت إرجاءها إلى هذا المكان لأتناولها مفصلا بعد أن أكون قد فرغت من الإشارة إليها و تعريفها عند

---

(۳۶) صحيح البخارى- محمد بن إسماعيل البخارى.

(۳۷) الإمام الصادق- عبد اللّه السبيتى.

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۱۲۵

البحث فى السورة الثانية لكتابة القرآن و هى (الصورة المكتوبة)، ليتاح للقارئ أن يأخذ صورة عامة عنها قبل الولوج إلى سويدائها ..

فبصدد هذه الوسائل أقول أن الغالبية من الرواة و المؤرخين ذهبت إلى أن التدوين فى عهد النبوة كان قد تم على الوسائل البدائية المشار إليها قبل قليل و هى الأكتاف و العظام و رقاق الحجارة و الخشب و الكرانيف ... الخ.

و طبيعى أن ما ذهب إليه هؤلاء ليس هو كل الحقيقة و الواقع عن وسائل التدوين، بل أرى مع نفر قليل من المؤرخين و الرواة أن التدوين فى عصر النبوة تم بالإضافة إلى كل ذلك على الوسائل المتطورة كالقراطيس و الأوراق البدائية و الرقوق الناعمة المسواة بدليل هو أن الرسول (ص) حرصا منه على حفظ اعظم مظاهر النبوة و معجزته الخالدة «كان يكتب كل ما ينزل عليه فى رقاع منفردة ثم تنقل هذه الرقاع إلى صحف معدة لها كالسجل «۳۸» فتلحق فصولها ببعضها وفق ما كان يشير إليه النبى (ص) و يطلبه» «۳۹».

و قد تكتب الآيات المنزلة على الصحف مباشرة إلا فى الحالات القليلة التى لم تتيسّر فيها الصحف فتكتب على الأكتاف و العظام و دليل ذلك هو «ان القرآن الذى هبط فى مكة يكوّن ثلثى آيات المصحف قد سجل و دوّن كله، فلو أن هذا القدر من القرآن كان قد كتب على الوسائل البدائية كرقاق الحجارة و الخشب ... و نحوه لاحتاج إلى ۲۰ بعير لحمله، و لم نسمع من أخبار الهجرة أن قافلة من الأحجار قد هربت إلى

---

(۳۸) و فى هذا المعنى قال الشاعر فى الشطر الأول من بيته:

كل علم ليس فى القرطاس ضاع كل سر جاوز الاثنين شاع

(۳۹) القرآن المجيد- محمد عزة دروزة.

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۱۲۶

المدينة قبل النبى أو بعده و هى تحمل هذه الحمولات الكبيرة و الغريبة» «۴۰».

كما و أن وجود القراطيس و الصحف فى عهد النبوة ليس مستبعدا بعد أن جاء ذكرها مرارا عديدة فى القرآن الكريم فى قوله تعالى: وَ لَوْ نَزَّلْنا عَلَيْكَ كِتاباً فِي قِرْطاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ «۴۱» و قوله سبحانه: قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتابَ الَّذِي جاءَ بِهِ مُوسى نُوراً وَ هُدىً لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَراطِيسَ تُبْدُونَها وَ تُخْفُونَ كَثِيراً «۴۲» و قوله تعالى: فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ «۴۳» و قوله عز من قائل: إِنَّ هذا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولى صُحُفِ إِبْراهِيمَ وَ مُوسى «۴۴» ..

ان القراطيس و الصحف المشار إليها فى القرآن الكريم لا- يمكن- فى الحق- ان تدل أو تنصرف لتلك الوسائل الأولية و البدائية المعروفة، بل تطلق عادة على ما كان شائعا حينئذ من وسائل الكتابة و موادها التى تبسط و تطوى و تحمل و يكتب عليها بسهولة و يسر و التى قد يكون لها شبه كبير أو صغير بالورق المستعمل حاليا فى الكتابة و ان كان دونه- طبعا- فى الإتقان و الجودة «۴۵» ..

هذا من جهة و من الجهة الأخرى فقد سبق ان نوّهنا فى فصل سابق بانتشار التعليم بصورة محدودة بين صفوف الناس داخل المدن الحجازية، فلا يمكن و الحالة هذه ان تقتصر كتابات هؤلاء و مراسلاتهم على الوسائل البدائية فى الكتابة و إلى جوارهم و بقربهم الدول و الجاليات

---

(۴۰) القرآن- محمد صبيح.

(۴۱) الأنعام: ۷.

(۴۲) الأنعام: ۹۱.

(۴۳) عبس: ۱۳، ۱۴.

(۴۴) الأعلى: ۱۸، ۱۹.

(۴۵) القرآن المجيد- محمد عزة دروزة.

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۱۲۷

التى عرفت و استعملت القراطيس و الأوراق و سجلت عليها بعض مقاطع و أجزاء من التوراة و الإنجيل اضافة إلى فصول قليلة من التواريخ و الأخبار و القوانين و المعلقات ..

فطبيعى كان العرب سبّاقين فى اقتباس هذه القراطيس و الأوراق من أجل أن يدوّنوا عليها كتاباتهم و معاملاتهم التجارية ليسهل عليهم حفظها و حملها معهم فى رحلاتهم الصيفية و الشتوية إلى ديار الشام و أرض اليمن السعيدة لأجل التكسب و الارتزاق و التجارة ..

كما و لا يمكن هنا أن نتصور أو نعتقد بأن احراق عثمان بن عفان للآيات القرآنية بعد جمعه القرآن- الجمع الثالث- و إحراق مروان بن الحكم بعد ذلك للآيات التى استنسخت فى خلال الجمع الثانى فى عهد أبى بكر الصديق و التى كانت محفوظة لدى أم المؤمنين حفصة بنت عمر بعد ارتحالها إلى جوار ربها. كما سيرد بيانه بعد قليل- لا يمكن أن نتصور ان كل هذا الإحراق كان على الأحجار و اللخاف و الأكتاف و العظام و هذه كلها لا يمكن أن ينالها لهيب النار بطبيعتها، و إنما جاء الحرق على القراطيس و الصحف و الرقاع التى دوّنت عليها الآيات القرآنية فى حياة الرسول (ص) و بعده ..

كما و لا يمكن أن نعقل قيام أبو بكر الصديق بشد الصحاف ببعضها بخيط واحد بعد ثقبها أو بدونه- كما تقدم- لا يمكن أن نعقل هذا إلا أن الأمر و الفعل كان قد تم على القراطيس و الصحف و الرقوق الناعمة المسواة و التى لا يمكن جمعها إلى بعض و شدها بخيط بعد ثقبها أو بدونه ..

هذا و أضيف إلى كل هذا أنه لا يمكن أن نتصور ان تكون الصحيفة التى وضعها القرشيون فى أصل الكعبة عند منطلق الوحى و بدء الرسالة الإسلامية بصورتها العلنية و التى امتد مكوثها داخل الكعبة لما يقرب من ثلاث سنوات و التى سوّدوها بالقرارات الجائرة و الأحكام

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۱۲۸

الظالمة المتعلقة بمقاطعة أهل البيت و حصرهم فى شعب أبى طالب و عدم السماح لأحد من الناس بالاتصال بهم أو اعانتهم أو تزويجهم أو أخذ شىء منهم أو إعطائهم أى شىء، لا يمكن أن نتصور ان هذه الصحيفة قد كتبت على الرقاع أو العظام أو الأكتاف، بل أنها سطّرت فى الحقيقة- كما يفيد اسمها أيضا- على صحيفة منتظمة الأطراف أو على قرطاس أو جلد غزال ناصع و منتظم و الذى مزّقته الأرضة بعد ذلك كل ممزّق و لم تترك منه سالما إلا ما ورد فيه من أسماء اللّه تعالى أو صفات له، مما حد بقريش عقب ذلك إلى رفعها و شقها و ابطال احكامها و هم يجرون أذيال الخيبة و الفشل الذريع غير مأسوف عليهم ..

و أخيرا و ليس آخرا نشير هنا إلى ما ورد ذكره قبل قليل من قول ينسب إلى كتاب الوحى زيد بن ثابت و مفاده هو أنه مع السلف الصالح كانوا يجمعون آيات القرآن الكريم بحضور الرسول (ص) من قصاصات من الورق، و لفظ الورق هذا و ان لم يشبه الورق الذى نستعمله الآن إلا أنه لا يقل عنه إلا فى الجودة و الإتقان و التطور «۴۶» ...

---

(۴۶) إن الورق الذى نستعمله الآن كان قد اكتشفه الصينيون، و لكنه لم يدخل الغرب و لم تعرفه اوربا إلّا عن طريق المسلمين، و ذلك أن زياد بن صالح حاكم سمرقند من قبل العباسيين (عام ۷۵۱ م) لاحظ ان القبائل التركستانية على الحدود الشرقية للدولة الإسلامية كانت تهاجم هذه الحدود بدعم من الصين و تأييد منها.

و بصدد تأديب هذه القبائل بعث حملة قوية عليها بقيادة خالد بن إبراهيم حيث دخلت بلادها و مزّقت جموعها و اخذ أعدادا كبيرة منها كأسرى حرب كان منهم كثير من الصينيين و جاء بهم إلى حواضر البلاد الإسلامية و هؤلاء هم الذين بدءوا يصنعون الورق الصينى و ادخلوا الورق و صناعته فى الوطن الإسلامى ..

و قد ازدهرت و انتعشت هذه الصناعة بشكل خاص فى خراسان فى عهد الفضل ابن يحيى البرمكى عامل الرشيد على خراسان، و قد عنى الرشيد نفسه بصناعة الورق و طلب تدوين المصاحف على هذا الورق بدلا من الورق و القراطيس

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۱۲۹

و بعد هذا نلتمس من القارئ الكريم أن يستعد و يتهيأ لنقله إلى الفصل التالى لذى كيف أمكن جمع القرآن فى مصحف واحد، و ان هذا المصحف لم ينقص منه حرفا واحدا و لم يزد فيه حرفا، و ما علة ذلك إلا لأن اللّه تعالى آثر حفظ كتابه الكريم من الزيادة و النقصان، و لأن المسلمين عامة و العرب خاصة عند ما تمسكوا بالعقيدة بقوة و جعلوها أساس حياتهم و مدار تفكيرهم فأن هذا قد منعهم من نسيان آية أو إقحام ما ليس من القرآن فيه و ان كان هذا حرفا واحدا و نقطة واحدة ..

و من استعد من القراء الكرام للرحلة فليشرع فى قراءة و الفصل القادم حيث سيجد مصداق كل ما أشرنا إليه آنفا بشكل ساطع و جلى سطوع الشمس و جلاء القمر لذى عينين ..

و الصحف لنصاعته و جودته على تلك «دور العرب فى تكوين الفكر الاروبى- الدكتور عبد الرحمن بدوى» ..

هذا و قد انتشرت صناعة الورق انتشارا كبيرا فى طول العالم الإسلامى منذ القرن الثانى للهجرة (الثانى للميلاد) و عن طريق المسلمين العرب فى الاندلس هذا الورق إلى أوربا، و كان قد دخلها قبل ذلك و بعده عن هذا الطريق و عن طريق جزيرة صقلية و الحروب الصليبية مختلف الصناعات و العلوم و الفنون و الآداب التى كانت عند المسلمين العرب، فاوربا إذن مدينة للمسلمين فى حضارتها

الراهنة و مدنيتها المعاصرة التى تعيشها بقدر ما مدين به المسلمون للإسلام و رسوله الكريم الكريم (ص) ..

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۱۳۱

الجمع الثانى للقرآن

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۱۳۳

لا- يخفى على القارئ العزيز مما مرّ ذكره بان القرآن الكريم كان «مؤلفا فى زمن النبى (ص) على ما هو عليه فى المصاحف اليوم و لكن لم يكن مجموعا فى مصحف واحد» «۱» و كتاب واحد و لم تربط آياته خيط أو بين دفتين و لم يلزم القراء توالى سوره، لأن الوحى كان لا ينقطع نزوله ما دام النبى (ص) حيا، و كان ما أوحى به إليه (ص) مجموعا- كما تقدم- فى قلوب المسلمين و كتاباتهم له، و ذلك على خلاف ما يذهب إليه البعض من المستشرقين ممن تصدّوا للكتابة عن القرآن أو الاشارة إليه «۲» و خصوصا فى موضوع جمعه، حيث ذهب هذا البعض إلى ان سور القرآن و آياته ظلت مبعثرة و مفككة فى حياة الرسول ثم جمعت بعد وفاته تحت رحمة الأسانيد الشفوية للصحابة مما جعل اصل القرآن- برأيهم- مثارا للقيل و القال و التساؤل

---

(۱) التبيان فى آداب حملة القرآن- يحيى بن شرف.

(۲) بصدد مصدر القرآن يذهب قسم من المستشرقين و غيرهم إلى أن القرآن هو من تأليف محمد (ص) و طبيعى أن هذا القول مخالف للحق و مجانب للواقع، و هو أن القرآن الكريم كلام اللّه تعالى و إنه وحى أنزله على رسوله و لا يمكن أن يكون له أصل من البشر. حيث لو أن محمدا «هو الذى وضع القرآن لبث فيه أشجانه و حالاته النفسية و أزماته و احزانه، و القرآن هو غير هذا تماما فهو يبدو من البدء حتى النهاية معزولا- عن النفس المحمدية بما فيها من مشاغل و هموم بل أن الآية لتنزل مناقضة للإدارة المحمدية» القرآن- محاولة لفهم عصرى- مصطفى محمود.

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۱۳۴

و الاستفسار «۳» .. كما ذهب الآخرون من هؤلاء إلى ان قسما من القرآن قد ضاع و نسى بعضه و ان القرآن غير كامل الأجزاء .... الخ و هذا الزعم- ان صح- فلا يصلح إلا لاظهار مدى جهل الذين ابتدعوه و خلقوه، فليس ابعد عن الحقيقة و الواقع من ان يقال ان آيات القرآن و سوره جمعت بعد وفاة الرسول (ص) لأن هناك الف دليل و دليل يشير إلى أن آيات القرآن قد جمعت كلها فى عهد الرسول (ص) حفظا فى الصدور و تلاوة على الألسن و كتابة فى الرقاع و الصحف، كما ان السور القرآنية قد سميت كلها تحت إشرافه و نظره «۴»، فضلا عن ان «العلم بصحة نقل القرآن كالعلم بالبلدان و الحوادث الكبار و الوقائع العظام و الكتب المشهورة و اشعار العرب المسطورة، حيث ان العناية اشتدت و الدواعى توفرت على نقله و حراسته و بلغت إلى حد لم يبلغه ما ذكرناه، لأنه معجزة النبوة و مأخذ العلوم الشرعية و الاحكام الدينية ...

الخ» «۵».

و لما اختار اللّه تعالى لرسوله دار الكرامة و السعادة و انقطع اثر ذلك نزول الوحى إلى الأرض فلا يرجى بعد ذلك للقرآن نزول تتمة له، رأى المسلمون حينئذ وفاء بوعد اللّه بضمان حفظه على الأمة أن يسجلوه فى مصحف جامع واحد» «۶».

أما قبل ذلك- أى قبل وفاته (ص)- فإن عدم جمع القرآن فى مصحف واحد يعود إلى الأسباب التالية «۷»:

۱- لم يوجد من دواعى كتابته فى مصحف واحد مثل ما وجد فى عهد الخلفاء الراشدين حيث المسلمون بخير و القراء كثيرون و الفتنة مأمونة الجانب ..

---

(۳) التاريخ الجغرافى للقرآن- مظفر نادفى.

(۵) المسائل الطرابلسيات- الشريف المرتضى.

(۶) آلاء الرحمن فى تفسير القرآن- الشيخ محمد جواد البلاغى.

(۷) التعبير الفنى فى القرآن- الدكتور بكرى شيخ أمين.

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۱۳۵

۲- ان النبى (ص) كان بصدد استمرار نزول الوحى عليه و احتمال نزول ناسخ لآية أو آيات ..

۳- ان القرآن لم ينزل مرة واحدة و إنما نزل منجما و انه لم يكن بين نزول آخر آية و وفاته (ص) إلا مدة قصيرة ..

۴- ان ترتيب آيات القرآن و سوره ليس على ترتيب نزوله حيث ان نزوله كان حسب الأسباب، بينما ترتيبه فلغير ذلك من الاعتبارات و الأسباب ..

هذا و قيل ان الدافع الرئيسى فى جمع القرآن- بعد وفاته (ص)- قد جاء بعد ان أشتد القتل باصحاب الرسول (ص) من القراء و حفظة القرآن فى واقعة اليمامة و التى حدثت فى أواخر سنة ۱۱ هجرية و أوائل عام ۱۲ ه- تقريبا، و هى الواقعة التى جرت مع مسيلمة بن ثمامة الكذاب الذى قتل عام ۱۲ ه- و الذى ادعى النبوة بعد وفاة الرسول- و قيل قبل وفاته (ص) فى قومه بنى حنيفة، كما و كانت ساحة المعركة فى أرض نجد و فيها استشهد سبعون نفرا من الحفاظ و ما يقرب من خمسمائة من القراء «۸» و قيل «قتل فيها وحدها ۱۲۰۰ شخص من المسلمين فيهم ۷۰۰ شخص من القراء» «۹» من الذين صحبوا رسول اللّه (ص) و سمعوا حديثه و قوله ..

و قيل أيضا ان الخليفة عمر بن الخطاب (ر ض) سأل عن آية من الكتاب فقيل له كانت مع فلان الذى قتل فى يوم اليمامة، فقال انا للّه و راجع اثرها أبا بكر الصديق (ر ض) بصدد جمع القرآن فى مكان واحد ..

---

(۸) كان يطلق لفظ القارئ قديما على الذين يحفظون القرآن عن ظهر قلب و يساويه الآن لفظ الحافظ، أما لفظ المقرئ المتداول بيننا الآن فهو يطلق على من يقرأ القرآن بالمصحف، و سيمر شرح كل ذلك فى فصل قادم هو- العناية بالقرآن ..

(۹) منهج البيان فى تفسير القرآن- السيد ابن الحسن الرضوى.

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۱۳۶

و الظاهر هنا من قول عمر و مخاطبه هو ان غير فلان- فى الحق- كان يحفظ الآية المطلوبة، بل كان هناك من يحفظ سائر القرآن- كما تقدم شرحه- و لكن الخليفة عمر عند ما نما إلى سمعه قتل فلان خاف من قتل بقية الحفاظ و القراء لكلام اللّه تعالى فى المعارك التى استعرّ لظاها بعد وفاة الرسول (ص) مباشرة و التى كان القراء و الحفاظ يشكلون قسما كبيرا من جنودها فيضيع بفقدهم و استشهادهم القرآن الكريم أو على الأقل شطر منه قد يصعب بعد ذلك تلافيه بسهولة.

لذا فقد راجع عمر أبا بكر (رض)- و قد اصبح الأخير خليفة للمسلمين- بصدد جمع القرآن «فى صحف توضع بين دفتين و تكون اصلا مكتوبا للقرآن يحفظ النص من دون أن ينقص أو يزيد منه شىء» «۱۰» و مشيرا عليه من مغبة ان تذهب كل الملاحم و المعارك التالية بالبقية الباقية من القراء فيذهب كثير من القرآن بذهابهم و استشهادهم فى سبيل اللّه أو «يتسرب إليه- القرآن- ما يغيّر فى الصورة الصادقة التى نقلها الوحى عن اللّه و نقلها الرسول عن الوحى و نقلها الصحابة عن النبى بدقة و امانة» «۱۰».

و لكن أبا بكر لم يوافق عمر على رأيه مبدئيا كما و لم يفكر أو يبحث فيه بل اجابه بقوله: كيف افعل شيئا لم يفعله رسول اللّه من قبل و لم يعهد الينا عهدا «۱۲» متصورا بأن جمع القرآن فى مكان واحد قد تكون سابقة خطيرة قد تقترب أو تصل إلى حدود البدعة التى نهى الرسول (ص) عنها و حاربها بكل هوادة و شدة ..

اضافة إلى انه «ليس هناك من نص صريح يحله و لا سابقة تعين على معالجته» «۱۳».

(۱۰) المصحف الشريف- الدكتور محمد عبد العزيز مرزوق.

(۱۲) الإتقان فى علوم القرآن- جلال الدين السيوطى- فضائل القرآن- إسماعيل بن كثير القرشى.

(۱۳) تاريخ القرآن- الدكتور عبد الصبور شاهين.

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۱۳۷

و قد دأب عمر بن الخطاب (رض) على مراجعة أبى بكر (ر ض) بهذا الشأن مرارا كما و دار حول الموضوع حوار طويل بينهما «لا سيما فيما يتعلق بتهافت أصحاب الرسول فى المعارك تهافت الفراش فى النار و خشية ألا يشهدوا موطنا إلا فعلوا ذلك حتى يقتلوا» «۱۴» حتى انتهى الحال أخيرا إلى انتزاع الموافقة على جمع القرآن، حيث ادرك أبو بكر- فى الأخير- الفوائد المترتبة من ذلك فضلا عما ثبت لديه من ان مثل هذه الخطوة ليست ببدعة فى كثير أو قليل ان لم تكن حسنة يثاب عليها المرء و يجزى عنها أحسن الثواب فى يوم الحساب، و انها أيضا تتفق مع روح التشريع الاسلامى و المصالح العامة و لا تعارض نصا شرعيا أو حكما دينيا ..

علما بأن هذه الموافقة كانت- كما يرى البعض- هى «اخطر قرار اتخذه أبو بكر فى حياته و أعظم الخطوات التى تمت فى تاريخ هذه الأمة» «۱۵» لأنها ستحفظ القرآن من التحريف و تبعده عن الزيادة و النقصان.

و فى سبيل تحقيق هذا الأمر الذى تم المصادقة عليه، استدعى أبو بكر الصديق اليه زيد بن ثابت و كان الأخير من أبرز كتاب الوحى و قال له: بانى قد عزمت على أمر خطير و جسيم آمل ان تعيننى عليه فإنك:

«رجل شاب عاقل لا نتهمك فى شىء و قد كنت تكتب الوحى لرسول اللّه (ص) فتتبع القرآن و اجمعه» «۱۶» فى مكان واحد ..

و قد كان وقوع هذا القول على رأس زيد كوقوع الصاعقة، حيث استثقل الأمر فى البداية و استبعده و شعر بجسامة التبعة التى كلف بحملها لأسباب مختلفة، منها انه لم يسبق له ان تلقى طلبا كهذا فى عهد رسول

(۱۴) إعجاز القرآن و البلاغة المحمدية- مصطفى صادق الرافعى.

(۱۵) تاريخ القرآن- الدكتور عبد الصبور شاهين.

(۱۶) البرهان فى علوم القرآن- بدر الدين الزركشى.

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۱۳۸

اللّه (ص) فضلا إلى ما يكلفه هذا العمل من الأتعاب و المشاكل التى هو فى غنى عنها، اضافة إلى أنه صحابى عاصر رسول اللّه و سمع حديثه لا يحب أن يقوم بعمل أو محاولة لم يفعلها النبى و لم يأمر بها- و انه كمسلم يتحاشى مثل هذا العمل خشية ان يقع- عند تنفيذه له- فى بعض الأخطاء و ما قد يترتب على هذه الأخطاء من المحاذير الدينية و الأدبية التى قد تهدد مكانته الدينية و تعصف بها.

و حسب زيد حينئذ انه لو كلف بنقل جبل- كجبل أبى قبيس المطل على قلب مكة- بصخوره و حصاه و ترابه ما كان اثقل عليه من تنفيذ هذا الطلب و اتمام هذا العمل المكلف به ...

و لكن لم تمضى إلا فترة قصيرة من الوقت إلا و شرح اللّه صدر زيد لقبوله تنفيذ هذا العمل كما شرح اللّه تعالى صدر أبى بكر بصدده من قبل، فوافق على القيام باعباء العمل طواعية و ابتدأ فى تنفيذه و تحقيقه فى الحال بعد أن توسل الى اللّه تعالى فى ان يختم مهمته بالنجاح و الخير ..

لقد قام زيد بالأمر- بعد ان أمر أبو بكر مناديا لينادى فى الناس، بأن كل من عنده شىء من القرآن فليجئ به إلى زيد- قام على خير وجه حيث سار وفق خطه حكيمة و سليمة فهو لم يعتمد فقط على ملكة الحفظ عند العرب بل اشترط اضافة اليها ان تعززها و تدعمها الكتابة، كما قرر ان لا يقبل أية آية مكتوبة من آيات القرآن «إلا من بعد شهادة شاهدين عادلين يفيدان على انها كتبت و حررت فى

حضرة الرسول (ص) و انها سمعت من فمه» «۱۷».

و الحقيقة ان كل هذه الاجراءات و التعقيدات انما وضعت أو اخذت بنظر الاعتبار فلأجل المبالغة فى الاحتياط و الامانة فى الجمع و الحرص على صحة و سلامة نقل الآيات الكريمة ..

---

(۱۷) الإتقان فى علوم القرآن- جلال الدين السيوطى.

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۱۳۹

و هكذا تتبع زيد بن ثابت القرآن باجمعه يجمعه من العسف و اللخاف و الصحف و القراطيس و صدور الرجال، فوجد قرب الفراغ من العمل ان آخر سورة التوبة «۱۸» كانت لدى أبى خزيمة الانصارى أو خزيمة بن ثابت الانصارى فى رواية أخرى و هى قوله تعالى: لَقَدْ جاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ ما عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُفٌ رَحِيمٌ فوافق على كتابتها دون تأخير أو ابطاء «۱۹» ذلك لأن رسول اللّه (ص) كان قد جعل شهادته مساوية لشهادة رجلين من المسلمين «۲۰» ..

كما ان عمر بن الخطاب (رض) كان قد جاء زيد بن ثابت بآية

---

(۱۸) فى الحقيقة أن زيد بن ثابت لم يجد هذه الآية مسجلة عند غير المسلمين ممن راجعهم، لا انه لم يكن يحفظها غيره بل كان يحفظها الكثيرون و يتلونها فى الصلوات و فى غيرها ..

كما و أن الروايات و المصادر التى تروى أو تأتى على هذه الواقعة قد وقعت فى الخلط و الالتباس بين خزيمة بن ثابت و ابى خزيمة الأنصارى فمنها من تعد الأول هو ذو الشهادتين و غيرها تعد الثانية ..

إن علة هذا الخلط ما بينهما يرجع إلى تكرر لفظ خزيمة فى الاسمين و ان الاثنين هما من الأنصار ..

(۱۹) فضائل القرآن- إسماعيل بن كثير القرشى، الإتقان فى علوم القرآن- جلال الدين السيوطى.

(۲۰) إن سبب جعل شهادة خزيمة أو أبى خزيمة معادلة لشهادة رجلين هو ان النبى (ص) كان قد اشترى يوما فرسا من سواد بن الحارث فاستتبعه لا عطائه ثمن الفرس، فاسرع النبى (ص) لمشى و أبطأ البائع المذكور، فاعترضه بعض الرجال و ساوموه على الفرس باكثر من الثمن الذى باعه و هم لا يعلمون ان النبى (ص) قد اشتراه منه، ثم انكر الاعرابى عند جلب النبى للثمن بيعه الفرس له، فشهد للنبى (ص) ابى خزيمة أو خزيمة فقال له الرسول: بم تشهد و لم تكن حاضرا فأجاب بتصديقك و إنك لا تقول إلّا حقا، فقال (ص): «من شهد له أبى خزيمة أو خزيمة أو عليه فحسبه».

و ابى خزيمة هو صحابى جليل و من اشراف الأوس و شجعانهم و قد حمل رايتهم يوم فتح مكة و شهد معركة صفين مع الإمام على بن أبى طالب- ع- و فى هذه المعركة استشهد و كان فى عام ۳۷ ه.

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۱۴۰

الرجم و هى: «الشيخ و الشيخة إذا زنيا فأرجموهما البتة نكالا من اللّه و اللّه عزيز حكيم» فلم يكتبها زيد بسبب أن نقل هذه الآية- أو العبارة على وجه الدقة- كان منحصرا به فقط و لم يشهد له على صحتها أحد من المسلمين «۲۱» ..

و ينقل عن لسان عمر بن الخطاب بصدد ما جاء به من آية الرجم قوله: «لو لا ان يقول الناس ان عمر قد اضاف إلى كتاب اللّه شيئا لاضفت هذه الآية إلى القرآن» ...

و قيل بعد هذا ان أبا بكر (رض) حرصا منه على سرعة و سهولة اتمام جمع القرآن طلب من عمر بن الخطاب و زيد بن ثابت ان «يجلسا عند باب المسجد النبوى فمن جاءهم بشاهدين على شىء من كتاب اللّه فليكتبوه» «۲۲».

و المقصود من الشاهدين هنا هو الحفظ و الكتابة أو بأن يشهدا بأن ما أتوا به كان مما عرض على النبى (ص) عام وفاته فى العرضة

الأخيرة و انه كذلك قد سمع منه و كتب بين يديه وجها لوجه ..

و طبيعى ان هذا السبيل الذى مورس فى جمع القرآن كان هو السبيل المثالى الذى لم يشوبه شىء من شبهة أو مثلبة، و قد ثمّن أحد الكتاب المتأخرين هذا السبيل فى الحفظ و الجمع فقال: «تستطيع أن تقول من غير تردد انه اتبع طريقة التحقيق العلمى المألوفة فى عهدنا الحاضر، و قد اتبع هذه الطريقة بدقة دونها كل دقة» «۲۳».

و قد تم لأبى بكر الصديق جمع القرآن كله فى مكان واحد مرتب الآيات و السور فى بحر سنة كاملة بسبب ان طلبه من زيد بن ثابت كان

---

(۲۱) الإتقان فى علوم القرآن- جلال الدين السيوطى.

(۲۲) تاريخ القرآن- إبراهيم الابيارى، تاريخ القرآن- محمد طاهر الكردى.

(۲۳) الصديق أبو بكر- الدكتور محمد حسين هيكل.

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۱۴۱

عقب واقعة اليمامة «و المدة الفاصلة بين هذه الواقعة و بين ارتحاله لجوار ربه أو قرب هذا الارتحال هى سنة واحدة تقريبا» «۲۴».

و هناك من قال بان عملية الجمع هذه استغرقت حوالى السنتين أو الثلاث «۲۵» ..

هذا و قد كتب زيد القرآن كله بجميع أجزائه و اوجهه المعبّر عنها بالأحرف السبعة «۲۶». كما «و لم يسجل فى المصحف إلا ما ثبت عدم نسخ تلاوته» «۲۷» و قد كتبه كما صرّح هو به على قطع الأديم و كسر الاكتاف و السعف و القراطيس ..... الخ.

و يمكن هنا تلخيص مهمة زيد بن ثابت التى تولى القيام بها فى مهد أبى بكر فنقول انها «لا تعدو عن ضم ما تفرق هنا و هناك على نسق معهود له و لغيره من جمهور الحفظة» «۲۸» من الصحابة و القراء ..

و السؤال الذى يفرض نفسه هنا هو عن السبب الذى من أجله اختير زيد بن ثابت للقيام بالمهمة التى اضطلع بها بجمع القرآن دون غيره من كتاب الوحى و الصحابة ..

ان الجواب على هذا التساؤل قد كفانى مئونة الإجابة عليه أحد الكتاب المتأخرين حيث يقول: «لما كان زيد شابا فهو أقدر على العمل من غيره، و هو لشبابه أقل تعصبا لرأيه و اعتزازا بعمله و ذلك يدعوه للاستماع لكبار الصحابة من القراء و الحفاظ و التدقيق فى الجمع دون ايثار لما حفظه هو، و انه كذلك حضر العرضة الأخيرة للقرآن» «۲۹».

---

(۲۴) مباحث فى علوم القرآن- الدكتور صبحى الصالح.

(۲۵) دراسات فى علوم القرآن- عبد القهار العانى.

(۲۶) سيرد شرح الحروف السبعة فى القرآن فى نهاية هذا الكتاب.

(۲۷) التعبير الفنى فى القرآن- الدكتور بكرى شيخ أمين.

(۲۸) نظرات فى القرآن- محمد الغزالى.

(۲۹) الصديق ابو بكر- الدكتور محمد حسين هيكل.

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۱۴۲

هذا و سنلقى بعض الضوء على شخصية هذا الصحابى الجليل فى الفصل القادم ..

أما عن السبب الرئيسى الذى حدا بأبى بكر أو عمر (رض) إلى عدم نسخ صور كثيرة مما كتب زيد بن ثابت فهو ان الصحف التى اضطلع بكتابتهما زيد اريد منها ان تكون وثيقة للتسجيل ليمكن بعد ذلك و حين الفراغ من حروب الردة و حرب الروم و الفرس- أو

عنـد الضـرورة- من نسـخها بأكثر من صورة، و قـد تم ذلك بالفعل فى عهـد عثمان بن عفان، اضافة إلى عدم وجود خلاف يذكر فى القراءات فى ذلك الوقت يتطلب العجلة فى النسخ أو الإسراع فى الجمع ..

ان الصـحف التى جمعت فيهـا آيات القرآن الكريم قـد وضـعت لـدى أبى بكر الصـديق انتظارا لحلول وقتها و ساعتها بعـد أن شـدّت بخيط خشـية سـقوط أو فقدان شىء منها، و بعد وفاته (رض) سنة ۱۳ ه انتقلت هـذه الصـحف إلى خلفه عمر بن الخطاب و ظلت لديه حتى قرب انتقاله إلى جوار ربه حيث ودعها حينـذاك عنـد ابنته حفصة زوجة الرسول (ص) و لم تحفظ لدى الخليفة الثالث عثمان بن عفان (ذى النورين) ..

و الحقيقـة بصـدد الفقرة الأخيرة هو أن عمر بن الخطاب كان قـد وضع الصـحف فى أواخر حياته لـدى ابنته حفصة و ليس لدى خلفه عثمان بسبب ان انتخاب هـذا الخلف لم يتم بعـد لأنه آثر ان يجعل أمر الخلافة شورى من بعده، و لاعتقاده كذلك بأن هذا الخلف- كائنا من كان- فى وسعه ان يستردها و يطلبها منها إذا تطلبت الحاجة اليها لأن الصحف هى ملك لكل المسلمين و ليس فى وسع أحد أن يسـتأثر بها دونهم، و لو كانت ملكا لأبى بكر- كما يقول البعض- لورثها ابناؤه من بعـده و لم تصل إلى عمر بن الخطاب أو تحفظ لديه، فضلا عن ان حفصة بنت عمر هى زوجة رسول اللّه (ص) و انها كانت تعرف القراءة و الكتابة «۳۰» ..

---

(۳۰) القرآن- محمد صبيح.

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۱۴۳

هـذا و ان إمام الهـدى على بن أبى طالب- ع- قال بصدد جمعه للقرآن: بان حبيبى رسول اللّه (ص) كان قد «أوصانى انه إذا ما واريته فى حفرته ان لا- أخرج من بيتى حتى أؤلف كتـاب اللّه فـإنه فى جرائـد النخـل و اكتاف الإبل ..» «۳۱» و انه أقسم ألا- يضع ردائه على ظهره حتى يجمع القرآن ..

و فى روايـة أخرى ورد ان رسـول اللّه (ص) قـال لعلى: «يـا على ان القرآن خلـق فراشـى فى الصـحف و الحرير و القراطيس فخـذوه و اجمعوه و لا تضيعوه كما ضيّعت اليهود للتوراة» «۳۲» ..

كما و ينسب للامام على قوله انه لو ثنيت له الوسادة و عرف حقه لأخرج مصحفا كتبه بيديه و املاه عليه رسول اللّه (ص) ..

لـذا فما ان اكمل الامام موارات ابن عمه (ص) و الناس منصـرفون إلى شـئون البيعـة و الخلافة حتى آلى على نفسه «ألا يرتدى برداء إلا للصـلاة حتى يجمع القرآن فى مصحف واحد ففعل» «۳۳» و كان الرجل ليأتيه فيخرج من غير رداء حتى جمعه فى مصـحف واحد من الرقاع المتنوعة غير المنتظمة ..

و قـد تم جمعه فى ثلاثـة أيام- و ربما كان أكثر- و بأوراق مترابطـة تشـكل كتابا بترابطها و تتابعها المنظم، و قد وضـعه- ع- فى ثوب أصـفر ثم ختم عليه فكان بذلك «أول مصـحف فى دنيا الاسلام جمع فيه القرآن من قلبه» «۳۴» و من تـدوينه أيضا، بينما كان أبو بكر (رض) أول من جمع القرآن من الصحف و الخشب و العسب و الاكتاف ..

---

(۳۱) تاريخ القرآن- أبى عبد اللّه الزنجانى، تفسير العياشى- محمد بن مسعود العياشى.

(۳۲) تاريخ القرآن- أبى عبد اللّه الزنجانى.

(۳۳) آلاء الرحمن فى تفسير القرآن- الشيخ محمد جواد البلاغى، الإتقان فى علوم القرآن- جلال الدين السيوطى.

(۳۴) الفهرست- ابن النديم.

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۱۴۴

و لم يحفظ الامام على بهذا المصـحف فى بيته أو يسـتأثره لنفسه دون جمهور المسلمين بل «أتى به على جمل فقال لجماعة المسلمين

هـذا القرآن قد جمعته» «۳۵» و كان- ع- قد «جزأ المصـحف سـبعة أجزاء» «۳۶» و وضـعه (جمعه) على ترتيب نزوله و تقـدم منسوخه على ناسخه كما و قد كتب فيه تأويل بعض الآيات و تفسيرها بالتفصيل فضلا عن الاشارة إلى عامه و خاصه و مطلقه و مقيّده و مجمله و بيّنه و محكمه و متشابهه و رخصه و عزائمه و آدابه و سننه و أسباب نزوله ..

لـذا فمصـحف الامـام على- ع- لم يكن فى الحق و الحقيقـة «أول مصـحف جمع فيه القرآن» «۳۷» فى عـالم الاسـلام فقط بل هو أول تفسـير له، و ليس هذا بمسـتكثر على الامام إذا ما علمنا بأنه- ع- كان قد «آمن بالاسلام و لما يمضى على نزول الوحى ۲۴ ساعة و انه شارك النبى (ص) فى أول صلاة صلاها للّه، و كان معه فى حله و ترحاله عدا غزوة تبوك التى استخلفه فيها على المدينة» «۳۸».

فليس غريبا و لا عجيبا ان نرى الرسول (ص) يثمن كل هذه الجهود و يشكر كافة هذه المساعى فيوشّح صدر الامام بوسام رفيع و كبير و هو و سـام العلم و العمل خاطّا عليه و باحرف من نور مقولته الشـهيرة التى تحـدث بها الركبان و حفظها القاصـى و الـدانى و هى «انا مدينة العلم و على بابها» ناهيك عن الأوسمة و الأنواط المختلفة الأخرى و التى يتعذر احصائها و يشق استقصائها .. لذا لم يعد بعيدا و لاـ مستغربا ان نسـمع الامـام يخطب جمـاهير المسـلمين و هو مـلء الثقـة و اليقين و الاـعتزاز يخطبهم بقوله: «انى لاـ عرف ناسـخه من منسوخه- يقصد القرآن- و محكمه من

---

(۳۵) البحار- محمد باقر المجلسى.

(۳۶) تاريخ القرآن- أبى عبد اللّه الزنجانى.

(۳۷) موجز علوم القرآن- داود العطار.

(۳۸) على و القرآن- محمد جواد مغنية.

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۱۴۵

متشابهه و فصله من فصاله و حروفه من معانيه و اللّه ما من حروف نزل على محمد (ص) إلا و انى اعرف فيمن نزل و فى أى يوم و فى أى موضع».

كما و ليس عجيبا أن نسمع حبر الأمة عبد اللّه بن عباس يقول:

اعطى على تسعة اعشار العلم و شارك الناس فى العشر العاشر ..

أو ما جاء عن عبـد اللّه بن مسـعود من ان الرسول (ص) اسـتدعى عليا- ع- فخلا به فلما خرج الينا سألناه ما الذى عهد به اليك يا على فقال: علمنى الف باب فتح لى من كل باب الف باب ..

و ما روى عن أبى الطفيل انه قال: شاهدت عليا يخطب و هو يقول: سلونى قبل ان تفقدونى فو اللّه لا تسألونى عن شىء إلا أخبرتكم و سلونى عن كتاب اللّه فو اللّه ما من آية إلا و انا أعلم بليل نزلت ام بنهار ام سهل ام فى جبل ..

و ما نقل عن غيره من انه سمع الامام على يخطب فى مكان آخر و يقول: «انه لو تكلم فى الفاتحة من القرآن لحمل منها سبعين وقرا».

و قد سأله مرة بعض الأصـحاب بعد ما لمس منه- ع- من نبوات صادقة و من فنون الأدب و البلاغة و الوان العلم و الفقه ما اطاح بلبه و أخذ بمجامع قلبه سأله: لقد اعطيت يا أمير المؤمنين علم الغيب فضحك الامام و قال: ليس هو علم غيب و انما هو تعلّم من ذى علم ..

هـذا علمـا بـأن الصـحابة كـانوا «متفقيـن على ان علم القرآن مخصـوص لأهـل الـبيت، إذ كـانوا يسـألون على بن أبى طـالب- ع- هل خصصـتم أهل البيت دوننا بشـىء سوى القرآن، فاستثناء القرآن بالتخصيص دليل على اجماعهم بأن القرآن و علمه و تنزيله و تأويله و تفسيره مخصوص بهم» «۳۹».

---

(۳۹) مقدمة فى تفسير الشهرستانى- هبة الدين الشهرستانى.

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۱۴۶

اضافة إلى ان «التفسير بالأثر و الحديث النبوى من العلوم التى تفرّد بها البيت النبوى و عرف بها الأئمة قبل غيرهم» «۴۰».

لذا فكل «أحد من الناس ادعى انه جمع القرآن كله كما انزل إلا- كذب، و ما جمعه و حفظه كما نزله اللّه تعالى إلا على بن أبى طالب- ع- و الأئمة من بعده» «۴۱».

و مما تقدم يظهر بان مصحف الامام على كان أول مصحف فى عالم الاسلام و قد طالما تأسف الأصحاب بعد ذلك على عدم اطلاعهم عليه أو تقبلهم له بعد ان عرض عليهم و وضع امامهم وجها لوجه ..

فهذا عبد الرحمن بن عوف يقول: «سألت عكرمة عن ذلك الكتاب فلم يعرف» «۴۲».

و بعده قال محمد بن سيرين: «لو اصبت ذلك الكتاب كان فيه العلم» ..

فرحمك اللّه يا أبا الحسن و طبت حيا و ميتا و اليك منى و من ملايين المسلمين الذين تمنوا بلوغ العصر الذى عشته ليغترفوا من فيض علمك و بلاغتك و سيرتك الف تحية اكرام و اعجاب و تقدير ..

هذا و كان هناك آخرون أيضا بالاضافة إلى الامام على قد نجحوا و وفقوا فى جمع القرآن فى مصحف واحد و مكان واحد بعد وفاة الرسول (ص) منهم أبىّ بن كعب و عبد اللّه بن مسعود و عبد اللّه بن عباس و أبو موسى الاشعرى و المقداد بن الأسود و معاذ بن جبل و سالم بن معقل مولى أبى حذيفة ... و سنشير إلى بعضها بعد الفصل القادم.

ان المصاحف الآنفة الذكر كانت موزعة فى الامصار و المدن

---

(۴۰) مقدمة تفسير شبّر- للدكتور حامد حفنى داود.

(۴۱) الكافى- محمد بن يعقوب الكلينى.

(۴۲) آلاء الرحمن فى تفسير القرآن- الشيخ محمد جواد البلاغى.

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۱۴۷

الإسلامية «فأهل الكوفة كانوا يقرءون على مصحف عبد اللّه بن مسعود و أهل البصرة على مصحف أبى موسى الأشعرى و أهل الشام بما فيهم أهل حمص على مصحف أبىّ بن كعب و أهل دمشق على مصحف المقداد ابن الأسود» «۴۳» ..

كما و قد كان ثمة خلاف بين هذه المصاحف «من جهة الأسلوب و الترتيب و القراءة» «۴۴» و ذلك لاجازة النبى (ص) لأصحابه تلاوة القرآن باللهجات التى درجوا عليها و أقرأهم بهذه اللهجات أو بعبارة أخرى بهذه القراءات وفقا لما تستطيعه السنتهم، و كان (ص) يطمئن خواطرهم عند الاستفسار منه عن حقيقة قراءة غيرهم بقوله: «كلكم على صواب» «۴۵»، فضلا عن ان أهل كل قطر و مصر كان يشعر لمصاحفهم بقوة على حساب المصاحف الأخرى و يؤيد قراءاتهم على ما عداها ..

و هذا الخلاف الذى استفحل و نما بمرور الأيام هو الذى أدركه الصحابى الجليل و القائد المشهور حذيفة بن اليمان «۴۶» حين كان يجاهد فى سبيل اللّه بين صفوف القوات الاسلامية فى جبهة آذربايجان (شمال غرب ايران) و ارمينيا، فعند اوبة هذا الصحابى- رحمه اللّه- إلى الكوفة احاط أميرها و كان حينئذ هو سعيد بن العاص احاطه بالخطر الذى سيلحق ببيضة الاسلام من جراء اختلاف المسلمين فى المصاحف و قراءاتها ..

---

(۴۳) الكامل فى التاريخ- ابن الأثير.

(۴۴) تاريخ المصاحف العثمانية- محمد هادى معرفة.

(۴۵) المصحف الشريف- الدكتور محمد عبد العزيز مرزوق.

(۴۶) كان حذيفة بن اليمان العبسى صاحب سر رسول اللّه و من أزهد الناس فى الدنيا، و يروى أن الرسول (ص) كان قد اجتره بما كان و ما يكون إلى أن تقوم الساعة بما فى ذلك واقع و حقيقة كل صحابى و عاقبته المنتظرة ..

توفى- رحمه اللّه- فى العراق عام ۳۶ ه و دفن إلى جوار قبر الصحابى الجليل سلمان الفارسى فى المدائن قرب بغداد و قبره هناك عامر و مفتوح للزوار ..

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۱۴۸

ثم توجه بعدها إلى المدينة المنورة ليفاتح الخليفة عثمان بن عفان واقع الأمر، فنهض الخليفة لهذا السبب و لغيره من الأسباب- كما سنشير إليه فى الفصل القادم- نهض بجمع القرآن (و هو الجمع الثالث)، كما و قام بعدها بتوزيع نسخ متشابهة منه على الامصار الاسلامية لتحل محل المصاحف المتداولة بهدف وضع حد لكل خصومة قد تطرأ أو خلاف قد يثار من جراء اختلاف المصاحف، هذا الخلاف «۴۷» الذى برز بسبب طول عهد الناس بالرسول (ص) و الوحى و التنزيل وادى إلى ظهور ناشئة جديدة سببت الاختلاف فى حروف الأداء و وجوه القراء ..

فلنرى فى الفصل التالى كيف قام عثمان بن عفان بهذه المهمة و كيف كان موقف المسلمين منها و كيف تقبلها الناس برحابة صدر و بسرور بالغ ..

---

(۴۷) نشير هنا إلى أن البعض يرى أن اختلاف المصاحف يعود إلى اجازة عثمان بن عفان لإعلام قريش من المهاجرين و الانصار بالخروج إلى الامصار و البلدان بعد أن حظر عليهم عمر بن الخطاب هذا الخروج فى حياته حيث «تفرّق الصحابة فى الامصار و اشتدوا فى ذلك، فقرأ أهل كل مصر بقراءة من نزل بينهم من الصاحبة و القراء» تاريخ الطبرى- محمد بن جرير الطبرى.

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۱۴۹

الجمع الثالث للقرآن

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۱۵۱

قلنا فى الفصل السابق ان حذيفة بن اليمان عند ما عاد من حرب ارمينيا و آذربايجان دخل على عثمان بن عفان قبل دخوله لبيته ليخبره بمخاوفه من اختلاف المسلمين فى قراءة القرآن لأنه سمع أهل الشام الذين كانوا يقاتلون معه فى صفوف الجيش الاسلامى سمعهم يقرءون بقراءة أبىّ بن كعب بينما كان يقرأ أهل العراق بقراءة عبد اللّه بن مسعود و غيرهم ممن كان معه يقرءون بقراءة أبى موسى الأشعرى فتقرأ كل فئة بما لا تسمع به الأخرى من جهة حروف الأداء و وجوه القراءات حتى ان الرجل ليقول لصاحبه: إن قراءتى خير من قراءتك و افضل من قراءتك مما سبب و دعا إلى ان يكفّر بعضهم البعض و يلعن أحدهم الآخر ..

و طلب حذيفة من عثمان- بعد ان وصل الحال إلى هذه الدرجة من الحراجة و الخطورة أن يدرك الأمة قبل أن تختلف فى القرآن و تتشتت بسببه أيدى سبأ و على غرار اختلاف اليهود و النصارى «۱» من قبلهم فى كتبهم الدينية المنزلة عليهم «۲» ..

---

(۱) صحيح البخارى- محمد بن إسماعيل البخارى، الفهرست- ابن النديم.

(۲) بصدد كتب اليهود و المسيحيين الدينية و أنواعها نقول:

«أ- المعروف عن أسفار العهد القديم عند اليهود إنها تنقسم إلى أربعة أقسام هى:

۱- القسم الأول: و هى كتب موسى (الاسفار الخمسة) و هى سفر التكوين أو الخلق و فيه ذكر خلق العالم و قصة آدم و حواء و أولادهما و نوح و الطوفان و إبراهيم و إسحاق و يعقوب و يوسف ... و سفر الخروج أى خروج اليهود من

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۱۵۲

و بعد مضى فترة وجيزة على طلب حذيفة و التماسه هذا تسرّبت إلى عثمان أخبار مقلقة و مفزعة مفادها ان أهل حمص يزعمون ان قراءتهم خير من قراءة غيرهم و ان أهل دمشق بدورهم يصوبون قراءتهم على ما سواها و هكذا الحال مع أهل الكوفة و البصرة حيث كان الرجل من أهل

مصر و فيه قصة موسى منذ ولادته و بعثته و فرعون و خروج اليهود من مصر و صعود موسى إلى الجبل و إرسال الألواح و سفر الاحبار (اللاويين) و فيه أحكام الفرائض و الحدود و سفر العدد و بعضه فى الشرائع و البعض فى أخبار موسى و بنى إسرائيل فى القبة و قصته البقرة و سفر تثنية الاشتراع أى إعادة الناموس ..

۲- القسم الثانى: و تسمى الاسفار التاريخية و عددها (۱۲) سفر و هى أسفار يوشع و القضاة و راعوث و صموئيل (اثنان) و الملوك (اثنان) و أخبار الأيام (اثنان) و عزرا و تحميا و استير ..

۳- القسم الثالث: و تسمى أسفار الأناشيد (الشعرية) و عددها (۵) و هى سفر أيوب و مزامير داود و أمثال سليمان و الجامعة من كلام سليمان و نشيد الأناشيد لسليمان ..

۴- القسم الرابع: و تسمى أسفار الأنبياء و عددها (۱۷) و هى أسفار أشعياء و أرمياء و مراثى أرمياء و حذقيال و دانيال و يوشع و يوئيل و عاموس و عوبديا و يونس و ميخا و ناحوم و حبقوق و صفينا و حجى و زكريا و ملاحى.

أما التلموذ فهو مجموعة من المناقشات الدينية و تاريخ لبعض رجال الدين و يضم أيضا كثيرا من القوانين المدنية و العقوبات لفترة تمتد إلى ألف سنة و يقسم إلى قسمين:

۱- المشنا و كتبت باللغة العبرية.

۲- الجيمارا و كتبت باللغة الآرامية.

ب- أما الاناجيل المعتمدة لدى المسيحية فهى (۴): إنجيل متى و إنجيل مرقص و إنجيل لوقا و إنجيل يوحنا.

أما الاناجيل التى لا تعتمدها الأكثرية و يوثقها البعض فهى: إنجيل برنابا و إنجيل الحوارى يعقوب و إنجيل الحوارى توماس و إنجيل القديس نيكوديم و إنجيل نلامس (السبعين) و إنجيل الاثنى عشر و إنجيل التذكرة و انجيل العبريين (الناصريين) و إنجيل ديصان و إنجيل مانى و إنجيل مرقيون (مرسيون) و إنجيل الأبيونيين، الأسفار المقدسة فى الأديان السابقة للإسلام- الدكتور عبد الواحد وافى.

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۱۵۳

هذه المدن يقرأ القرآن الكريم فيقول له الآخر: كفرت بما تقول و تقرأ ..

فكرّ عثمان بن عفان فى الأمر مليا و قلّبه على كافة وجوهه، و لما يمضى إلا أيام و ليالى و هو فى غمرة دراسة الموضوع و ما يمكن اتخاذه من حلول جذرية لقطع دابر الفتنة و الحفاظ على القرآن دون ان يتطرق إليه شىء من التحريف أو الزيادة أو النقصان «لا سيما و انه ادرك ان العرب لا- يستمرون عربا على الاختلاط و الفتوح و ان الالسنة تنتقل و اللغات تختلف فان أمن فى عصره لم يدر ما يكون بعد عصره» «۳».

أجل إذ هو فى غمرة دراسة الموضوع و إذا بمعلومات و أنباء جديدة و مفزعة ترده و تطرق اسماعه و خلاصتها هو اختلاف المعلمين مع طلابهم من قلب المدينة المنورة نفسها و تطور هذا الاختلاف إلى نزاع و قتال مسلح شهرت فيه المدى و استعملت السكاكين.

و عند البحث و التحقيق فى الأمر ظهر له واضحا و تجلى «ان الدافع الرئيسى و الأوحد فى هذا النزاع هو قراءة القرآن و حرص كل فئة من اطراف النزاع على تصويب قراءتها و ترجيحها على الأخرى» «۴».

و بعد كل هذه الوقائع و الأحداث المتتالية و التى استأثرت من عثمان ابن عفان كل تفكيره و وقته وطّد العزم على أمر هام- و قبل ان

يستفحل الداء و يعز الدواء- و هو جمع الناس على مصحف واحد بلغة قريش و هى التى نزل بها القرآن مفصحا عن هذا بقولته الشهيرة: «انتم عندى فى المدينة مختلفون فيه فتلحنون فمن نأى عنى من الامصار كان أشد اختلافا و أكثر لحنا يا أصحاب محمد اجتمعوا فاكتبوا للناس اماما» ..

و لهذا السبب سمّى مصحف عثمان بعد نسخه ب « «المصحف الامام» ..

---

(۳) إعجاز القرآن و البلاغة النبوية- مصطفى صادق الرافعى.

(۴) تاريخ القرآن- محمد طاهر الكردى.

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۱۵۴

هذا و لم يكن عثمان لينفرد بجمع القرآن أو يتخذ بشأنه هذا القرار الخطير من دون استشارة أو مشاركة كبار الصحابة و أصحاب الحل و العقد ممن عاصر الرسول (ص) و سمع حديثه و خصوصا امام الهدى على بن أبى طالب و الذى سبق لسلفه- أى عمر- ان كان يفزع إليه و يشاوره فى كل أمر خطير فكان يجد فى الامام الاستجابة الكاملة و النصح و العون التامين ..

لذا فقد دعا عثمان جمهورا من أصحاب رسول اللّه و فى طليعتهم الامام على و تدارس الموضوع معهم و من كافة اطرافه و طلب منهم الحل و المشورة ازاء توحيد القرآن الكريم ليكون اصلا للقراءة و الكتابة يرجع إليه عند الحاجة و لقطع دابر كل خلاف أو نزاع قد يحدث بين المسلمين فى اقطار الأرض بشأن قراءته ..

و لم يكن جواب الأصحاب إلا- الاستحسان و التأييد المطلق لهذه الفكرة و مشيرين عليه بفكرة الرجوع إلى الصحف الأولى التى جمعت فى عهد أبى بكر الصديق (رض) و انتقلت أخيرا إلى يد حفصة بنت عمر لاعتمادها عند النسخ و ان يأخذ الناس بها و يجمعها عليها، فضلا عما اظهره الأصحاب من استعدادهم الكامل لوضع كل امكانياتهم من أجل تحقيق هذه الفكرة و ابرازها إلى عالم النور و الواقع ..

لذا فقد عدّ جمهور من الرواة و المؤرخين «ان جمع القرآن هذا- الجمع الثالث- و استنساخه فى المصاحف و الذى تولاه عثمان كان بتشجيع من الامام على- ع- و بموافقته» «۵» و «باتفاق منه» «۶» حتى ان قسما من هؤلاء الرواة قد نقلوا عن لسان الامام على قوله: «لو لم يفعل عثمان هذا الشىء لفعلته انا، فو اللّه ما فعل الذى فعل (عثمان) فى المصاحف إلا عن ملأ منا» «۷».

---

(۵) تاريخ القرآن- أبى عبد اللّه الزنجانى.

(۶) التبيان فى آداب حملة القرآن- يحيى شرف الدين النووى.

(۷) المصاحف- السجستانى.

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۱۵۵

فموقف الامام على هذا ما هو فى الحقيقة و الواقع إلا- «حرص منه- ع- على الالتزام بالمقرر وفق الرسم العثمانى تحفظا و ابقاء على الترابط الإسلامى المتوحد فى ظل وحدة الكتاب الأمر الذى ينبئ عن بعد نظر الامام على و غور فكره عند دروس القضايا العامة ليختار الوجه الأصلح مهما كلف الأمر من تضحيات» «۸».

بعد ارفضاض المشاورات و المداولات الآنفة الذكر و التى انتهت بدعم فكرة توحيد المصاحف، بادر عثمان بن عفان بطلب الصحف المحفوظة لدى حفصة بنت عمر لغرض استنساخها فى المصاحف و قطع لها عهدا باعادتها إليها حال الفراغ منها و من دونما ابطاء أو تأخير ..

لبت حفصة الأمر و ارسلت الصحف برمتها إلى الخليفة عثمان، فأمر الخليفة بتأليف لجنة رباعية برئاسة زيد بن ثابت (من الأنصار) و

عضويـة كـل من عبـد اللّه بن الزبير و سـعيد بن العاص و عبـد الرحمن بن الحارث بن هشام (الثلاثـة من قريش- المهاجرين) و خوّلها صلاحية ممارسة كافة الحقوق و الصـلاحيات من أجل «اخراج نص مكتوب- للقرآن الكريم- من الصـحف المحفوظة لدى حفصة أم المؤمنين» «۹» و بعدة نسخ ...

بدأت اللجنة مهمتها على الفور مستعينة باللّه تعالى و مستمدة العزم و الدعم من جموع المسلمين و على الخصوص أهل الحل و العقد منهم ..

و قيل هنا أن عثمان بن عفان سأل عن اكتب أعضاء اللجنـة و اعربهم فقيل له: ان أكتبهم هو زيـد و اعربهم سـعيد، فقال ليكتب زيـد و ليملل سعيد ..

---

(۸) تاريخ المصاحف العثمانية- محمد هادى معرفة.

(۹) المصحف الشريف- الدكتور محمد عبد العزيز مرزوق.

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۱۵۶

و المقصود من الكتابة هنا هو معرفة قواعد الكتابة و حسن الخط، كما و ان المقصود من الاعراب هو الفصاحة و البلاغة ..

كما و كان عثمان بن عفان قد أشـعر القرشـيين الثلاثة من أعضاء اللجنة عند بدأ النسخ بانه اذا ما اختلفوا و زيد بن ثابت فى شـىء من رسم كتابة القرآن فليكتبوه بلسان قريش لأن القرآن نزل بلسانهم ففعلوا ذلك.

و يروى هنا- انه خلال عمليـة النسخ- «لم يختلف زيد بن ثابت و سـعيد بن العاص فى شـىء من القرآن إلا فى حرف واحد من سورة البقرة عنـد قوله «إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ» «۱۰» فقال زيد نكتب «التابوة» بينما أصـرّ الآخرون على كتابة «التابوت» و عند عرض الحال على عثمان آثر كتابة اللفظ الثانى لأنه بلسان قريش فثبت فى المصحف» «۱۱» ..

هذا و بعد انتهاء اعمال اللجنة ظهر انها نسـخت خمسة أو أربع أو سبع «۱۲» مصاحف متشابهة حيث ارسل عثمان بمصـحف واحد إلى كل بلد و مصـر اسـلامى و قد فصـّلها البعض فقالوا: بان عثمان «قد احتفظ بواحد من هذه المصاحف فى المدينة بينما ارسل البقية إلى البصـرة و الكوفة و مكة و الشام، و من قال بأن اللجنة نسخت سبع مصاحف فقد ارسلت خمسة إلى الامصار السابقة و ارسلت بالاضافة إلى ذلك نسخة إلى اليمن و أخرى إلى مصر» «۱۳» و قيل إلى البحرين أيضا.

---

(۱۰) البقرة- ۲۴۸.

(۱۱) الإتقان فى علوم القرآن- جلال الدين السيوطى.

(۱۲) إن العلـة فى اختلاـف عود المصـاحف يرجع إلى الرواة حيث اعتمـدوا تعـداد المصـاحف على الامصار التى أرسـلت إليها هـذه المصاحف، حيث ربما أرسل مصحف واحد إلى مصرين مثلا، فالراجح أن المصاحف خمسة بعدد الحفاظ الذين أرسلوا معها ..

(۱۳) تاريخ القرآن- محمد طاهر الكردى.

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۱۵۷

و يقال ان عثمان قد ارسل مع كل مصحف صحابى يرشد الناس إلى قراءته و ما يحتمله رسمه منها مما صح و تواتر فكان «عبد اللّه بن السائب مع المصـحف المكى و المغيرة بن شـهاب مع المصـحف الشامى و أبو عبد الرحمن السـلمى مع المصحف الكوفى و عامر بن عبد القيس مع المصحف البصرى، بينما طلب زيد بن ثابت ان يقرأ الناس بالمصحف المدنى» «۱۴».

و هكـذا «تلقت الامصار الاسـلامية المـذكورة المصـحف مكتوبا و معه صـحابى يتلوه على الناس، صـحابى تلقاه بـدوره من فم النبى- ص-» «۱۵».

و بقدر تعلق الأمر بعدد المصاحف التى استنسخت و الجهات التى ارسلت اليها فلا نعرف على وجه الدقة السبب الحقيقى الذى من أجله لم يرسل عثمان لكل بلد اسلامى بمصحف أو بأكثر من مصحف ..

و الظاهر هنا ان عدم ارسال اعداد كثيرة من المصاحف إلى كافة البلدان الاسلامية و انما اكتفى عثمان بن عفان ارسال نسخة واحدة منه فقط إلى بلدان معدودة يعود إلى قلة النساخ أولا و إلى عدم توفر الورق لديهم بكثرة ثانيا.

اما بصدد اللجنة و كيفية تشكيلها و رئاستها و التى سبق ان شكلت- كما قلنا- على النحو التالى:

زيد بن ثابت/ رئيسا (الأنصار) عبد اللّه بن الزبير/ عضوا (المهاجرون) سعيد بن العاص/ عضوا (المهاجرون) عبد الرحمن بن الحارث بن هشام/ عضوا (المهاجرون)

---

(۱۴) تاريخ القرآن- محمد طاهر الكردى.

(۱۵) المصحف الشريف- الدكتور محمد عبد العزيز مرزوق.

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۱۵۸

فيظهر انه لم تتوفر الأسباب الخفية و «الحقيقية التى دعت عثمان لاختيار القرشيين الثلاثة إلى جانب زيد بن ثابت فى اللجنة» «۱۶» اذا ما علمنا بان هذا الجمع للقرآن لا يعدوا عن كونه كتابة ما فى الصحف المحفوظة لدى حفصة أم المؤمنين فى المصاحف المتعددة فقط ..

فبصدد سعيد بن العاص فقد كان منذ عام ۲۹ هجرية أميرا على الكوفة و لا نعلم هل استدعى إلى المدينة للمهمة المذكورة ام كان وجوده فيها صدفة فاختير لعضوية اللجنة، كما لو نعلم عن القرشيين الآخرين سببا وجيها لدعوتهم للاشتراك فى هذه اللجنة ..

و كلما قيل بشأن هؤلاء الثلاثة هو ان السبب الرئيسى لاختيارهم يرجع لمعرفتهم بلسان قريش أو أنه يعود لأجل مساعدة زيد فى الكتابة و النسخ، فضلا عن ان اعضاء اللجنة يجمعون بين الشباب و الكهولة فالشباب يمثلون العزيمة و النشاط، و الكهول يختارون للتجارب و الخبرة و نضوج الفكر ..

هذا و ان «المادة التى نسخت عليها المصاحف فهى الرقوق المصنوعة من الجلد الذى يهذب و يعالج بالصناعة حتى يصلح لما يراد له من الكتابة عليه، و فى ذلك يقول القلقشندى فى صبح الاعشى و اجمع الصحابة على كتابة القرآن فى الرق لطول بقائه و لأنه الموجود عندهم حينئذ أكثر من غيره» «۱۷» ..

و بعد هذا يمكن اختصار و حصر المراحل و الادوار الثلاثة لجمع القرآن من صدور المسلمين و كتاباتهم إلى المصحف العثمانى فنقول:

انه قد تم فى المرحلة الأولى الجمع و هو عبارة عن «كتابة الآيات و ترتيبها و وضعها فى مكانها الخاص من سورها مع بعثرة هذه الكتابة

---

(۱۶) نظرة عامة فى تاريخ الفقه الإسلامى- الدكتور على حسن عبد القادر.

(۱۷) المصحف الشريف- الدكتور محمد عبد العزيز مرزوق.

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۱۵۹

و تفرّقها فى العسف و العظام و الجلود و الصحف» «۱۸» و قد تم كل ذلك و جرى فى عهد الرسول (ص) ..

اما المرحلة الثانية فقد تم فيها التنسيف و التبويب (فى كتاب) و هو عبارة عن نقل القرآن و كتابته فى مصحف مرتّب الآيات مع الوثوق من تواترها، و قد جرى هذا فى عهد أبى بكر الصديق (رض) ..

و المرحلة الثالثة و الأخيرة فقد كانت مرحلة الالتزام و النشر بعد نقل ما فى الصحف المشار اليها فى مصحف امام واحد مع ترتيب سوره و آياته و استنساخ مصاحف عديدة ارسلت إلى الاطراف الاسلامية و كانت كل هذه قد جرت فى عهد عثمان بن عفان و فى حوالى عام ۲۵ للهجرة ..

هذا و قيل بصدد المصاحف التى استنسخت- فى عهد عثمان- انه قد وجد اختلاف بسيط ما بين حروفها و انها «لم تكن متشابهة ۱۰۰٪» «۱۹» و «لا متطابقة تماما» «۲۰» و ان اتفقت فى المعنى ..

و لتعليل هذه الظاهرة قيل ان عثمان بن عفان لما جمع القرآن فى المصاحف و نسخها على شكل واحد و آثر فى رسمها لغة قريش دون غيرها، برزت بوجهه مشكلة حروف القرآن- و لما ثبت لديه ان هذه الحروف هى من عند اللّه تعالى و ان جمعها فى مصحف واحد غير ممكن إلا باعادة الكلمة لاكثر من مرة، لذا آثر توزيعها و تفريقها فى المصاحف المرسلة إلى الأقطار الاسلامية فجاءت مثبتة فى بعضها و محذوفة من البعض الآخر و ذلك لكى تحفظها الأمة «۲۱» كما نزلت من عند اللّه تعالى و على ما سمعت من فم رسول اللّه (ص) ..

---

(۱۸) نظرات فى القرآن- محمد الغزالى.

(۱۹) تاريخ القرآن- محمد طاهر الكردى.

(۲۰) تاريخ القرآن- الدكتور عبد الصبور شاهين.

(۲۱) قيل أن عثمان كان يتحاشى أن يكتب أكثر من رسم واحد فى مصحف واحد خشية أن يتوهم بأن اللفظ قد نزل مكررا، أو أن يكتب أحد الالفاظ فى الأصل

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۱۶۰

كما و قد ذهب البعض إلى خلاف هذا القول حيث اشاروا «۲۲» إلى ان جمع عثمان بن عفان كان بحروف واحد و هو لغة قريش بينما كان جمع أبى بكر الصديق من قبل بجميع الأحرف السبعة ..

كما و نجد هناك رأى ثالث يذهب إلى ان: «تسجيل ما سجل من القرآن فى عهد النبى (ص) باملائه على كتاب الوحى- فى أكثر النص ان لم يكن فى جميعه- كان بحرف واحد و بصورة واحدة خالية من الزيادة أو النقص أو التبديل أو التناقض مما تحتمله أو لا تحتمله رخصة الأحرف السبعة أو ترتب على فهم بعضهم لها أو استند اليها» «۲۳» و سنشير إلى حروف القرآن فى فصل خاص بنهاية الكتاب ..

هذا و بعد ان أرسل عثمان بن عفان المصاحف إلى الحواضر الاسلامية طلب من الولاة و المسلمين فيها ألا يعتمدوا على شىء من آيات اللّه البينات إلا على ما ورد فى هذه النسخ الرسمية المرسلة اليهم، كما و أعلمهم بانه قد محا و احرق ما عداها من الصحف و الآيات فعليهم بدورهم إما ان يرسلوا اليه المصاحف المتواجدة عندهم لاحراقها أو محوها و إما ان يتولوا هم بأنفسهم مهمة محوها أو احراقها ..

و قد لبى المسلمون هذا النداء «فأحرق كل امرئ ما كان عنده مما يخالفها- المصاحف- ترتيبا أو قراءة و اطبق المسلمون على ذلك النسق و ذلك الحرف» «۲۴» ..

و بشأن حرق عثمان للصحف و المصاحف- عدا تلك الصحف التى استنسخ من عليها و اعادها إلى أم المؤمنين حفصة- فقد اعترض

و البقية فى الحاشية لئلا يتوهم أن الثانى هو تصحيح للأول أو أنه ترجيح فى حين أنه بلا مرجح- علوم القرآن- أحمد عادل كمال.

(۲۲) مباحث فى علوم القرآن- مناع القطان.

(۲۳) تاريخ القرآن- الدكتور عبد الصبور شاهين.

(۲۴) إعجاز القرآن و البلاغة النبوية- مصطفى صادق الرافعى.

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۱۶۱

على خطوته هذه جملة كبيرة من رجالات المسلمين و سمّوه بسببها «حراق القرآن» و كانت وجهة نظرهم انه اذا كان لا بد من اتلاف هذه الصحف و المصاحف فلا أقل من ان تمحى و تغسل بالماء أو يتولى قارب صغير نقلها إلى عرض البحر الأحمر (القلزم) المجاور لالقائها هناك لتختفى إلى الأبد فى أعماقه ..

و رغم وجاهة هذه النظرة إلا اننا نرى هنا و فى نفس الوقت من تقبّل هذه الفعلة- الحرق- و باركها لانها برأيهم أحسن وسيلة لجعل آيات القرآن لا تستعمل و ما فى هذا الاجراء من قطع و استئصال لدابر ما قد يحدث مستقبلا من خلاف أو نزاع فى حالة بقاء شىء من هذه الآيات مسجلة و سالمة ..

و أضاف هؤلاء حجة أخرى هو انه إذا كان قول الفئة الأولى و هو حرمة حرق القرآن لكونه يضم آيات اللّه الحسنى و اسماء انبيائه و رسله فإن غسل هذه الصحف أو محّوها- كما طالبت به- هو كالحرق من جهة ازالة هذه الاسماء و مسحها، و اذا كان الحرق هنا اشد وطأة و وقعا- كما تقول الفئة الأولى- إلا ان المعصية و الإثم هما حرامان عند اللّه سواء كان هذا كبيرا أو دونه حيث ان الرسول (ص) كان يقول فى أكثر من مرة:

«لا تنظر إلى نوع المعصية و لكن انظر إلى من تعصيه» ..

و للفئتين المتقدمتين بصدد الحرق أو الغسل مبررات و حجج و اثباتات اخرى ينتصران بها و لا مجال لإيرادها بعد ان تم سرد اهمها و أوجهها ..

أما بصدد الصحف التى اعيدت إلى أم المؤمنين حفصة بنت عمر بعد ان جرى استنساخ القرآن الكريم من عليها، فهذه الصحف تعد- بحق- مرجعا من مراجع المصحف العثمانى و سنده الأول ان لم يكن الأوحد و لم يمسها عثمان بن عفان بشىء بل بقيت محفوظة لديها- حفصة- حتى ولاية مروان بن الحكم على المدينة عام ۴۷ أو ۴۸ هجرية

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۱۶۲

حيث طلبها الأخير منها فأبت باصدار و قوة ان تعطيه و لو بعضها خشية احراقها أو إتلافها .. و لكن لما انتقلت إلى جوار ربها عام ۴۹ هجرية تنفس مروان الصعداء و ارسل على الفور من يأتى بها إليه، فقام عبد اللّه ابن عمر باستخراجها جميعها من بيت أخته حفصة و سلّمها إليه، و قام مروان بدوره باحراق هذه الصحف أو بشقها ..

و ينقل عن لسان مروان قوله بهذا الشأن انه «انما فعل هذا لأن ما فيها قد كتب و حفظ بالمصحف فخشى ان طال بالناس زمان ان يرتاب فى شأن هذه الصحف مرتاب و يقول انه قد كان شىء منها لم يكتب» «۲۵».

هذا و قد انصاع المسلمون فى كافة الامصار لمصحف عثمان و تلقوه بالقبول و اتفقوا على العمل به رغم ان عثمان لم يكن عنيفا و لا شديدا كسلفه، و ما هذا الانصياع و الرضاء التام إلا «لأن المصاحف المرسلة من قبله قد خرجت عن اجماع و اتفاق اطمأنت إليه القلوب و العقول» «۲۶» و ارتضته النفوس و باركه الأصحاب و رجالات المسلمين حتى ان الجميع قد اتفقوا على ان «من نقّص حرفا واحدا قاصدا لذلك أو بدله بحرف آخر مكانه أو زاد فيه حرفا مما لم يشتمل عليه المصحف فقد كفر» «۲۷».

هذا و نحب هنا ان نسجّل و لو شيئا يسيرا عن الصحابى الجليل زيد بن ثابت «۲۸»، فنحن إذ نثمن جهود هذا الصحابى الكبير و ارادته التى لا

---

(۲۵) المصاحف- السجستانى.

(۲۶) تاريخ القرآن- إبراهيم الأبيارى.

(۲۷) القراءات و اللهجات- عبد الوهاب حمودة.

(۲۸) هو زيد بن ثابت بن الضحاك الأنصارى الخزرجى ولد فى المدينة و نشأ بمكة و هاجر مع النبى (ص) و عمره ۱۱ سنة، و يقال إنه شهد واقعة أحد و استصغر يوم بدر، و قيل إن أول مشاهده الخندق و قد كتب الوحى و غيره للرسول (ص)، استخلفه عمر بن الخطاب على المدينة ثلاث مرات، فكان عمره عند الجمع

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۱۶۳

تقل عند جمع القرآن من صدور الناس و كتاباتهم (الجمع الثانى) أو عند استنساخ المصاحف التى وزعت على الامصار (الجمع الثالث) من دون ان يؤثر عليه أحد أو يفرض عليه اتجاه خاص بل نراه سار فى طريق مستقيم حددت له معالمه الشريعة الغراء من دون أن ينحاز لهذه الفئة أو يعادى تلك ..

فنراه- مثلا- يقبل و يرحب بحرارة ما جاء به خزيمة بن ثابت الانصارى أو أبو خزيمة (ذو الشهادتين) من آية أو آيات، بينما يرفض باصرار و عناد ما أورده الخليفة عمر (رض) بصدد آية الرجم المشار ذكرها آنفا. رغم ان الأخير هو الآمر و الناهى و بيده السلطة و السلطان، و ان الأول لا- يتعدى عن ان يكون فردا من سواد المسلمين لا- تتجه إليه الأنظار و لا يملك من أسباب القوة و الإكراه ما يمكنه من فرض حرف واحد ناهيك من آية كاملة أو عدة آيات ..

و نحن إذ نثمن هنا كل هذه المآتى و المآثر التى اتصف بها زيد بن ثابت الانصارى لنعتقد جازمين بأن المجتمع الاسلامى فى كل عصر و مصر- و لا سيما فى هذا العصر الموسوم بعصر النور و الالكترون- لا يعدم أشخاصا كثيرين و يعدون بالمئات- بل بالآلاف- يناظرون زيدا و يضاهونه فى صلب العقيدة و عمق الفكرة و يحملون بين ثنايا صدورهم افئدة و قلوبا نابضة لها نفس الطاقة و الحيوية التى كانت له، و فى مكنتهم ان يقوموا بنفس دور زيد و زيادة ..

ان هذه الطاقات و هذه العزائم ستتحرك- لا محالة- عند ما تدق ساعة العمل و متى ما وجدت الطرق و السبل امامها ممهدة و سالكة فحينئذ ستأتى بالمستحيل و تبنى المعجزات بسبب ان الايمان و اليقين يصنع

الثانى ۲۲ سنة و عمره عند الجمع الثالث ۳۵ سنة- توفى- رحمه اللّه- فى المدينة عام ۴۵ هجرية عن عمر ۵۶ أو ۵۴ سنة.

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۱۶۴

العجائب و يخلق رسائل النجاح و لو من بين طيات العدم و اليأس «۲۹» ..

اننا هنا عند ما ذهبنا إلى الاشادة بجهود زيد بن ثابت و تثمين اتعابه فى جمع القرآن لم نعدم فى نفس الوقت من يؤاخذه و من لا يتفق أو يلتقى معه فى بعض الأمور .. و نحمد اللّه- الذى لا يحمد على مكروه سواه- على أن هذه المؤاخذة لا تمتد إلا إلى أمر جانبى واحد أو اثنين لا ثالث معهما، و هو أمر- من بعد ذلك- لا منفذ من ورائه للنزاع أو الصيد فى الماء العكر.

فمن يؤاخذ زيد على شىء يتفق معه و مع عامة المسلمين فى المشرق و المغرب أولا بان القرآن الكريم هو الذى نجده بين الدفتين بدون زيادة من سورة و لا آية من بسملة و غيرها و لا كلمة و لا حرف واحد «۳۰» و لكن هذا الاتفاق و اللقاء لا يبرر- لديهم- عدم وجود تقديم أو تأخير فى بعض الآيات- لا- كلها- أى نقل بعض الآيات من اماكنها الطبيعية و اتمامها بين آيات أخرى من القرآن لسبب مقصود أو بدونه ..

ان خير مثل يورده هؤلاء هنا بصدد التقديم أو التأخير هو قوله تعالى فى سورة الأحزاب إِنَّما يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَ يُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً «۳۱».

فآية التطهير هذه قد اقحمت عند جمع القرآن- برأى هؤلاء- بين

(۲۹) نشير هنا إلى أن العرب عند نزول الرسالة الإسلامية رغم قلة عددهم و شحة أسلحتهم و ذخيرتهم تمكنوا بالإيمان و العقيدة الراسخة من تحرير الامبراطوريتين الفارسية و الرومية و تقويض أركانها و تمزيق جيوشها و إدخال الدين الحق إلى ربوعهما ليحل مكان العقائد و الأديان السائدة فيهما ..

(۳۰) من الطبيعى أنه رغم تعدد المذاهب الإسلامية بل تعدد المذهب الواحد و ما بين بعضها من فروق كبيرة أو صغيرة إلّا أنه لو لا حفظ اللّه تعالى لكتابه و كونه المعجزة الدائمة لما بقى منه بعد ذلك من حرف واحد فضلا عن ان يبقى بكامله على الحرف الواحد الذى لا يمسه الباطل من بعيد أو قريب ..

(۳۱) الأحزاب: ۳۳.

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۱۶۵

آيات يخاطب اللّه تعالى فيها النساء- نساء النبى- موردا فيها جميعا صيغ و علامات التأنيث نحو «كنتن، تعالين، امتعكن، منكن، اتقيتن، تخضعن، قلن، قرن، اقمن، آتين، اذكرن» بينما آية التطهير المتقدمة تدل من الفاظها و جملها انها تخاطب الذكور دون الاناث و انها لا تنسجم مع طبيعة و شكل الآيات التى تتقدمها أو تليها مباشرة ..

علما بأن آية التطهير هذه سواء أ كان محلها فى غير هذا المكان أو هذا المكان فى القرآن الكريم لا تعنى من صياغتها- كما يظن- انها تنصرف فقط إلى الرجال دون النساء بل هى عند الجميع تخص الطرفين لأن أهل البيت- ع- منهم الرجال و منهم النساء. و انما الخلاف فيها يكمن فى محلها الصحيح من القرآن ..

كما يورد هؤلاء أيضا مثلا آخر هو أن الآيات الكريمة (۲۰ إلى ۲۵) من سورة الروم تبدأ كلها بقوله تعالى «وَ مِنْ آياتِهِ ...» ثم تأتى بعدها الآية (۴۶) من نفس السورة لتحمل قوله تعالى «وَ مِنْ آياتِهِ» حيث يقولون ان الآية الأخيرة كان مكانها عقب الآيات الستة الأولى المتتالية إلا انها أخّرت إلى هذا المكان عند الجمع الثالث ..

و أما بصدد تقديم بعض السور أو تأخيرها فيقول البعض بان «ترتيب السور فى المصاحف العثمانية كان بأمر و اجتهاد ممن جمعها» «۳۲» و ان «نزول السور لم يكن وفقا لترتيب المصحف اليوم» «۳۳» حتى ان أحد الكتاب المعاصرين تمنى «لو أن عثمان كان قد جمع القرآن حسب تاريخ نزول السّور لكان ذلك مفيدا و نافعا» «۳۴» ..

(۳۲) البرهان فى علوم القرآن- بدر الدين الزركشى، علوم القرآن- أحمد عادل كمال، إعجاز القرآن- مصطفى صادق الرافعى.

(۳۳) فوائد قرآنية- أحمد خيرى.

(۳۴) القرآن- محمد صبيح.

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۱۶۶

و كل هؤلاء يتخذون من اختلاف ترتيب السور فى مصاحف كبار الصحابة كإمام الهدى على بن أبى طالب- ع- و عبد اللّه بن عباس و أبىّ ابن كعب و عبد اللّه بن مسعود و معاذ بن جبل و غيرهم، اختلاف ترتيب سور هذه المصاحف عن المصاحف العثمانية خير دليل يعزز قولهم، حيث ان ترتيب السور كان عند الامام على اساس التنزيل حيث تبدأ بسورة اقرأ و المدثر و المزمل .... الخ و عند ابن مسعود يبدأ المصحف بسورة البقرة ثم النساء فآل عمران، و عند أبىّ بن كعب يبدأ بسورة الفاتحة فالبقرة فالنساء و آل عمران .... الخ ....

«و سواء أ كان ترتيب السور فى المصحف العثمانى توقيفيا أم اجتهاديا فإنه ينبغى احترامه و الالتزام به و لا سيما فى كتابة المصحف لأنه اجماع منذ عهد الصحابة إلى الآن- و الاجماع حجة- و لأن خلافه يجر إلى فتنة و درؤها واجب، اما ترتيب السور فى التلاوة فهو

مندوب- مستحب- و ليس بواجب» «۳۵».

هذا و سنلقى الضوء فى الفصل القادم على بعض مصاحف كبار الصحابة ممن عاصر رسول اللّه (ص) و سمع قوله لمكانتها التاريخية و لنرى مدى مطابقتها للمصحف العثمانى و الذى فرغنا من تبيانه فى هذا الفصل ..

---

(۳۵) علوم القرآن- أحمد عادل كمال، تاريخ القرآن و التفسير- الدكتور عبد اللّه محمود شحاتة.

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۱۶۷

مصاحف فى التاريخ

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۱۶۹

اشرنا فى فصل الجمع الأول للقرآن إلى ان الأصحاب كانوا يتنافسون فى استظهار آيات اللّه و حفظها و مدارستها و يتسابقون إلى فهمها و هضمها و جمع كل أو قسم من الآيات الكريمة فى مكان واحد، و بوفاة الرسول (ص) و انقطاع الوحى سعى بعض هؤلاء لجمع كل ما سمعوه فى مصحف واحد، لذا جاء كل مصحف مرتبا وفقا لما سمعه صاحبه من رسول اللّه (ص) أو لما ارتآه موافقا للحقيقة و الواقع ..

و حيث ان هذه المصاحف ليست بأيدينا الآن- ليمكن تبيانها بصورة واضحة- بل هى فى رحاب التاريخ لذا آثرنا ان نمرّ عليها و نتناولها بعض الشىء- عبر الكتب التى تناولتها- لنرى واقعها و مدى موافقتها أو اختلافها عن المصاحف العثمانية ..

فبقدر تعلق الأمر بمصحف الامام على فقد اشرنا من قبل الى ان الامام- ع- كان قد اعتكف بعد وفاة الرسول (ص) فى بيته يجمع القرآن فى مصحف واحد بعد أن أقسم ألا يضع ردائه على ظهره حتى يجمع القرآن و انه قد انهى هذه المهمة فى فترة جد قصيرة و فى هذا يقول ابن أبى الحديد المعتزلى بان «الكل اتفق على ان على كان يحفظ القرآن على عهد رسول اللّه (ص) و لم يكن غيره يحفظه ثم أول من جمعه» و ان المصحف الذى نسخه و عدد آياته لا يكاد يختلف فى كثير أو قليل من ذاك الذى نسخه عثمان فيما بعد، حيث ان الامام على- ع- كان

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۱۷۰

«حريصا على سلامة النص القرآنى على ما هو عليه فى رسم عثمان زاجرا كل من يريد المساس بهذا الرسم» «۱».

ان الدليل القاطع على صحة هذا القول- عدم اختلاف مصحف علىّ عن مصحف عثمان- هو انه لو كان هناك ادنى تحريف أو نقص أو زيادة أو تغيير فى مصحف عثمان لما سكت عنه الامام- ع- سواء أ كان ذلك قبل ان يصل إلى الخلافة أو عند تشرفها به و حين باتت كافة الامصار الاسلامية تدين له بالولاء و الطاعة عدا زمرة الانفصال فى الشام بقيادة معاوية بن أبى سفيان ..

اقول لما سكت الامام و هو الذى يعرفه العدو قبل الصديق انه الفارس المقدام و المواطن المسلم الأول الذى يجهر بالقول و لا يهمس به و من ثم فهو لا يصبر على ضيم و لا يهادن فى دينه ابدا، حيث نراه قد أمر بارجاع كافة القطائع التى اقطعها عثمان و قال فى هذا المعنى:

«و اللّه لو وجدته قد تزوج به النساء و ملك به الإماء لرددته فان فى العدل سعة و من ضاق عليه العدل فالجور عليه اضيق» ..

فإذا كان موقف الامام من الأموال كما سمعنا، فكيف سيكون موقفه من القرآن لو كان فيه شىء من التحريف، فموافقته على القرآن الذى جمعه عثمان بن عفان هو خير دليل على عدم وقوع التحريف فيه.

اضافة إلى اننا لم نسمع من الامام على- ع- من بعيد أو قريب صراحة أو تلميحا ما يشير إلى شكوكه أو عدم اطمئنانه بمصحف عثمان، رغم ان كلماته العصماء و خطبه البليغة و التى جمعت فيما بعد من قبل الشريف الرضى «۲» باسم «نهج البلاغة» قد ملئت

الخافقين و لم تترك ميدانا أو فنا أو بحثا دون ان تشير إليه أو تتناوله بالتفصيل ..

---

(۱) تاريخ القرآن- الدكتور عبد الصبور شاهين.

(۲) هو ابو الحسن محمد بن أحمد الطاهر الحسين بن موسى بن محمد بن

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۱۷۱

بل ان الذى سمعناه هنا عن حفيد الامام و هو الامام جعفر الصادق- ع- «انه قرأ رجل عليه- على الصادق- حروفا من القرآن ليس على ما يقرأه الناس فقال له الامام- ع- مه مه كف عن هذه القراءة و اقرأ

موسى بن إبراهيم بن موسى بن جعفر الصادق- ع- ولد عام ۳۵۹ و قيل ۳۶۱ ه و فى عهد المطيع للّه العباسى و قال الشعر و عمره لا يزيد على العشر حتى فاق شعراء عصره على صغر سنه و اشتغل بالعلم على يد استاذه الشيخ المفيد ففاق فى الفقه و الفرائض و بز أهل زمانه فى العلم و الأدب، و قد أتخذ فى أيامه دارا أسماها «دار العلم» و كان يجتمع بهذه الدار طلبة العلم الملازمون له، و قد عيّن لهم كافة ما يحتاجونه، و كان فى الدار خزانة كبيرة للكتب لها مفاتيح عديدة أعطى كل طالب علم مفتاحا خاصا يفتح به الخزانة فى أى وقت يشاء و يأخذ ما يشاء من دونما حسيب أو رقيب ..

خلف أباه فى نقابة الطالبيين و هى رئاسة آل البيت العلوى و الحكم فيهم أجمعين فى العراق و فارس و عمره ۲۹ سنة ..

و كان مشهورا بالإباء و العزة حيث تنسب إليه الأبيات التالية و التى مدح فيها الخلفاء الفاطميين فى مصر و ذم الحكام العباسيين فى بغداد و هى:

ما مقامى على الهواة و عندىمقول صارم و أنف حمى

أ ألبس الذل فى بلاد الأعادىو بمصر الخليفة الفاطمى

من أبوه أبى و كولاهمولاى إذا ضامنى البعيد القصى

لف عرقى بعرقة سيداالخلق جميعا محمد و على و يقال إن الخليفة العباسى القادر باللّه بعد سماعه لهذه القصيدة استدعى الشريف المرتضى (أخ الرضى) و أشار إلى إفضاله و إحسانه على الشريف الرضى و أنه قد أجاب على كل ذلك بهذه الأبيات، و أجاب المرتضى الخليفة بانه سيستدعى أخاه و يستفسر منه عن صحة ذلك، و بالفعل استدعى المرتضى أخاه الرضى و استفسر منه عن صحة هذه القصيدة فأجابه بانها فعلا تعود له و أنه نظمها خشية ما قد يصيبه من عملاء و عيون الفاطميين بالعراق. لمحات من تاريخ القرآن ۱۷۱ مصاحف فى التاريخ

فأجابه المرتضى: بانك لا تخشى عملاء و عيون الخليفة و الذى لا يفصلهم عنك إلّا خطوات عديدة بينما تخشى الذى تفصلك عنهم مئات الفراسخ ..

و على كل اتفق على أن يخبر المرتضى الخليفة على أن القصيدة منسوبة إلى الرضى و له أيضا هذه الأبيات فى الإباء و الفخر بوجه الخلفاء العباسيين فى بغداد:

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۱۷۲

كما يقرأ الناس» «۳» ففى «ترك النقل بخلاف ما نقل عنه ادل الدليل على صحة ما ذكرناه» «۴».

لذا فأئمة أهل البيت- ع- «قد ارجعوا الناس إلى إتباع هذا القرآن الموجود بين ايدينا فى ارشاداتهم الكريمة و احاديثهم المأثورة على انه بصفته هذه هو الوحى الصادق الكامل الذى نزل به الوحى الأمين» «۵»، و ان الشيخ الصدوق محمد بن بابويه فى كتابه الاعتقادات قال حول الموضوع: «اعتقادنا ان القرآن الذى انزله اللّه على نبيه محمد (ص) هو ما بين الدفتين و هو ما بين ايدى الناس ليس بأكثر

من ذلك و من نسب الينا انا نقول انه أكثر من ذلك فهو كاذب ...».

و قد زاد المتأخرون على ذلك بالقول انه «لا زيادة فى القرآن من سورة و لا آية من بسملة و غيرها و لا كلمة و لا حرف و جميع ما بين الدفتين مما يتلى كلام اللّه بالضرورة من المذهب بل الدين و اجماع المسلمين و اخبار النبى (ص) و الأئمة الطاهرين- ع-» «۶» .. هذا و إذا ما كان هناك شىء يستحق التسجيل عن مصحف الامام-

_____مهلا أمير المؤمنين فإننامن دوحة العلياء لا نتفرق

ما بيننا يوم الفخار تفاوت‌أبدا كلانا فى المعالى معرق

إلا الخلافة ميزتك فإننى‌أنا عاطل عنها و أنت مطوق و عند سماع الخليفة العباسى القادر باللّه لهذه الأبيات أجاب بحدة «و على رغم أنف الشريف الرضى» .. توفى الرضى عام ۴۰۶ ه و دفن فى الكاظمية و قيل نقل رفاته بعد ذلك ليوارى الثرى عند حرم الإمام الحسين- ع- فى كربلاء هذا و قال كثير من العلماء أن الرضى كان عالما غلب شعره على علمه و المرتضى كان شاعرا غلب علمه على شعره ..

(۳) تفسير الصافى- الفيض الكاشانى، بحار الأنوار- محمد باقر المجلسى.

(۴) مقدمتان فى علوم القرآن- أرثر جفرى.

(۵) الإسلام على ضوء التشيع- الشيخ حسن الخراسانى.

(۶) كشف الغطاء- الشيخ جعفر كاشف الغطاء.

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۱۷۳

ع- بصدد اختلافه عن المصحف العثمانى فهو اختلافه فى شىء جانبى و ثانوى و هو ان جمع الامام على- ع- للقرآن «كان على ترتيب نزوله و تقدم منسوخه على ناسخه» «۷» فضلا عن كتابة تأويل بعض الآيات و تفسيرها على حاشية المصحف و على النحو الذى اشرنا إليه فى الفصل السابق.

و لو صح هذا القول فان جمع القرآن بهذه الطريقة يعكس وقائع الوحى و حوادثه متسلسلة يوما فيوم و أولا فأول و ساعة فساعة من دون أن يسبق هذا اليوم للذى قبله أو يتأخر عن الذى يليه ..

اما من يقول بان مصحف الامام على- ع- كان يختلف عن المصحف الذى هو الآن فى أيدى المسلمين أو انه يشتمل على ابعاض ليست موجودة فى القرآن الكريم فهو قول مردود و شبهة لا ظل لها من الواقع و لا سند لها من الحقيقة فالصحيح هنا هو ان «تلك الزيادات كانت تفسيرا بعنوان التأويل» «۸» فيما اذا فرض انه قد وجدت فيه ..

و لعل مصحف الامام على- ع- هذا هو المصحف الوحيد الذى لم يذق طعم النيران و لم يناله المسح و الغسل حيث احتفظ به الامام عنده و من بعده توارثته ذريته الطاهرة، و لا نعلم على وجه الدقة اين استقر به المقام فى الوقت الحاضر.

فقد شاهدنا مرة فى متحف الامام على الرضا- ع- فى مشهد بايران قرآنا بديعا من جلد الغزال الأبيض يقال عنه انه بخط الامام على- ع- و مثل هذا القرآن رأيناه فى متحف الآثار الاسلامية فى اسطنبول و هو بخط الامام على- ع- أيضا، و قرآن ثالث شبيهه وجدناه فى المتحف الوطنى فى لاهور بالباكستان ينسب إلى الامام على- ع-.

---

(۷) الفهرست- ابن النديم.

(۸) البيان فى تفسير القرآن- السيد أبو القاسم الخوئى.

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۱۷۴

كما و قيل عنه انه محفوظ فى خزانة الامام على فى الروضة الحيدرية بالنجف الأشرف حيث ينقل الزنجانى فى كتابه تاريخ القرآن انه

شاهد عام ۱۳۵۳ ه في دار الكتب العلوية في النجف الأشرف مصحفا بالخط الكوفي كتب في آخره «كتبه علي بن أبي طالب في سنة ۴۰ من الهجرة» و هي السنة التي استشهد فيها الامام- ع- في مدينة الكوفة بالعراق.

هذا و إذ نخوض الآن في مصير مصحف الامام علي- ع- نود أن نلقي بعض الضوء على مصير المصاحف العديدة التي ارسلها عثمان بن عفان إلى الامصار الاسلامية و اين استقر بها المقام الآن و ذلك قبل ان ننتقل بالكلام عن بقية المصاحف المنسوبة إلى كبار الصحابة كمصحف عبد اللّه بن مسعود و أبيّ بن كعب ..

ان غالبية الرواة و المؤرخين الذين كتبوا عن المصاحف العثمانية لم يستطيعوا ان يحددوا مكان تواجد هذه المصاحف و لا مصيرها رغم ان عددها كان خمسة أو سبعة مصاحف ..

ان ما يقال عن ان «المصاحف العثمانية بخزائن الكتب و الآثار بمصر من انها مصاحف عثمان فهو قول عار عن الصحة، بسبب ما تضم هذه من زخرفة و نقوش وضعت كعلامات و اشارات للفصل بين السور و اظهار اعشار القرآن، حيث كانت المصاحف العثمانية خالية من كل هذا» «۹» جملة و تفصيلا و ربما كانت هذه المصاحف منقولة من المصاحف العثمانية و ليست تلك التي استنسخها عثمان بن عفان و وزعت على الامصار ..

و الظاهر هنا هو ان للأحداث السياسية و التقلبات

---

(۹) علوم القرآن- أحمد عادل كمال.

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۱۷۵

الثورية «۱۰» و الحركات الطائفية و المذهبية التي عصفت بالعالم الاسلامي في العصرين الأموي و العباسي، و كذلك للحرائق التي اصابت المكتبات و المساجد و غيرها في خلال هذه الفترة و منها الحريق الأول الذي حصل في المسجد النبوي عام ۱۵۴ هجرية حيث احترقت الكتب و المصاحف و السجاد و غيرها اثرا كبيرا في فقدان هذه المصاحف و تلفها رغم كونها ثروة ثقافية و دينية و قومية لا تعوض بشيء ..

كما ان بعض الباحثين و المؤرخين «۱۱» القى وزر فقدان هذه المصاحف على عاتق الحجاج بن يوسف الثقفي «۱۲» لأنه حين ولايته على

---

(۱۰) في الحقيقة أن دخول هولاكو حفيد جنكيز خان إلى بغداد عام ۶۵۶ ه المصادف لعام ۱۲۵۸ م و في عهد الخليفة المستعصم و بقية الأمصار الإسلامية و قضاءه على الأخضر و اليابس و وضعه السيف في رقاب الناس و رميه الكتب في الأنهار و الآبار هو من أهم الأسباب في فقد المصاحف العثمانية بل و مئات الألوف من خيرة الكتب و أثمنها و أندرها ..

(۱۱) المصاحف- السجستاني.

(۱۲) الحجاج هو امير العراقيين الذي حكم العراق بالحديد و النار، و إليه تنسب الخطبة النارية التي أفتتح بها عهده في العراق حيث أشعر العراقيين عند وصوله من على المنبر بقوله: «إن أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان قد أعطاني سيفين، سيف الرحمة و سيف العذاب، أما سيف الرحمة فقد فقد مني في الطريق و إما سيف العذاب فهذا هو بيدي و اللّه لأضعن سيفي في رقابكم حتى لا يرى أحدكم الآخر إلّا قال أهرب يا سعد فقد هلك سعيد ..

و قد كان له سجن كبير في حاضرة ملكه «واسط» لا يتعدى عن أن يكون جدارا عاليا يلقى بداخله المعذّبين و لا يسترهم من لهيب الشمس شيئا، حيث وضع جلاوزته على أعلى جدار السجن و بايديهم الحجارة لرمي كل سجين يقترب من الظل مما يدعهم- السجناء- واقفين على الدوام في الشمس و على رمضاء الأرض المواجهة لها ..

و قد جيء إليه مرة باعرابى كان قد خرق منع التجول فى الليلة الأولى لاعلانه، و ادعى الأعرابى الذى كان قادما إلى واسط أنه لم يسمع بمنع التجول لأنه كان خارج البلدة عند اعلانه، فطلب الحجاج قتله قائلا له: «و اللّه إنى

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۱۷۶

العراق فى عهد عبد الملك بن مروان ان استنسخ مصحفا جديدا على غرار المصحف العثمانى و قد ادخل فيه- كما يدّعى هؤلاء- عدة تغييرات و تصحيحات تخص الحروف و القراءة فى أحد عشر حرف أو فى اثنا عشر كلمة بقول آخر، و بعدها أمرّ باعدام و احراق كافة المصاحف العثمانية اينما كانت و الابقاء على المصحف الذى استنسخه و الذى عليه فقط أمر ان يكون الاستنساخ التالى لأى نسخة أخرى من القرآن ..

و هذا المصحف- وفق هذا الادعاء- هو الذى يتداوله المسلمون منذ عهد ولايته إلى هذا الوقت ..

و طبيعى ان هذا الادعاء الذى ينقله بعض المؤرخين لا يقف على قدميه و لا ظل له من الحقيقة لأن- الحجاج- اقصر باعا و أقل قدرا من ان ينال من القرآن شيئا و ذلك لعدة أسباب «۱۳» منها ان سلطان الحجاج و حكمه لم يمتدّ فى خلال ولايته إلا على العراق بحدوده الطبيعية. كما و ليس فى مقدوره القيام بمثل هذا الفعل الخطير و سيده فى الشام يحصى عليه انفاسه و تحركاته، فضلا عن عدم سكوت المسلمين الذين كانوا أقرب إلى فجر الاسلام و الصق بروحه و تعاليمه، عدم سكوتهم أو إذعانهم لهذا الفعل و غير ذلك من الأسباب .. نعود بعد ذلك للاشارة إلى المصاحف الأخرى التى جمعت فى صدر الاسلام ..

لأعلم أنك لصادق و لكن فى قتلك صلاح الأمة». و هكذا كان حاله فى المواقف و الحالات الأخرى ..

و قد قال الخليفة الزاهد عمر بن عبد العزيز فى شأن الحجاج: إنه لو أخرجت كل أمة خبيثها و أخرجنا الحجاج لغلبناهم و لما بلغه موته خرّ للّه ساجدا، و قد كان يدعو اللّه أن يكون موت الحجاج على فراشه ليكون أشد لعذابه فى الآخرة ..

(۱۳) القرآن المجيد- محمد عزة دروزة، مباحث فى علوم القرآن- الدكتور صبحى الصالح، تاريخ القرآن- إبراهيم الأبيارى، البيان فى تفسير القرآن- السيد أبو القاسم الخوئى ..

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۱۷۷

فبقدر تعلق الأمر بمصحف عبد اللّه بن مسعود «۱۴» فيقال عنه انه كان يضم ۱۱۲ سورة (و ليس ۱۱۴ سورة) كما هو عليه الحال فى كافة المصاحف المتداولة، و ان السورتين اللتين كان مصحفه خاليا منها هى «المعوذتان» «۱۵» و هما- قل اعوذ برب الفلق- السورة، و قل اعوذ برب الناس- السورة.

و يروون عن لسان ابن مسعود بصدد المعوّذتين قوله: انها ليست من القرآن لأن الرسول (ص) أمرّ ان يتعوذ بهما، و انه قد رأى ان النبى (ص) يعوّذ بهما الحسن و الحسين- ع- مرارا عديدة و ينفث بهما بدنه اذا نام فيمسح بهما جسده ..

و طبيعى ان هذا ظنا من ابن مسعود و هو يخالف ما نقل تواترا عن ان السورتين هما من القرآن لذا لم يأخذ برأيه أحد من المسلمين ..

و يقال هنا أيضا «إن عبد اللّه بن مسعود لم يسجل سورة الفاتحة فى مصحفه» «۱۶» و ذلك لا لأنها من غير القرآن و انما بسبب ان القرآن الكريم انما كتب و جمع بين اللوحين مخافة الشك و النسيان و الزيادة و النقصان و كل هذا مأمون فى سورة الفاتحة لقصرها و لأنه لا يجوز لأحد من المسلمين ترك تعلمها كما يجوز ترك تعلم غيرها و حفظه لحاجتهم الماسة اليها فى الصلاة حيث تثنى فى كل صلاة و تقرأ فى غيرها من الأمور و المناسبات الدينية، فلما أمن عليها العلة التى من اجلها كتب

---

(۱۴) هو عبد اللّه بن مسعود بن غافل الهذلى كان خادم رسول اللّه (ص) و رفيقه فى حله و ترحاله و غزواته، و قد هاجر الهجرتين و صلى إلى القبلتين، توفى فى المدينة سنة ۳۲ هجرية، و هى السنة التى توفى فيها العباس عم النبى و عبد الرحمن بن عوف، و قال عنه

عمر بن الخطاب: ان عبد اللّه وعاء ملئ علما ..

(۱۵) الفهرست- ابن النديم، تاريخ القرآن- محمد طاهر الكردى.

(۱۶) القرآن- محمد صبيح.

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۱۷۸

المصحف ترك كتابتها و هو يعلم انها من المصحف بالتأكيد، حيث لو أن رجلا كتب من القرآن سورا و ترك سورا لم يكتبها لم ير عليه فى ذلك حرج أبدا «۱۷».

اما عن مصير هذا المصحف فنقول انه قد طلب عثمان من عبد اللّه ابن مسعود هذا المصحف و لكن الأخير أبى باصرار ان يبعث بمصحفه إلى المدينة و يسلّمه إلى عثمان خشية ان يحرقه أو يغسله و بذلك تذهب اتعابه و جهوده فى جمعه سدى ..

كما و ساء ابن مسعود الطلب الملح و العنيف لمصحفه من قبل عثمان، فاوعز ابن مسعود إلى أصحابه فى الكوفة بان يتمسكوا بمصاحفهم و يحفظوها من الملاحقة و الاحراق و قال لهم: بأنه من استطاع منكم ان يغل مصحفه فليفعل (فليغلل) فإن من غلّ شيئا جاء بما غلّ يوم القيامة، ثم قال أيضا: بانه قد قرأ القرآن من فم رسول اللّه (ص) سبعين سورة أو مرة و زيد بن ثابت ذو ذؤابتين يلعب مع الأطفال، أ فأترك ما أخذت من فم رسول اللّه (ص).

و لما وصلت هذه الأخبار إلى عثمان أمر الأخير باشخاص ابن مسعود اليه ثم أمر بان يجر برجله حتى كسر له ضلعان، و رغم هذا لم يدفع بمصحفه إلى عثمان و اصرّ على ذلك حتى وفاته فى المدينة ..

و عند وفاة ابن مسعود طلب عثمان مصحفه مجددا، و عند وصول المصحف اليه الحقه بالمصاحف السابقة حرقا أو غسلا من دون ابقاء شيء منه قطعا لدابر كل اختلاف أو فتنة قد تثار ..

اما بقدر تعلق الأمر بمصحف أبىّ بن كعب فيقال انه قد «كتب فى مصحفه سورتين تسميان (الخلع و الحفد) و كان يقنت بهما» «۱۸».

---

(۱۷) تأويل مشكل القرآن- ابن قتيبة الدينورى.

(۱۸) القرآن- محمد صبيح، الإتقان فى علوم القرآن- جلال الدين السيوطى.

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۱۷۹

و الظاهر هنا ان أبىّ كان قد ذهب فى دعاء القنوت إلى انه من القرآن لأنه رأى رسول اللّه (ص) يدعو به فى الصلاة دائما، فتصوّر انه من القرآن و اقام على ظنه و مخالفة عامة الصحابة حيث لم تقم الحجة عليه بانه قرآن منزل، بل هو لا يتعدى عن ضرب من الدعاء لا غير ..

و الحاق (الخلع و الحفد) بمصحف أبى بن كعب- ان صح القول- فربما هو كإلحاق دعاء ختم القرآن بالمصاحف الموجودة فى أيدينا- لأنه لو كان قرآنا لنقل الينا بالتواتر نقل بقية الآيات و السور و لحصل العلم بصحته ..

و يروى أيضا هنا ان أبىّ بن كعب كان يظن ان قول الرسول (ص): «لو كان لابن آدم و اديان من ذهب لتمنى اليهما ثالثا، و لو اعطى ثلاثا لتمنى أربعة، و لا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب و يتوب اللّه على من تاب» هو من القرآن، اذ كان قد سمع الرسول (ص) يقرأ ما و يذكر عنها انها من القرآن، فظن أبىّ انها من القرآن «۱۹» ..

و طبيعى ان الحجة أو الاجماع لا يؤيد أبىّ فيما ذهب إليه من قريب أو بعيد ..

و سور مصحف أبىّ بن كعب كما هو الحال فى سور مصحف عبد اللّه بن مسعود و مصحف الامام على- ع- تختلف فى ترتيبها عن المصحف العثمانى ..

و سورة الخلع هى: بسم اللّه الرحمن الرحيم، اللهم انا نستعينك و نستغفرك و نثنى عليك و لا نكفرك و نخلع و نترك من يفجرك.

أما سورة الحفد فهى: بسم اللّه الرحمن الرحيم اللهم إياك نعبد و لك نصلى و نسجد و إليك نسعى و نحفد و نرجو رحمتك و نخشى نقمتك، إن عذابك بالكافرين ملحق.

(۱۹) مقدمتان فى علوم القرآن- أرثر جفرى.

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۱۸۰

و من رغب من القراء الكرام الاطلاع على تسلسل السور فى المصاحف المتقدمة فعليه بالرجوع إلى المصادر المثبتة فى نهاية هذه الدراسة و أهمها كتاب تاريخ القرآن للزنجانى المطبوع فى قاهرة المعز عاصمة مصر العربية ..

أما عن مصير مصحف أبىّ بن كعب فإن صاحبه- أبىّ- كان قد توفى فى المدينة المنورة عام ۲۰ أو ۲۲ هجرية و فى أواخر خلافة عمر ابن الخطاب (رض) «۲۰»، و لم تكن حينذاك قد برزت عادة غسل أو احراق القرآن، و لكن عند ما تولى عثمان الخلافة و بادر بجمع القرآن (الجمع الثالث) و عزم على إحراق كل مصحف يقع فى يده عدا المصاحف المستنسخة، طلب حينئذ مصحف أبىّ بن كعب فغسله أو احرقه اسوة بغيره من المصاحف خشية الخلاف أو الفتنة ..

هذا و مهما يكن من شىء فقد عم المصحف الذى جمعه عثمان ابن عفان بين سائر المسلمين و توحّدت بسببه المصاحف و زالت الخلافات كما و كان كل مصحف من هذه المصاحف هو الامام فى رجوع الناس إليه و تعويلهم فى استنساخ مصاحفهم» «۲۱».

و قد اعترف بهذه الحقيقة أحد المستشرقين الاجانب حيث قال:

«و مع ما أدى إليه مقتل عثمان نفسه بعد ربع قرن من وفاة محمد (ص) من قيام مغضبة ثائرة زعزعت وحدة العالم الاسلامى و لا تزال تزعزعه فقد ظل للجميع قرآن واحد يظلهم أجمعين بلغ من الحرص على العناية به

---

(۲۰) يروى أنه عند ما سمع عمر بن الخطاب بوفاة أبى بن كعب قال: «اليوم مات سيد المسلمين» و أبى هو صحابى و أنصارى، كان قبل الإسلام حبرا من أحبار اليهود، و كان يتقن القراءة و الكتابة، شهد بدرا و المشاهد كلها مع رسول اللّه (ص) و كان أقرأ الصحابة بعد على- ع- و سيد القراء و قد جمع بين العلم و العمل ..

(۲۱) روح الدين الإسلامى- عفيف عبد الفتاح طبارة.

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۱۸۱

ان وصلنا كاملا حتى اننا لا نجد بين النسخ الكثيرة التى لا عداد لها و المنشرة فى انحاء العالم الاسلامى اليوم أى اختلاف» «۲۲» صغيرا كان أم كبيرا.

فالقرآن «منذ نزوله على النبى إلى وصوله الينا كان سلسلة من التدوين الكتابى الدقيق و التلقى الشفهى السليم ما فيه حلقة مفقودة أو ثغرة ينفذ منها شك أو اختلاف يبعث على الريبة» «۲۳».

فكل هذه- وحدة المصاحف و زوال الاختلاف- كان نصرا مؤزرا و كبيرا للاسلام و كتابه الخالد و اثباتا لقوله تعالى إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَ إِنَّا لَهُ لَحافِظُونَ «۲۴» و قول الامام- ع- «القرآن لا يهاج و لا يحول» و بذلك طاشت سهام أعداء الاسلام من غربيين و ملحدين و يهود «۲۵» و عادت إلى

---

(۲۲) حياة محمد- السير وليم موير نقلا عن كتاب حياة محمد لمحمد حسين هيكل.

(۲۳) التعبير الفنى فى القرآن- الدكتور بكرى شيخ أمين.

(۲۴) الحجر: ۹.

(۲۵) نشير بهذه المناسبة إلى أنه قد حاولت بعض الجهات المناوئة للإسلام فى العصر الحديث بعد أن أدركت أعجاز القرآن و ان لا سبيل لمحاكاته أو نقضه، حاولت تلك الجهات المريبة (و منها بعض الزمر الصهيونية) أن تتجاوز على القرآن و تتصدى له عن طريق آخر و هو طريق التبديل و التحريف و التغيير متصورين أن هذا العمل و الفعل قد يحقق لهم بعض أغراضهم الدنيوية الدنيئة و اهدافهم الملتوية و معتقدين فى نفس الوقت أن هذا التحريف سهل و يسير و ليس هناك من يشعر بفعلتهم أو يحس باحابيلهم أو يفضح تخرصاتهم ..

إن محاولات هؤلاء بصدد تحريف القرآن و مثلهم الصادق فى ذلك لا يتعدى قول القائل:

كناطح صخرة يوما ليوهنهاو لم يهنها و اوهى قرنه الوعل أجل قامت تلك الزمر فى سبيل تحقيق أغراضهم بطبع نسخ عديدة محرّفة من القرآن فى المانية الغربية و أرسلوها إلى كافة بلاد العالم التى تظن انها أسواق رائجة لأباطيلها و ضلالاتها و التى تجهل اللغة العربية و اسرارها مثل أقطار غانا

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۱۸۲

نحورهم و انهارت كافة آمالهم بشأن التشكيك فى القرآن الكريم أو الطعن فى طريقة جمعه و نسخه أو اللمز من بعد ذلك باعجازه و كونه تشريعا و منهاج حياة، و هذا هو مصير اعداء اللّه و مناوئوه فى الحياة الدنيا و فى الآخرة عذاب أليم و لعنة دائمة.

و فى ختام هذا الفصل نشير إلى ما يردّده بعض الأشخاص من المحسوبين على الاسلام (اسما و جنسية) باتهامهم لبعض الطوائف الاسلامية بان لهم قرآنا آخر يزيد و ينقص عن قرآننا المعروف، و ليس

و غينيا و مالى و السنغال و نيجيريا و المغرب و بعض الأقطار الأفريقية و الأسيوية الأخرى ..

و ما درى هؤلاء ان للقرآن اسلوبا و نظما إلهيا عجيبا أعجز الأولين و الآخرين عن ان يأتوا بمثله أو يبدلوا أو يحرّفوا بعض آياته- كما سنرى فى فصل «إعجاز القرآن، و ان محاولاتهم ستلتقى و تؤول مع محاولات السابقين إلى الإنهيار و الفشل الذريع ..

هذا و قد أهتز و تنبه المسلمون فى حينه لهذه اللعبة السيئة فأذاعت فى وقته مشيخة الأزهر الشريف و الحوزة الدينية فى مدينة النجف الأشرف بالعراق شخصيات إسلامية عديدة و صحف و مجلات عقائدية كثيرة بيانات و تحذيرات كشفت فيها النوايا السيئة و العدوانية التى تختبئ وراء هذه الأعمال و التصرفات. و ما يترتب عليها من عواقب و خيمة و مضاعفات خطيرة ستضر بالمسلمين- ايما ضرر-.

و قد طالبت هذه الجهات المسئولين فى أنحاء الأرض بضرورة التحرك من أجل تدارك الأمر بحزم و سرعة و قبل أن يستفحل الداء و يعز الدواء ..

و قد لبى كثير من هؤلاء المسلمين فى شرق العالم الإسلامى و مغربه هذا النداء فبادروا فورا بجمع كافة النسخ المحرّفة و أبعدوها عن التداول و الأنظار، و هكذا نكرّر مرة أخرى قوله تعالى «إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَ إِنَّا لَهُ لَحافِظُونَ».

(بتصرف عن اليهودية بين المسيحية و الإسلام- خلف محمد الحسينى) و لا ضير هنا من أن نورد بعض الآيات الكريمة- على سبيل المثال لا الحصر و التى حرفتها الصهيونية المجرمة.

فقد جاء فى سورة آل عمران الآية ۸۵ «وَ مَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ» فاصبحت «و من يبتغ غير الإسلام دينا يقبل منه» و جاء فى سورة الأنفال

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۱۸۳

لدىّ ما أقوله لهؤلاء بعد كل الذى سجّلته عبر هذه الدراسة، بل اترك الأستاذ محمد الغزالى ليرد عليهم فى كتابه دفاع عن العقيدة و الشريعة حيث يقول الأستاذ الغزالى بالحرف الواحد: «ان العالم الاسلامى الذى امتدت رقعته فى ثلاث قارات ظل من بعثة محمد (ص) إلى يومنا هذا بعد ان سلخ من عمر الزمن أربعة عشر قرنا لا يعرف إلا مصحفا واحدا مضبوط البداية و النهاية معدود السور و الآيات و

الألفاظ فأين هـذا القرآن الآخر، و لما ذا لم يطّلع الإنس و الجن على نسـخة منه خلال هـذا الـدهر الطويل، لما ذا يساق هذا الافتراء، و لحساب من تفتعل هذه الاشاعات و تلقى بين الأغرار ليسوء ظنهم باخوانهم و قد يسوء ظنهم بكتابهم.

ان المصحف واحد يطبع فى القاهرة فيقدسه الشيعة فى النجف أو

الآية ۴۲ «لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْراً كانَ مَفْعُولًا» بالضاد فاصبحت «ليقصى اللّه أمرا كان مفعولا» بالصاد .. الخ.

هذا و ان غالبية الحكومات فى الأقطار الإسـلامية قد منعت أى شخص أو جهة خاصة من طبع القرآن الكريم و نشره إلّا بعد مراجعته و تـدقيقه من قبل لجان دينيـة و حكومية خاصة. و حين التأكد لديها من سـلامة الطبعة من أى خطأ أو تحريف أو تغيير يصـرّح بالموافقة على طبع القرآن و وضعه فى التداول ..

و فى جمهوريـة مصر العربيـة- حيث تطبع فى مطابعهـا غالبيـة و أدق المصـاحف فى العـالم العربى و الإسـلامى نجـد أن مراحـل طبع المصـاحف يتطلب الحصول على اذن وزارة الداخليـة أولا ثم يحوّل الطلب إلى مشـيخة المقارئ العربيـة و التى تقوم بـدورها بمراجعة المصـاحف و تبيـان مـا إذا كانت هناك أخطاء مطبعيـة أو أغلاط و فى حالـة خلوها من أى شـيء تعطى الموافقـة اللازمـة بنشـر هـذه المصاحف و تداولها ..

و فى جمهوريـة الباكسـتان الإسـلامية تتولى «شـركة تـاج الأهليـة المحـدودة»- تاج كبنى لميتـد- مهمـة طبع أحـدث و أبـدع أشـكال المصاحف و بمختلف الأحجام و الألوان.

و طبيعى أن طبع أى مصـحف هناك سواء من قبل الشـركة المذكورة أو غيرها من المؤسسات الأهلية و الدينية يتطلب المرور بمراحل عديدة للتأكد من صحة الطبع و ضبطه و سلامته من كل لبس أو سهو ..

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۱۸۴

فى طهران و يتـداولون نسـخه بين أيـديهم و فى بيوتهم دون أن يخطر ببـالهم شـيء بتـة إلاـ توقير الكتاب و منزله- جل شأنه- و مبلغه (ص) فلم الكذب على الناس و على الوحى؟؟» ..

و بعد فان كل هذه المراحل و الاجراءات الطويلة المتخذة هنا و هناك هى- فى الحق- من أجل أن لا ينال القرآن الكريم أى تحريف أو تبديل و ليبقى كما أراده اللّه سبحانه خالدا و ثابتا خلود الزمن و ثبوت الرواسى، و كأن الشاعر كان يقصد هذا المعنى حين نظم:

و على رغم المعاند و المعادىلواء محمدا أبدا يرف

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۱۸۵

ضبط آيات القرآن

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۱۸۷

عنـد ما فرغ زيـد بن ثابت من كتابـة المصـحف على الوجه الذى تقدم بيانه راجعه ثلاث مرات، و يشـير الرواة و المؤرخون هنا أنه فى خلال المراجعة الأولى للقرآن افتقد فيه آية طالما كان رسول اللّه (ص) يرددها و هو قوله تعالى: مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجالٌ صَدَقُوا ما عاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضى نَحْبَهُ وَ مِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَ ما بَدَّلُوا تَبْدِيلًا «۱» ..

و قـد وجـدها بعـد التحرى عنها بين المهاجرين و الأنصار وجـدها لـدى خزيمة بن ثابت (ذى الشـهادتين) و الذى تقدم ذكره فألحقها بمكانها من القرآن الكريم ..

كما أنه فى خلال المراجعـة الثانيـة لم يجـد فى المصـحف آيـة اخرى سـبق أن سـجلها عند الجمع الثانى للقرآن و هى قوله تعالى لَقَدْ

جاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ ما عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُفٌ رَحِيمٌ «۲» ففتش عنها بين المهاجرين و الأنصار حتى وجدها لدى أبى خزيمة الأنصارى فوضع الآية كذلك فى مكانها الصحيح فى المصحف «۳» ..

و فى المراجعة الثالثة و الأخيرة لم يجد شيئا من القرآن لم يدوّن فى المصحف بتاتا ..

و بصدد الفقرات المتقدمة نود أن نستفهم عن السبب الذى لم يدع زيدا ليثبت الآيتين المفقودتين المشار إليها آنفا من تلقاء نفسه من دون

---

(۱) الأحزاب: ۲۳.

(۲) التوبة: ۱۲۸.

(۳) تاريخ القرآن- محمد طاهر الكردى، إعجاز القرآن و البلاغة النبوية- مصطفى صادق الرافعى.

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۱۸۸

الحاجة للبحث عنهما فى صدور المسلمين و أوراقهم، طالما انه متأكد من صحتهما و نزولهما و انه من بعد ذلك يحفظهما حفظه لبقية آيات اللّه الأخرى، فضلا عن انه سبق له ان سجّلهما فى الجمع الثانى للقرآن ..

ان السبب الرئيس فى عدم تسجيل هاتين الآيتين يعود- كما نرى- إلى رغبة زيد لتنفيذ التصليحات و الوصايا التى سبق ان تلقاها من قبل و هى عدم تسجيل أى شىء و تدوينه من دون وجود شاهدين، و لما كان خزيمة يمثل شاهدين فقد سجّل زيد الآية التى وجدت محفوظة لديه ..

اما كيف امكن له تدوين ما جاء به ابو خزيمة الانصارى مع انه شاهد واحد، فالواقع هنا هو ان زيدا كان واثقا من الآية وثوقه من غيرها و انه سبق له ان سجلها عند الجمع الثانى، و لو لم يجدها- جدلا- لطلب من عثمان بن عفان على الأقوى تسجيلها أو على الأقل مفاتحته بشأنها ..

و حين عثر عليها لدى أبى خزيمة كانت شهادة الأخير مضافة إلى تسجيله لها سابقا و يقينه التام من نزولها بمثابة شهادتين، لذا سجلت الآية و وضعت فى مكانها المقرر من القرآن ..

اشرنا قبل قليل بان زيد بن ثابت لم يجد فى خلال المراجعة الثالثة و الأخيرة للمصحف العثمانى شيئا لم يسجله، لذا فقد قدّمه إلى عثمان برفقة مذكرة صغيرة جاء فيها انه قد انهى و رتّب المصحف على النحو الذى طلب منه و انه لم يترك شيئا من آيات اللّه المنزلة على رسوله الكريم (ص) دون ان يثبتها.

و المذكرة هذه تشبه إلى حد كبير المذكرات التفسيرية التى تصحب صدور القوانين و المراسيم المشرّعة و التى تكشف الأسباب الموجبة لصدورها مع شرح موجز لهذه القوانين و مراحل تطورها و ربما المقارنة ما بينها و بين تلك التى يجرى العمل بها فى بقية الأقطار و مدى تقدمها عليها ..

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۱۸۹

و قد قام عثمان بن عفان بدوره بمراجعة المصحف فالفاه كاملا و تاما فأمر بتوزيع نسخة واحدة منه على كل الأمصار الاسلامية و على النحو الذى أشرنا إليه فى الفصل السابق.

ان مراجعة عثمان للمصحف و مراجعة زيد له من قبل ما هو إلا حرص منهما على عدم وقوع الاشتباه فى المصحف أو حدوث زيادة أو نقصان فيه، و بذا خرج المصحف العثمانى عن اجماع ارتضاه كافة المسلمين فى المشرق و المغرب حيث لا زيادة فيه من سورة و لا آية و لا كلمة و لا حرف و لا نقطة، و قد أدرك هذه الحقيقة المستشرق المعروف السير وليم موير، و رغم كونه من أشد خصوم الاسلام إلا انه اعترف و قال: «و النتيجة التى تستطيع الاطمئنان إلى ذكرها هى ان مصحف زيد و عثمان لم يكن دقيقا فحسب، بل كان

كما تدل الوقائع عليه كاملا، و ان جامعيه لم يتعمدوا اغفال أى شىء من الوحى، و نستطيع كذلك ان نؤيد- استنادا على أقوى الأدلة- ان كل آية من القرآن دقيقة كما تلاه محمد» «۴» و أضاف السير موير بالحرف الواحد: «اذن فالقرآن الذى بين أيدينا هو نص مصحف عثمان لم يتغيّر و لم يتبدّل و ليس فى الأنباء القديمة أو الجديدة بالتصديق ما يلقى على عثمان أية شبهة بانه قصد إلى تحريف القرآن لتأييد أغراضه حيث كان بمرأى و منظر من كتاب الوحى و حملته و حفظته فهو لم يزل و لا يزال صورة مضبوطة كما جمعه زيد بن ثابت مع مزيد العناية فى التوفيق بين الروايات السابقة له» «۵» ..

لقد سبق ان اشرنا فيما مضى إلى ان المصحف العثمانى كان خاليا من النقط و الحركات (الشكل) لأن كل هذه لم تكن معروفة منذ خلق اللغة لأن الحاجة إليها حينئذ لم تكن ملحة و لا ضرورية نظرا لأن الناس فى الأمصار كانوا يهتدون إلى النطق السليم و يميزون و يقرءون

---

(۴) حياة محمد- الدكتور محمد حسين هيكل.

(۵) الإسلام على ضوء التشيع- الشيخ حسين الخراسانى.

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۱۹۰

الحروف بالسليقة و الفطرة و الأصالة اللغوية و لا يحتاجون لقراءتها قراءة صحيحة إلى استعمال الحركات و لا إلى وضع النقط على الحروف ..

اضافة إلى ان «اسلوب التلقى و المشافهة الذى كان الناس يعتمدون عليه فى ضبط القرآن و حفظه ساعدهم على قراءة القرآن فى المصاحف بكل سهولة و يسر» «۶» ..

لذا ظل الناس فى مختلف الامصار الاسلامية يقرءون القرآن فى مصحف عثمان و لمدة طويلة امتدت إلى ما يقرب من الأربعين سنة بدون نقط و بدون حركات، و كانت قراءتهم هذه سليمة و صحيحة لقربهم من عهد الوحى و اعتمادهم الأول على الحفظ لا على مجرد الخط، كما اعتبروا الرسم القرآنى رسما قائما بذاته و لا مبرر لتغييره طالما انه قد وصلهم بالتواتر بهذا الشكل ..

و لكن عند ما امتدت الفتوحات الاسلامية فى المشرق و المغرب و دخلت فى الاسلام طوائف و أمم غير عربية يجهلون اللغة و أساليبها، اختلط هؤلاء المسلمون الجدد باخوانهم من الفاتحين العرب فأدى هذا الاختلاط و الامتزاج بالسليقة العربية ان تفقد شيئا فشيئا مكانتها و منزلتها فى نفوس العرب، حتى بات الالتباس و اللحن على لسان القراء العرب يظهر جليا و مكشوفا و خصوصا فى قراءة الحروف المتشابهة الشكل و التى لا يفرّقها عن بعض إلا النقط مثل «نشزها» بالزاى و «نشرها» بالراء و نحو «لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً» «۷» بالفاء و «لتكون لمن خلقك آية» بالقاف و «فتبينوا» بالباء و «فتثبتوا» بالتاء و «ننجيك» بالجيم و «ننحيك» بالحاء .. و كذلك فى التفريق بين الحروف المتشابهة الأخرى مثل «ب ت ث» و «ج ح خ» و «ع غ» و «ص ض» و «ط ظ» و «س ش» ..... الخ.

---

(۶) التعبير الفنى فى القرآن- الدكتور بكرى شيخ أمين.

(۷) يونس: ۹۲.

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۱۹۱

هذا و اذا ما كان الالتباس و اللحن قد ظهر جليا و سافرا على لسان العرب فى التفريق بين الحروف المتشابهة فهو على لسان المسلمين من غير العرب كان أشد وطأة و أعظم سبيلا، حيث كان هؤلاء المسلمون يلاقون صعوبات هائلة فى قراءة القرآن مما تطلب الحال السعى الحثيث لوضع نقط للحروف لتمييزها عن بعضها عن بعضها على النحو الذى سيرد بيانه بعد قليل ..

و بهذا الصدد نشير إلى ان عامة المسلمين فى الصدر الأول من الاسلام كانت تكره ان يزيد أحد شيئا على ما فى مصحف عثمان أو

تطويره و لو بقصد الاصلاح و التحسين و ذلك مبالغة منهم فى المحافظة على اداء القرآن كما رسمه المصحف أولا و خشية الابتداع و الاضافة و التغيير فيه ثانيا، و كانوا يوافقون المصحف المذكور أيضا فى كل ما كانوا يكتبون و ينسخون من مصاحف مستندين إلى أقوال بعض الصحابة و خصوصا عبد اللّه بن مسعود فى هذا الصدد بقوله: «جرّدوا القرآن و لا تخلطوه بشىء» ..

إلا ان الضرورة و الحاجة بعد ذلك- و الضرورة تقدر بقدرها- خففت أو ازالت من غلواء هذه الكراهة و هذه الحرمة و بات أمر وضع النقط و الحركات فى القرآن شيئا محمودا و مباركا و حتى وصل الحال إلى درجة انه خيف ان يؤدى تجرد المصحف من هذه العلامات إلى التغيير و التحريف فيه ..

لذا فلا يمكن تصور وجود مصحف كتب منذ أكثر من ألف سنة حتى هذه الساعة خاليا من النقط و الحركات التى أصبح وجودهما و كتابتهما فرضا و واجبا كوجوب الحروف نفسها فى المصحف الشريف، بل انه يمنع طبع المصاحف و استنساخها فى كافة أرجاء العالم حاليا من دون وجود النقط و الحركات فيه ..

علما بأن الحركات التى وضعت فى المصحف قديما كانت أولية

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۱۹۲

و بسيطة و انها تطوّرت بمرور الزمن حتى أخذت وضعها الحالى الذى عليه الآن ..

هذا و ان فضل ايجاد الحركات (الشكل) و وضعها و كيفية ذلك يعود إلى أبى الأسود الدؤلى «۸» بعد واقعة طريفة جرت بينه و بين الحجاج ابن يوسف أو زياد بن أبيه- بقول- آخر- حينما كان الأخير واليا على البصرة.

و خلاصتها هو ان الوالى المذكور كان قد أوعز إلى شخص من أتباعه بالوقوف فى طريق أبى الأسود ليسمعه قوله تعالى أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَ رَسُولُهُ «۹» بكسر لام رسوله، فما كاد يسمع أبو الأسود هذا اللحن الصارخ حتى فزع و غضب و قال: «عز وجه اللّه ان يبرأ من رسوله، و ما ظننت ان امر الناس سيئول إلى هذا» فآلى على نفسه حينئذ مراجعة الوالى من أجل التهيؤ لوضع طريقة جديدة و علامات معينة لتشكل حروف القرآن ليمكن القضاء على اللحن عند قراءتها من قبل الناس ..

و أبو الأسود الذى نؤرخه لوضعه (الشكل) فى القرآن الكريم و ينسب أيضا إلى تلاميذه وضع النقاط فيه بعد ذلك، هو غنى عن التعريف فهو أحد تلامذة الامام على- ع- و له الفضل فى وضع- اضافة للحركات- مسائل عديدة فى العربية كالمسائل المتعلقة بتقسيم الكلمة إلى اسم و فعل و حرف و وضعها تحت باب جديد اطلق عليه اسم «النحو» و الذى لا زال مستعملا حتى اليوم ..

و قد سئل أبو الأسود مرة عن المصدر و الجهة التى استقى منها هذا

---

(۸) إن الاسم الحقيقى لأبى الأسود هو ظالم بن عمرو الدؤلى، و لكن كنيته غلبت على أسمه فسمّى بأبى الأسود كما هو الحال فى أسماء الاعلام الآخرين كأبو طالب و أبو حنيفة و أبو يوسف و ابو الطيب و أبو فراس و أبو تمام.

و هو أول من وضع قواعد العربية و أول من نقط فى المصحف.

توفى- رحمه اللّه- فى البصرة عام ۶۹ ه و دفن فى ثراها ..

(۹) التوبة: ۳.

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۱۹۳

العلم- النحو- فأجاب بانه لقن حدوده و مبادئه من على ..

و قيل هنا بان أبا الأسود كان قد دخل على أمير المؤمنين على- ع- فوجد فى يده رقعة فقال: ما هذا يا أمير المؤمنين ..؟ فأجاب الامام: تأملت كلام العرب فوجدته قد فسر بمخالطة هذه الحمراء- الأعاجم- فأردت ان أصنع شيئا يرجعون إليه و يعتمدون عليه، ثم القى إلى أبى الأسود رقعة و فيها مكتوب الكلام كله اسم و فعل و حرف، فالاسم ما انبأ عن المسمى و الفعل ما انبئ به و الحرف ما افاد معنى،

ثم قال له:

انح هذا النحو و اضف إليه ما وقع إليك، ثم خاطبه: و أعلم يا أبا الأسود ان الأسماء ثلاثة: ظاهر و مضمر و اسم لا ظاهر و لا مضمر و إنما يتفاضل الناس فيما ليس بظاهر و لا مضمر ... الخ.

أما كيفية تشكيل أبى الأسود للقرآن الكريم- حيث سبق الشكل النقط فى القرآن- فقد طلب من أحد تلاميذه أخذ المصحف المبارك و صبغا يخالف لون مداده، و اخبره بانه «اذا رآه يفتح شفتيه بالحرف فلينقط نقطة واحدة من فوقه، و إذا كسرها فلينقط واحدة من أسفله و إذا ضمها فليجعل النقطة بين يدى- جانب- الحرف و إذا اتبعت شيئا من هذه غنة (التنوين) فلينقط نقطتين» «۱۰».

و طبيعى ان هذا تعبير ساذج يتفق و زمن أبى الأسود «۱۱». و هكذا أخذ أبو الأسود يقرأ بتؤدة و التلميذ يضع النقط على الحروف، و كلما أتم صحيفة القى أبو الأسود عليها نظرة عامة قبل الشروع فى الصفحة التالية، و أستمر الحال على هذا المنوال حتى اعرب المصحف كله، بينما ترك السكون بلا علامة و لا إشارة تذكر ..

و قد أخذ الناس هذه الطريقة عن أبى الأسود و كانوا يسمّون هذه النقط شكلا حتى تفننوا فى هيئة و شكل النقط هذه، فمنهم من وضعها

---

(۱۰) الفهرست: ابن النديم.

(۱۱) ضحى الإسلام- أحمد أمين.

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۱۹۴

مربعة و منهم من وضعها مدوّرة، ثم زادوا علامات فى الشكل إلى ان وصلت الينا على الوضع الذى نستعمله الآن «۱۲».

اما عن تفصيل و تطور علامات الشكل منذ عهد أبى الأسود حتى الآن كما ينقل مؤرخ آخر «۱۳» فهو أن الناس فى عهد أبى الأسود جروا على طريقته فكانوا إذا رأوا حرفا بعد التنوين من أحرف الحلق وضعوا احدى النقطتين فوق الأخرى علامة على ان النون مظهرة و إلا وضعوها بجانب الأخرى علامة على ان النون مدغمة خفيفة ..

ثم اخترع أهل المدينة للحرف المشدّد علامة خاصة على شكل قوس طرفاه إلى الأعلى هكذا () ثم زاد اتباع و تلاميذ أبى الأسود علامات أخرى فى الشكل فوضعوا للسكون جرة أفقية فوق الحرف منفصلة عنه سواء أ كانت همزة أو غير همزة، و لألف الوصل جرة فى أعلاها متصلة به ان كان قبلها فتحة و فى أسفلها ان كان قبلها كسرة و فى وسطها ان كان قبلها ضمة هكذا (T+T).

و كل هذه العلامات ابتداء من النقط التى وضعها أبو الأسود حتى هذه الخطوط التى تطورت اليها، ان كل هذه كانت تسمى شكلا حتى تطوّرت بعد ذلك و وصلت إلينا بالصورة و الحالة التى نستعملها الآن فى القراءة و الكتابة ..

أما بشأن النقط (التنقيط) فقد قام بوضعها و خلق فكرتها كل من يحيى بن يعمر العدوانى المتوفى فى خراسان عام ۱۲۹ ه و نصر بن عاصم الليثى المتوفى فى عام ۸۹ ه- و هما ممن أخذ كل ذلك و تتلمذا على يد استاذهم القدير أبى الأسود الدؤلى ..

و كيفية وضع النقط فى القرآن هو انهما احضرا مصحفا «و وضعا فيه النقط افرادا و أزواجا لتمييز الأحرف المتشابهة كالدال و الذال و الطاء

---

(۱۲) تاريخ القرآن- محمد طاهر الكردى.

(۱۳) تاريخ القرآن- أبى عبد اللّه الزنجانى.

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۱۹۵

و الظاء و العين و الغين فاهملت الأولى و عجمّت الثانية من فوق بنقطة واحدة و هكذا الحال فى بقية الحروف» «۱۴».

هذا و ان «التحسين الذى قام به أبو الأسود بوضع النقط على الحروف لم يقصد به تمييز الحروف المهملة من المعجمة كما هى وظيفة النقط، و انما كان يراد به الشكل الذى يقوم مقام الفتح و الكسر و الضم» «۱۵» ثم جاء من بعد ذلك الخليل بن أحمد الفراهيدى «۱۶» فأكمل رسم المصحف بصورة نهائية حيث «استبان مما ذكرنا ان الحروف لم تعجم كلها فى وقت واحد، بل تدرّجوا فى ذلك حسب الحاجة و الاستعداد فى ازمنة مختلفة» «۱۷» و إلى ان وصلت إلى ما هى عليه الآن من اتقان و تنظيم ..

و بصدد علامات الوقف و الوصل فانهما (كالنقط و الشكل) محدثة و ليست اصيلة و قد وضعت فى القرآن على أكبر الاحتمالات فى خلال القرنين الثانى و الثالث الهجريين من قبل اعلام القراء و النحويين لأجل

---

(۱۴) تاريخ القرآن- أبى عبد اللّه الزنجانى.

(۱۵) التعبير الفنى فى القرآن- الدكتور بكرى شيخ أمين.

(۱۶) الفراهيدى هو أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن فراهيد بن الأزد، ولد فى عمان و على شاطئ خليج عمان و نشأ فى البصرة و ترعرع فيها، لذا يلقب أحيانا بالبصرى، و كان مولده عام ۱۰۰ هجرية، بينما كانت وفاته فى البصرة عام ۱۷۵ أو ۱۷۰ ه. علما بأن هو أول من سمّى بهذا الاسم «أحمد» فى دنيا الإسلام.

و الخليل هو أول مبتكر للمعاجم العربية و أول مبتكر لوضع العروض و حصر كل أشعار العرب فى بحوره، و هو الذى رتب النحو على الشكل الذى نعرفه الآن، و كان الفراهيدى علوى الهوى و قد سئل عن فضائل على فقال: «ما أقول فى حق من أخفى الأحباء فضائله من خوف الأعداء و سعى أعداؤه فى إخفائها من الحسد و البغضاء و ظهر من فضائله مع ذلك كله ما ملأ المشرق و المغرب».

(۱۷) منهج البيان فى تفسير القرآن- السيد ابن الحسن الرضوى.

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۱۹۶

ضبط تلاوة القرآن و اتقان اداء جمله و معانيه ..

ان تأخر وضع هذه العلامات (الوقف و الوصل) لعدة قرون لا- يعنى ان النبى (ص) و الأصحاب و التابعين فى عصورهم لم يكونوا ليقفوا فى مواضع الوقف أو يوصلوا فى مكانات الوصل، بل كانوا يعطون الآيات الكريمة خلال قراءاتهم و تلاواتهم كل ما تستحقها من وقف أو وصل أو سكون و كل هذا كان اعتمادا على السليقة و الفطرة و كما هو الحال فى الشكل و النقط قبل وضعهما ..

لذا فقد جاء وضع هذه العلامات «الوقف و الوصل» على المصاحف من باب تذكير القارئ للقرآن بدلالاتها التى كانت تعتمد سابقا على السمع و السليقة و الفطرة.

اما بشأن ارقام الآيات و التى وضعت هى الأخرى متأخرة فهى لأجل ان تفصل كل آية عن التى قبلها أو بعدها، و هذه تسهّل الأمر على القارئ للعثور على آية مطلوبة أو لمعرفة عدد آيات كل سورة.

و من المحدثات الأخرى هو تقسيم القرآن إلى ثلاثين جزء و كل جزء إلى حزبين و الحزب إلى أربعة ارباع و الربع- و هو جزء من مائتين و أربعين جزءا من القرآن إلى قسمين يسمى كل قسم بالثمن مع الاشارة إلى كل ذلك برسوم و اشكال هندسية و فنية و هى تسهّل الحفظ و تيسير العثور على السور و الآيات المطلوبة «۱۸» ..

و سيجد القارئ المزيد من هذه المحدثات و التحسينات التى ادخلت على القرآن فى فصل مقبل هو «العناية بالقرآن» ..

---

(۱۸) لقد لقيت هذه الرسوم و الاشكال بعض المعارضة فى أول الأمر، إلّا أنه سرعان ما تلاشت هذه المعارضة عند ما ظهر للناس ما تؤديه هذه الزخارف من خدمات جليلة لمن يقرءون القرآن، لأنها تحدّد الآيات و السور و اجزائها و ترشد القارئ إلى المواضع التى ينبغى عليه أن يسجد عند تلاوتها كما تعرّفه بأحزاب القرآن و أجزائه- المصحف الشريف- الدكتور عبد العزيز مرزوق ..

هذا و قد ذهب بعضهم إلى وجوبها إن كان تركها مدعاة للتحريف و التغيير ..

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۱۹۷

القرآن المكى و القرآن المدنى

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۱۹۹

فى الحق انه لم يقتصر نزول القرآن الكريم على مكان واحد و لا بلد واحد فهناك آيات نزلت فى مكة المكرمة و أخرى هبطت فى المدينة المنورة و غيرها نزلت فى الجحفة و الطائف و الحديبية و منى و قبا و عرفات و غدير خم ... و غيرها من الأماكن ..

و فى سبيل دراسة و فهم هذه الآيات و العثور على مواقع نزولها و أسبابها و اغراضها و تواريخ الحوادث التى عرضت لها الآيات وضعت- أو بقول آخر- وجدت هناك قواعد و اسس مختلفة تشبه إلى حد كبير تلك التى نجدها فى اللغة العربية و دعت إلى تقسيم الجمل و الأفعال إلى عدة أقسام أو تلك التى نراها فى عالم الكيمياء و دعت إلى تقسيم المعادن إلى فلزات و غير فلزات (لا فلزات) و المواد إلى صلبة و سائلة و غازية ..

و كل التقسيمات المتقدمة و سواها انما وجدت أو استحدثت فلغرض سهولة و تيسير دراسة المواضيع المتقدمة و بأقل ما يمكن من الجهد و العناء ..

و هكذا الحال فى آيات اللّه البينات حيث قسّمت أو وجدت فيها آيات مكية و أخرى مدنية اضافة إلى وجود الناسخ و المنسوخ و المحكم و المتشابه و المطلق و المقيّد و الخاص حيث سنتناول معظمها فى هذا الفصل و الفصول اللاحقة ..

لذا ينبغى- و الحالة هذه- على كل من يتصدى للكتابة عن القرآن

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۲۰۰

من قريب أو بعيد ان يلم سلفا بكل هذه الحالات و التقسيمات و ان يأخذ عنها فكرة كاملة قبل أن يخوض فيها أو يبحث فى دقائقها ..

ان تنكبّ هذا السبيل و البحث فى مواضيع القرآن من دون الالمام بالحالات و التقسيمات الآنفة قد تؤدى بالمرء لأن ينحرف عن الحقيقة و يخبط فى الاحكام خبط عشواء و بالتالى الوقوع فى التناقضات و الابتعاد عن جادة الحق مما يعرضه لغضب اللّه تعالى و نزول اللعنة الدائمة عليه ..

و لو جاز ان نورد هنا مثلا بسيطا على مثل هذا الانحراف و الشطط و البعد عن الحق و الحقيقة فهو انحراف من لم يسبّر غور القرآن فقام بخلط آيات مدنية بأخرى مكية عند قوله تعالى: ما كانَ لِلنَّبِيِّ وَ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَ لَوْ كانُوا أُولِي قُرْبى مِنْ بَعْدِ ما تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحابُ الْجَحِيمِ «۱» حيث تولى نسبة و الصاق هذه الآية الكريمة من سورة التوبة و التى هى سورة مدنية نزلت فى السنة الثامنة من الهجرة و تعد من أواخر ما نزل من القرآن نسبتها إلى أبى طالب- عم الرسول (ص)- و الادعاء انها نزلت حال احتضاره على فراش الموت و استغفار الرسول نفسه له ..

و سندرك مدى بعد هذه النسبة و هذا الادعاء الباطل اذا ما علمنا بأن وفاة أبى طالب كانت قبل الهجرة بثلاث سنوات أو أكثر و ان المدة الفاصلة بين رحيله و بين نزول هذه الآية على الرسول تزيد على أحد عشر سنة.

هذا اضافة إلى الدلائل و البينات التى تشير إلى ايمان أبى طالب ايمانا عميقا لا شائبة فيه و انه قد تظاهر امام القرشيين بعدم اسلامه- كمؤمن آل فرعون- للحفاظ على الرسول (ص) و على الدعوة الجديدة

---

(۱) التوبة: ۱۱۳.

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۲۰۱

التى بشّر بها، حيث كانوا يهابونه فلم يجرءوا على القيام بكثير مما كانوا يرغبون عمله ازاء الرسالة و الرسول ..

و قد تجلى مصداق هذا الحال جليا عند وفاته حيث غدا مركز الرسول (ص) و أصحابه ضعيفا و حرجا ازاء القرشيين مما دعاه للتفكير و التعجيل فى ترك مكة إلى المدينة المنورة لأنه لم يعد فيها من كان يذود عنه و يقف بوجه جبابرة الكفر و الضلال ..

لهذا حرص اقطاب أهل البيت و الصحابة و التابعين و من جاء بعدهم من العلماء و الفقهاء و أرباب السيرة على دراسة القرآن بصورة موضوعية و كشف أسباب النزول للوقوف و التفريق بين الآيات التى نزلت فى مكة المكرمة أو فى المدينة المنورة فضلا عن الوقوف على كل ناسخ و منسوخ فى القرآن و الاهتداء إلى المحكم من الآيات و المتشابهة منها ... الخ و ذلك من أجل استيعاب معانى الآيات الكريمة و مغبة الوقوع فى التناقضات و الأخطاء سواء فى الأحكام و التشريعات أو فى غيرها كحادثة وفاة أبى طالب المتقدمة ..

هذا و لقد تمكن هؤلاء الصحابة و التابعين و من تبعهم، و بقدر تعلق الأمر بالمكى و المدنى و هو موضوع هذا الفصل- من استخلاص طريقتين للعثور و الوقوف على الآيات المكية و المدنية و هما «۲».

۱- الطريقة الاستقرائية: و هى التى تعتمد على النقل و تسمى «السماعية» أيضا.

۲- الطريقة الاستنباطية: و هى التى تعتمد على العقل و تسمى القياسية أيضا.

و لعل ارجح الطريقتين هو الجمع ما بينهما لتصبح النتائج أقرب

---

(۲) موجز علوم القرآن- داود العطار.

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۲۰۲

إلى العلم و أبعد عن الظن و التخمين و هو ما نذهب إليه فى هذا البحث ..

لقد اشرنا فى مطلع هذا الفصل بأن الآيات الكريمة لم تنزل كلها فى مكة المكرمة أو فى المدينة المنورة بل انها نزلت أيضا فى أماكن و مواقع أخرى، حيث ان أول ما نزل من القرآن و آخر ما هبط منه قد نزلا خارج مدينتى مكة و المدينة و بالتحديد فى غار حراء قرب مكة و غدير خم قرب المدينة على التوالى ..

و اذا كانت كافة الآيات الكريمة لم تهبط فى مكة أو المدينة فلا يمكن هنا تجاهل الواقع و هو ان الغالبية العظمى من هذه الآيات قد نزلت فى المدينتين المذكورتين ..

كما و لا يمكن أيضا تجاهل أو تناسى وجود حدث دولى هام و لحظة حاسمة و خطيرة و نقطة تحول رئيسية تقف فاصلة بين عهدين و وضعين هما حالة و طبيعة عمل الرسول (ص) و أصحابه و اسلوب الدعوة و مراحلها و انعكاساتها فى مكة المكرمة و تلك التى غدت فى المدينة المنورة ألا و هى الهجرة النبوية «۳» التى هى فى الواقع اهم يوم فى حياة الرسول (ص) بل و فى تاريخ الاسلام و دعوته ..

---

(۳) أحببت فى هذا المكان الاشارة بصورة عابرة إلى سبب اتخاذ المسلمين للهجرة النبوية دون المولد أو المبعث أو غير ذلك تاريخا لهم و ابتدءوا من عندها (بعد أن كانوا قبل ذلك يؤرخون لعام الفيل أو عام الفجار، فكان العرب يقولون حدث ذلك عام الفيل و ولد فلان بعد عام الفجار أو قبله بسنة أو أكثر و هى أحداث لم تعد تتفق و عظمة الإسلام و لا تصلح أن تكون تاريخ أمة توسعت فتوحاتها و مست الحاجة لضبط شئونها و أحوالها).

فيروى هنا أن السبب فى ذلك يعود إلى أنه رفع إلى عمر بن الخطاب (رض) صك كان وقته فى شعبان فقال: أى شعبان المقصود فيه هل هو الذى نحن فيه أو الذى هو آت ..

كما أن أبا موسى الأشعرى كتب إلى عمر أنه تأتينا من عندك كتب ليس لها

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۲۰۳

فقد كان الرسول (ص) و المسلمون قبل الهجرة فى كنف عدو جبار لا يرحم و لا تلين له قناة يتربص بهم الدوائر و يحصى عليهم انفاسهم و لا يملكون إزاءه إلا المسالمة و الاختفاء و الترقب و انتظار فرج السماء ..

اما بعد الهجرة المباركة فقد اتسع نطاق الدعوة و لاح فى الأفق الأمل و الرجاء، و اصبح المسلمون فى المدينة هم اسياد الموقف و فرسان الميدان بتضاعف انصارهم و اشياعهم، كما و بدءوا العمل لاقامة اسس

تاريخ فكيف نعمل بها فى هذه الحالة ..

لذا جمع عمر بن الخطاب أصحاب رسول اللّه (ص) سنة ۱۷ هجرية و استشارهم (كعادته) فيما دهمه من الحيرة و الارتباك فى صدد الوقت، و طلب منهم وضع تاريخ للمسلمين يتعاملون عليه، فقال بعضهم نكتب على تاريخ الرومان فقيل أنه يطول علينا و قال الآخرون بل نكتب على تاريخ الفرس فقيل ان الفرس كانوا كلما قام منهم ملك طرح التاريخ الذى قبله و سار على تاريخ جديد، فاختلفوا بصدد التاريخ أشدّ الاختلاف و أعظمه ..

و فى الأخير اتفق الجميع من دونما استثناء على الاقتراح المقدم من قبل الإمام على بن أبى طالب- ع- و الذى أشار فيه إلى أن أظهر الأوقات و أبعدها عن الاختلاف هو اتخاذ الهجرة النبوية و موافاة الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم المدينة كبداية للتاريخ الإسلامى، و حيث أن الهجرة كانت فى شهر ربيع الأول لذا أضافوا الأشهر التى تسبق الربيع ليبدءوا بما اعتادوا به السنة و هو شهر المحرم و قد ارخ منه ..

أما عن علة ترك المولد و المبعث و الوفاة و بقية الوقائع و الحوادث كبداية للتاريخ الإسلامى، فذكر أن كلا من المولد و المبعث فيهما خلاف عن وقتهما الصحيح، أما عن وفاته (ص) فإنه و إن كان معلوما لدى الجميع إلّا أنه رؤى أنه من غير المستحسن أن يؤرخ التاريخ به و ذلك خشية أن يصبح يوم وفاته (ص) عيدا و فرحا للمسلمين يحتفلون به فى كل عام ..

لذا اتفق الجميع على اتخاذ الهجرة النبوية كتاريخ للمسلمين لانها أدت إلى ارتفاع كلمة الإسلام و إدبار الكفر و نجاة الرسول (ص) من طغيان و جبروت مشركى مكة، و قد توالت بعدها مباشرة الفتوحات و الانتصارات حتى فتحت أبواب مكة بوجه الرسالة الجديدة و دخل أهلها فى ظل الإسلام و خفق علم الإسلام فى المشرق و المغرب. (بتصرف عن عدة كتب و أهمها كتاب الآثار الباقية عن القرون الخالية- لأبى الريحان البيرونى).

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۲۰۴

الدولة الفتية و تثبيت دعائمها و اركانها، و قد تطور حالهم بمرور الوقت إلى القوة و الكثرة و الايمان حيث لم يجد المكيون ازائه إلا الانحناء و تسليم مفاتيح بلدهم لهم و هم صاغرون ..

لهذا كان أمرا طبيعيا ان تتجاوب الآيات المنزلة على الرسول (ص) و تتفق مع سير هذه الأحداث و تطوّرها من بدء الدعوة فى مكة المكرمة إلى رحيله (ص) إلى المدينة و إلى الوقت الذى توقف الوحى من النزول إلى الأرض بعد اكمال الرسالة و اتمام النعمة ..

فما نزل فى مكة المكرمة و حالة المسلمين يرثى لها و الدعوة لا تزال فى منطلقها فى حاجة إلى الناصر و المعين تختلف عن الآيات النازلة فى المدينة المنورة حيث تنفس فيها المسلمون الصعداء حيث اصبحت لهم ملجأ و مأوى و اخذوا من هناك فى بناء امة و بعث دولة قدر لها ان تمتد فى بحر سنوات معدودة إلى كل ما كان معروفا من المعمورة حيث ترفع علما فى أقصى المشرق عند تخوم الصين و آخر فى أقصى المغرب عند شواطئ المحيط الأطلسى.

و على هذا الأساس امكن تصنيف و ترتيب الآيات الكريمة إلى قسمين دعى أحدهما بالمكى بينما وضع للثانى اسم المدنى و امكن أيضا هنا تبيان خصائص و مميزات كل منهما فى نقاط عدة حيث فى الامكان معرفة مكان نزول الآية بمجرد قراءتها أو الوقوف عليها

عن كثب ..

هذا و اذا امكن تلمس الخطوط العريضة لمواقع نزول الآيات إلا ان الرواة و المؤرخين اختلفوا من بعد فى سبب تسمية الآيات بالمكية أو المدنية فضلا فى تحديدها الدقيق حيث افترقت آراؤهم- من أجل الوصول إلى الحقيقة و ليس هذا هو دأبهم هنا- إلى عدة اتجاهات امكن ايجازها و حصرها فى أربعة نقاط رغم ان الأولى هى التى تحظى بأكثر الأصوات و غالبية الآراء .. و النقاط الأربعة هى:

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۲۰۵

۱- ان المشهور بين الناس و المتعارف ما بينهم هو «ان المكى ما نزل قبل الهجرة المباركة سواء انزل فى مكة أو فى خارج مكة» «۴» و هى المدة التى امتدت إلى ۱۳ سنة كاملة أو على وجه التحديد ۱۲ سنة و ۵ اشهر و ۳ أيام و تكوّن الآيات المكية ما يقرب من ۶۳٪ من عموم القرآن أى ۱۹/ ۳۰ منه فى ۹۱ سورة منه أيضا ..

و ان المدنى من القرآن هو «ما نزل بعد الهجرة سواء نزل فى المدينة ذاتها أو فى مكة أو الجحفة أو غدير خم» «۴» و هى المدة التى امتدت إلى ۹ سنوات أو على وجه الحصر ۹ سنوات و ۹ أشهر و ۹ أيام و تكوّن ۳۷٪ أى ۱۱/ ۳۰ من عموم القرآن الكريم و هو مجموع ۲۳ سورة ..

و هناك من «اعتبر السور المكية (۸۵) سورة و المدنية (۲۹) سورة» «۶» وفقا للتقسيم اعلاه.

و على هذا الرأى- كما قلنا- تسير الغالبية العظمى من رواة المسلمين و مؤرخيهم و هو المعوّل عليه فى المصاحف المتداولة من ان السورة الفلانية مكية أو مدنية ..

كما و نشير هنا إلى ان «السورة هى مكية اذا نزل أولها فى مكة قبل الهجرة و ان تخلّلتها آيات مدنية أو كان تمامها بالمدينة، و المدنية اذا نزل أولها بعد الهجرة بالمدينة و ان تخللتها آيات مكية» «۷».

و لا عبرة فى هذه الحالة لرجحان الآيات المكية على المدنية أو بالعكس فى داخل السور على صفتها، و انما العبرة على اوائل السور، فسورة الماعون- مثلا- نزلت آياتها الثلاثة الأولى فى مكة بينما نزلت

---

(۴) الإتقان فى علوم القرآن- جلال الدين السيوطى.

(۶) دراسات فى علوم القرآن- عبد القهار العانى.

(۷) علوم القرآن- أحمد عادل كمال.

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۲۰۶

البقية و هى أربع آيات فى المدينة، و رغم ذلك فقد سميّت مكية و هكذا الحال فى بقية السور ..

و هناك من يخالف هذا الرأى حيث ان لديهم «ان وصف السورة بالمكية أو المدنية ان كانت آياتها كذلك و يجوز ان تضم السورة المكية آيات مدنية أو بالعكس، و العبرة هنا عندهم بحسب اكثر الآيات فى السورة فان كانت مدنية اصبحت مدنية و إلا فمكية .. و يأتى الوصف هنا للسورة بأنها مكية إلا الآيات كذا فمدنية .. و بالعكس «۸» ..

۲- و قيل ان المكى ما نزل بمكة و ضواحيها كمنى و عرفات و الحديبية و لو بعد الهجرة، أما المدنى من القرآن- لديهم- فهو ما نزل بالمدنية و ضواحيها كاحد و قبا، و أما ما نزل بين المدينتين فينسب إلى أقربهما مسافة.

۳- و قيل أيضا ان المكى ما جاء خطابا لأهل مكة بينما المدنى ما وقع خطابا لأهل المدينة، و هذا قول ضعيف لأن آيات القرآن موجهة و متخصصة للخلق كافة و ليس لسكان مدينة معينة ليصح هذا التمييز ..

۴- و قيل أخيرا ان المكى ما نزل بمكـة و المـدنى ما نزل بالمدينـة، و حينئذ يكون ما نزل فى غيرهما ليس بمكى و لا مدنى و انما هو قسم مستقل عنهما يحمل اسم المكان أو المنطقة الذى نزل به.

اما عن الفائدة و الغاية فى تقسيم آيات القرآن الكريم إلى مكية و مدنية فهى:

۱- معرفـة مـا يوجـد فى القرآن من ناسـخ و منسوخ ليمكن الأخـذ و العمل بالناسـخ و اطراح العمل بالمنسوخ و خصوصا فى مجالات الاحكام و التشريع ..

---

(۸) التعبير الفنى فى القرآن- الدكتور بكرى شيخ أمين، مباحث فى علوم القرآن- مناع القطان.

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۲۰۷

علما بان نسـخ الحكم فى آيـة معينـة لا يعنى ان قرآنيتها قـد سـقطت بذلك، بل تظل قرآنا يتلى و يتعبد به و هى من كلام اللّه و لكن يبطل العمل بها لمكان الآية التى نسختها «۹» ..

۲- الاطلاع على المراحل و الخطوات التدريجية التى قطعها التشـريع و الوقوف على كيفية و طريقة نزول الاحكام و تكاملها و اسـلوب الدعوة ..

۳- الاستعانة على تفسير القرآن لأن معرفة مواقع النزول تساعد على فهم الآية و تفسيرها بصورة صحيحة «۱۰» ..

۴- الوقوف على السـيرة النبوية من خلال الآيات القرآنية، لأن تتابع الوحى على النبى ساير تاريخ الدعوة بأحداثها منذ بدأ الوحى حتى نزول آخر آية «۱۰» ..

اما عن الفروق و المميزات بين كل من الآيات المكية و المدنية و خصائص كل منهما فهى:

۱- ان النـاظر إلى الآيـات المكيـة يراهـا بصورة عامـة قصـار الحجم و ذات حرارة فى التعـبير و تجـانس فى الصوت بالتزامهـا بنغمـات موسـيقية معينـة للآيات المدنية التى تكون عموما طويلة و ذات أسـلوب تشـريعى هادئ، و دليل القصـر و الطول هو «ان الصور المدنية التى تزيد على ۳۷٪ من القرآن بقليـل يبلغ مجموع آياتها ۱۴۵۶ آيـة، أى أقل من ربع القرآن «۱۲» و هذه الميزة هى الغالبة فى الآيات هذه و ان كان لها شذوذ و استثناءات قليلة ..

۲- ان خطاب اللّه تعالى للجمهور فى الآيات المدنية يغلب عليها قوله

---

(۹) التعبير الفنى فى القرآن- الدكتور بكرى شيخ أمين.

(۱۰) مباحث فى علوم القرآن- مناع القطان.

(۱۲) تاريخ التشريع الإسلامى- الشيخ محمد الخضرى.

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۲۰۸

«يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا» و هـذا وضع طبيعى إذا ما علمنا بأن غالبيـة الناس فى البيئة الحجازية فى العهد المدنى قد تحوّلت إلى الاسـلام أو هى فى الطريق إليه ..

أمـا السور المكيـة فلاـ نشاهـد فيهـا قوله تعالى: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا بل تطالعنا عوضـها قوله تعالى: يا أَيُّهَا النَّاسُ و كلما ورد فى الآيات المدنية من و قوله: يا أَيُّهَا النَّاسُ لا يتجاوز السبع مرات فقط ..

و علـة ورود «يا أَيُّهَا النَّاسُ» فى الآيات المكيـة هو ان عدد المسـلمين فى العهد المكى كان يعد على الأصابع و لما كانت الآيات تهبط لتخـاطب الأكثريـة (و هم الكفـار حينئـذ) لتمهـد لهم طريق الايمان و الاسـلام كان أمرا مسـلما ان تخاطبهم بلفظ الناس، و هـذا اللفظ يستوعب الكفار كما يستوعب و يسع فى نفس الوقت المسلمين فى المخاطبة ..

۳- ليس فى معظم الآيـات المكيـة تفصـيلات التشـريعات و القوانين بل هى تـدعو دوما للتمسك بالاخلاق الكريمـة و الاسـتقامة على الخير و نبـذ عادة عبادة الأوثان ثم الايمان بالبعث بعـد الموت و الحساب فى يوم الجزاء، بسـبب ان الاسـلام لم يزل حينئذ غضا طريا و ان الحاجـة الملحـة كانت تدعو أولا لتصـحيح الاعتقاد عن طريق انتزاع عقيدة الشـرك و تثبيت عقيدة التوحيد و اقامة مختلف الأدلة و البراهين على اثباتها فضلا عن تحذير العصاة و الكافرين من العذاب الأليم و العقاب الجسيم بعد الموت ..

اما التشريع التفصيلى كالمعاملات و القوانين الاجتماعية و الدولية و الحدود و الفرائض و تفاصيلها فتحفل بها الآيات المدنية، بسبب ان سلطان الاسلام قد استتب على أطراف البلاد، كما و أخذت أنواره و اشعته تتجه إلى خارج الجزيرة العربية، و هذا الحال يتطلب بيان

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۲۰۹

الأحكام التفصيلية فى تنظيم المجتمع و تسيير دفته إلى شاطئ السلامة فضلا عن كشف أنواع الروابط التى تنظم العائلة و الفرد و الذى يتألف منها هذا المجتمع ..

و من عبر كـل هـذا يمكن ان يقال بان الآيات المكيـة عالجت شـئون الـدعوة بوصـفها تعبيرا عن عقيـدة، بينما الآيات المدنيـة عالجتها بوصفها تعبيرا عن عقيدة مجسدة فى دولة و مجتمع ..

هـذا و ليس كلمـا ذكر آنفـا هو كـل الخصـائص و الفوارق بين المكى من الآيـات و المـدنى منها. بل سـعى البعض من أهل العلم فى البحث عن معـايير و نقاط أخرى تميّز المكى من الآيات عن المـدنى، حيث امكن لهم اسـتخراج الفروق التاليـة لتضاف إلى السابقـة و هى لذلك تعقب السابقة فى التسلسل العددى ..

۴- ان كل سورة فيها سجدة هى مكية.

۵- ان كل سورة فيها لفظ «كلا» هى مكيـة أيضا، و قـد ذكرت هـذه اللفظـة ۳۳ مرة فى ۱۵ سورة، و كلهـا تقع فى النصف الأـخير من القرآن، و ليس فى النصف الأـول منهـا شـىء، و حكمـة ذلـك هو ان «النصف الأـخير نزل اكثره فى مكـة و اكثر أهلها و سـكانها من الطغاة و الجبابرة فتكرّرت هـذه اللفظـة على وجه التهديد و التعنيف لهم و الانكار عليهم بخلاف النصف الأول و ما نزل منه فى اليهود لم يحتج إلى ايرادها فيه لذلهم و ضعفهم» «۱۳».

و بصدد نزولها فى مكة و مكانها من القرآن قال الشاعر:

و ما نزلت «كلا» بيثرب فاعلمنو لم تأت فى القرآن فى نصفه الأعلى ۶- ان كل سورة فيها قسم يترجح مكيتها و هى تأتى فاتحة للسور المكية نحو الصافات و الذاريات و الضحى و العصر.

---

(۱۳) البرهان فى علوم القرآن- بدر الدين الزركشى.

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۲۱۰

و يأتى القسم لأجل تنبيه اذهان السامعين و تعظيم المقسم به و للتأكيد على وحدانية اللّه تعالى و اثباته ..

۷- ان كل سورة فيها قصة أبى آدم و زوجته حواء و قصة ابليس هى مكية عدا سورة البقرة ..

۸- ان كل سورة تفتـح بالحروف المتقطعة «۱۴» مثل «الر» و نحوهما هى مكيـة عدا الزهراوان (البقرة و آل عمران) و فى الرعد خلاف ..

۹- ان كل سورة فيها ذكر للمنافقين فهى مدنية عدا سورة العنكبوت ..

۱۰- ان كل سورة ذكرت فيها الحدود و الفرائض فهى مدنية ..

۱۱- ان كل سورة فيها اذن و دعوة للجهاد أو ذكر له أو بيان لاحكامه فهى سورة مدنية ..

۱۲- ان كل سورة فيها احوال القرون و الأمم الماضية و قصص الأنبياء و المرسلين فهى مكية عدا البقرة ..

۱۳- ان كل سورة فيها مجادلة أهل الكتاب فهى مدنية ..

هذا و نشير هنا إلى انه قد تنزل سورة مدنية و هى تحمل بعض خصائص الأسلوب الشائع فى السور المكية أو تنزل سورة مكية و هى تحمل بعض خصائص الاسلوب الشائع فى السور المدنية «۱۵» إلا ان هذه هى من الاستثناءات و الشواذ التى تلتصق بكل قاعدة، و الراجح المشهور ان الخصائص اعلاه هى التى تميّز الآيات المكية عن المدنية ..

---

(۱۴) سيرد شرح هذه الحروف فى فصل لاحق ..

(۱۵) موجز علوم القرآن- داود العطار.

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۲۱۱

الناسخ و المنسوخ فى القرآن

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۲۱۳

النسخ فى اللغة و القاموس هو بمعنى الإزالة و التغيير و التبديل و التحوير و ابطال الشىء و رفعه و اقامة شىء مقام شىء، فيقال نسخت الشمس الظل: أى ازالته.

و تعريفه هو رفع حكم شرعى سابق بنص شرعى لاحق مع التراخى و الزمان بينهما، أى يكون بين الناسخ و المنسوخ زمن يكون المنسوخ ثابتا و ملزما بحيث لو لم يكن النص الناسخ لاستمر العمل بالسابق و كان حكمه قائما «۱» ..

و باختصار النسخ هو رفع الحكم الشرعى بخطاب قطعى للدلالة و متأخر عنه أو هو بيان انتهاء امده و النسخ «جائز عقلا و واقع سمعا فى شرائع ينسخ اللاحق منها السابق و فى شريعة واحدة» «۲».

و حكم الناسخ و المنسوخ يلزم ان يتقنه و يتعلمه كل من يتصدى لتفسير القرآن أو لبيان الاحكام التشريعية و الفقهية من المفسرين و الفقهاء و أهل الحل و العقد حتى يكون فى مكنتهم الوقوف على الاحكام التى يعمل بها من القرآن من تلك المنسوخة التى لا يعمل بها ..

و بهذه المناسبة نورد كلمة موجزة للامام على- ع- بصدد الناسخ و المنسوخ و ضرورة تعلمها فإنه- الامام- مرّ على قاض من القضاة فقال

---

(۱) الشافعى- محمد أبو زهرة.

(۲) أصول الفقه- الشيخ محمد الخضرى.

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۲۱۴

له: أ تعرف الناسخ من المنسوخ فأجاب بقوله: لا بل اللّه اعلم فبادره الامام بقوله: هلكت و اهلكت .... الخ «۳».

و طبيعى هنا ان القاضى- أى قاضى- يلزم ان يكون سبّاقا فى معرفة الناسخ و المنسوخ لئلا يطبق حكما كان قد نسخ مفعوله فيهلك هو و يهلك معه ضحيته ..

و يروى بهذا الصدد أيضا عن ابن عباس انه قال فى قوله تعالى:

وَ مَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْراً كَثِيراً «۴» قال: المقصود من ذلك ناسخه و منسوخه و محكمه و متشابهه و مقدمه و مؤخره و حرامه و حلاله ..

و النسخ فى اصطلاح الفقهاء يطلق على معنيين اثنين هما:

۱- «ابطال الحكم المستفاد من نص سابق بنص لا حق» «۵» و مثال ذلك يتجلى ساطعا و واضحا فى آيـة النجوى بقوله تعالى: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذا ناجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَىْ نَجْواكُمْ صَدَقَةً ذلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَ أَطْهَرُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ «۶».

فالآية المتقدمة قد نسخت بالآية التالية و هى قوله تعالى:

أَ أَشْـفَقْتُمْ أَنْ تُقَـدِّمُوا بَيْنَ يَـدَىْ نَجْواكُمْ صَـدَقاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَ تابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَ آتُوا الزَّكاةَ وَ أَطِيعُوا اللَّهَ وَ رَسُولَهُ وَ اللَّهُ خَبِيرٌ بِما تَعْمَلُونَ «۷».

و الآية الكريمة الأولى المنسوخة لو فتشنا عنها فى بطون الكتب و زواياه بقصد معرفة من الذى عمل بها من الخلق قبل ان ينالها النسخ

---

(۳) الإتقان فى علوم القرآن- جلال الدين السيوطى، البرهان فى علوم القرآن- بدر الدين الزركشى.

(۴) البقرة- ۲۶۹.

(۵) تاريخ التشريع الإسلامى- الشيخ محمد الخضرى.

(۶) المجادلة- ۱۲.

(۷) المجادلة- ۱۳.

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۲۱۵

بالآية التالية لألفينا جليا انه لم يعمل بها أحد فى التاريخ- من حين نزولها حتى نسخها- إلا شخص واحد فقط هو امام الهدى على بن أبى طالب- ع- حيث ما ان أطلت بشائر هذه الآية على قلب الرسول (ص) و تداولت بين الأصحاب حتى اسرع الإمام بتفريق دينار كان لديه إلى عشرة دراهم كان يدفع منها درهما واحدا إلى الفقراء و المساكين عند كل لقاء يسجله مع الرسول (ص)، بينما تقاعس أو تخلف غيره عن ذلك مما حدا اللّه سبحانه عطفا و رحمة بهؤلاء النفر و تخفيفا عنهم إلى ان يوعز للأمين جبرائيل لينقل الآية الثانية إلى صدر الرسول لتنسخ حكم و مفعول الأولى و لتجعل مواجهة الرسول (ص) أو زيارته مجانا و من دون مقابل يذكر ..

لذا ينقل عن الامام على- ع- فى احدى خطبه قوله: «ان فى كتاب اللّه آية لم يعمل بها أحد سواى» و يعنى الامام بذلك آية النجوى المتقدم ذكرها ..

و من هذا النوع من النسخ أيضا قوله تعالى: وَ الَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَ يَذَرُونَ أَزْواجاً وَصِيَّةً لِأَزْواجِهِمْ مَتاعاً إِلَى الْحَوْلِ «۸» فهذه الآية تشير إلى ان عدة المتوفى عنها زوجها يمتد إلى حول كامل (سنة كاملة) ثم نسخ هذا الحكم بالآية الثانية و هى قوله: وَ الَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَ يَذَرُونَ أَزْواجاً يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَ عَشْراً «۹» و هذه الآية تدل على أن عدة المتوفى عنها زوجها هى أربعة أشهر و عشرة أيام فقط أى «۱۳۰» يوم و هو الحكم المعمول به حاليا عند الناس و المعمول به فى المحاكم الشرعية ..

۲- «رفع عموم نص أو تقييد مطلقه» «۱۰»، و مثال الشطر الأول

---

(۸) البقرة- ۲۴۰.

(۹) البقرة- ۲۳۴.

(۱۰) تاريخ التشريع الإسلامى- الشيخ محمد الخضرى.

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۲۱۶

«رفع العموم» هو قوله تعالى: وَ الْمُطَلَّقاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلاثَةَ قُرُوءٍ «۱۱» و هذا نص عام يسرى على من دخل بها و من لم يدخل بها و لكن نزلت بعد ذلك آية أخرى اعطيت المرأة غير المدخول بها حكما خاصا و هو قوله: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِناتِ

ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ فَما لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَها «۱۲».

اما امثال الشطر الثانی «تقیید المطلق» فهو قوله سبحانه حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَ الدَّمُ وَ لَحْمُ الْخِنْزِيرِ «۱۳» فالنص المتعلق بالدم هنا نص مطلق للدم المرم بینما قیّدت آیة تالیة ذلک و جعلته الدم المسفوح فقط و هو قوله تعالی: قُلْ لا أَجِدُ فِی ما أُوحِیَ إِلَیَّ مُحَرَّماً عَلی طاعِمٍ یَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ یَکُونَ مَیْتَةً أَوْ دَماً مَسْفُوحاً أَوْ لَحْمَ خِنزِیرٍ «۱۴».

هذا و نشیر إلی انه لم ترد فی القرآن الکریم قواعد صریحة و ضوابط واضحة فی مسائل النسخ أو الاشارة إلی الآیات الناسخة و المنسوخة عدا التلمیح العابر الیها فی عدة مواضع فیه و دونما أی تفصیل أو شرح و هو قوله تعالی: ما نَنْسَخْ مِنْ آیَةٍ أَوْ نُنْسِها نَأْتِ بِخَیْرٍ مِنْها أَوْ مِثْلِها «۱۵» و قوله تعالی: وَ إِذا بَدَّلْنا آیَةً مَکانَ آیَةٍ وَ اللَّهُ أَعْلَمُ بِما یُنَزِّلُ قالُوا إِنَّما أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَکْثَرُهُمْ لا یَعْلَمُونَ «۱۶» ..

اضافة إلی الاشارة الیها فی بعض الأحادیث النبویة المنقولة عن

---

(۱۱) البقرة: ۲۲۸، و القرء هو الطهر الذی یقع ما بین الحیضتین، و قیل ان القرء هو الحیضة و هی العادة الشهریة التی تنتاب المرأة لأیام معدودة فی الشهر و عند ما تکون غیر حامل و غالبا غیر مرضع ..

(۱۲) الأحزاب: ۴۹.

(۱۳) المائدة: ۳.

(۱۴) الأنعام: ۴۵.

(۱۵) البقرة: ۱۰۶.

(۱۶) النحل: ۱۰۱.

لمحات من تاریخ القرآن، ص: ۲۱۷

الرسول (ص) و فی الکلمات و الأخبار الواردة عن طریق أهل بیت النبوة و عن طریق الصحابة ..

لذا فالأصل فی آیات القرآن الکریم برمتها هی الاحکام لا النسخ و حتی یقوم الدلیل الصریح و القرینة الواضحة علی النسخ فیؤخذ به فی العمل ..

علما بأن النسخ لا یکون إلا فی الاحکام الفرعیة العملیة من اوامر و نواهی- و لو بلفظ الخبر- و لا یکون فی أصول العقائد و امهات الفضائل و الأخبار «۱۷» و التاریخ و الوعد و الوعید و القصص و المواعظ و غیرها ..

هذا و یمکن اجمال طرق معرفة الناسخ و المنسوخ فی القرآن الکریم بالنقاط التالیة:

۱- النقل الصریح عن الرسول (ص) أو عن صحابی.

۲- اجماع الأمة علی ذلک ..

۳- معرفة المتقدم من المتأخر فی التاریخ مع وجود التعارض بین النصین، و لا یمکن معه التوفیق بینهما «۱۷».

لذا لا یعتمد فی النسخ علی الاجتهاد أو أقوال المفسرین أو التعارض ما بین الأدلة ظاهرا.

اما شروط النسخ فهی ستة «۱۹» و ها نحن أولاء نوردها أدناه مختصرة ..

۱- نزول الناسخ بعد المنسوخ.

۲- ألا یکون المنسوخ خبرا بل حکما شرعیا.

۳- أن یکون هناک تخالف فی الحکم بین النصین.

---

(۱۷) التعبیر الفنی فی القرآن- الدکتور بکری شیخ أمین.

(۱۹) النسخ فى الشريعة الإسلامية- عبد المتعال الجبرى.

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۲۱۸

۴- أن يكون المنسوخ غير متعلق بوقت معين.

۵- أن يكون الناسخ موجبا للعلم و العمل.

۶- أن ينسخ الحكم الأخف الأثقل أو المساوى له.

و ذكر هنا فى أسباب النسخ الحقيقة و علته انها تعود لمصلحة و حكمة يراها اللّه سبحانه و لأجل التخفيف عن كاهل الناس و التيسير عليهم تمشيا مع التدرج فى التشريع حتى تطمئن إليه النفوس و يستقر على الوضع الأخير و النهائى و الذى لا يمكن أن يناله التغيير أو التعديل ليكوّن بذلك القاعدة الفقهية المشهورة و هى «لا ينكر تغيير الاحكام بتغيير الزمان» «۲۰».

هذا و قد بحث العلماء و الفقهاء بعد ذلك فى مدى و سلطان الآيات الكريمة و السنة النبوية المطهرة فى نسخ أحدهما للأخرى أو النسخ فيما بينها و قد امكن جمع أقوالهم و اختصارها فيما يلى:

لقد اتفق الجميع و كل من خاض فى بحث الناسخ و المنسوخ إلى ان النص لا ينسخه إلا نص فى قوته أو أقوى منه، و النص الأقل قوة لا ينسخ الأقوى، و حيث ان المصدرين الأساسيين للشريعة هما القرآن و السنة و ان بقية المصادر هى تابعة للقرآن و السنة، فمن المحال هنا ان ينسخ القرآن أو السنة أى قياس أو اجتهاد «۲۱»، و انما يكون النسخ على الوجه التالى:

---

(۲۰) هذه هى قاعدة فقهية تأخذ بها المحاكم المدنية و غيرها من المعاملات و الدعاوى المقامة فيها و هى إحدى القواعد التى كانت تضمها (المجلة) قبل الغائها و نقلها مع كثير من الأحكام إلى القوانين المدنية السارية فى الوقت الحاضر.

(۲۱) التشريع الجنائى الإسلامى- عبد القادر عودة.

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۲۱۹

۱- لا ينسخ القرآن إلا بقرآن مثله «۲۲» و ذلك استنادا لآيات النسخ المنوه عنها قبل قليل، و طبيعى ان المراد هنا من القرآن هو آياته الكريمة ..

۲- ينسخ القرآن بالسنة النبوية «۲۲»: و ذلك لأن السنة هى أيضا من عند اللّه تعالى و ان كل ما يرويه أو ينطق به الرسول (ص) من الأحاديث يجب اتباعها و الالتزام بها كاتباع آيات القرآن الكريم و الإذعان لها لأن الرسول (ص) معصوم من الزلل و السهو و النسيان بقوله تعالى: وَ ما يَنْطِقُ عَنِ الْهَوى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحى «۲۴» و لأن تفسير آيات القرآن و بيان اغراضها و معانيها هو من أولى مهام الرسول (ص) و واجباته، فطبيعى ان يلتزم الفرد بكل هذا و ان يعمل به كالتزامه و عمله بالآيات الكريمة نفسها ..

و السنة هنا يجب أن تكون متواترة و قطعية، أما خبر الواحد (الآحاد) فلا يصلح أن يكون ناسخا للقرآن باجماع المسلمين، لأن القرآن متواتر يفيد اليقين، و خبر الآحاد مظنون و لا يصح رفع المعلوم بالمظنون و انما يقوم خبر الآحاد بنسخ بعضه بعضا ..

هذا و لم نعدم هنا افرادا قلائل و منهم الامام الشافعى يذهبون إلى قصر نسخ القرآن على القرآن فقط و ان السنة لا يمكن ان تكون ناسخة للقرآن و انما هى تبع للكتاب بمثل ما نزل به نصا و مفسرة ما انزل اللّه سبحانه منه جملا، و ان السنة انما تنسخ السنة فقط و كل ما وجد من نسخ للقرآن بالسنة فمعها قرآن يعضده، و حيث وقع نسخ فى السنة بالقرآن فمعه سنة عاضدة له ..

و أدلة هؤلاء القلة بصدد عدم امكان نسخ القرآن بالسنة و ان كانت

---

(۲۲) البرهان فى علوم القرآن- بدر الدين الزركشى.

(۲۴) النجم: ۴۰۳.

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۲۲۰

الأخيرة متواترة و قطعية هى «۲۵»:

۱- ان القرآن أصل و لفظه معجزة فى حين ان السنة فرع من القرآن و انها ليست بمعجزة مثله ..

۲- إن معنى قوله تعالى: قُلْ ما يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا ما يُوحى إِلَيَّ إِنِّي أَخافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ «۲۶» هو أن اللّه تعالى فرض على رسوله إتباع ما يوحى إليه و إن النبى (ص) مأمور بان لا يبدل أحكام القرآن من تلقاء نفسه ..

۳- ان الآية الأخرى و هى قوله تعالى ما نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِها نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْها أَوْ مِثْلِها «۲۷» معناها أن نسخ الآية لا يكون إلا بآية من عند اللّه تعالى و لا يكون ذلك لأحد من الخلق ..

و كل هذه الحجج و غيرها و ان كانت ظاهرة الوجاهة و القبول إلا انها لا تقف بوجه و ازاء ما ذهبنا إليه آنفا من ان اقوال الرسول (ص) و احاديثه هى من عند اللّه تعالى و لا يمكن ان يشوبها شيء من الهدى أو الضلال و انها ملزمة لزوم الآيات نفسها ..

كما و لم نعدم افراد قلائل يعدّون على الأصابع ان لم يكونوا دونها و منهم أبو مسلم الاصفهانى المعتزلى صاحب كتاب (جامع التأويل فى التفسير) و المتوفى عام ۳۲۲ هجرية ينسفون و يبطلون النسخ مهما كان لونه و شكل جملة و تفصيلا «۲۸» مؤيدين دعاواهم بأدلة واهية لا تقف على قدميها و هى أوهى من بيت العنكبوت منها ان القرآن الكريم سجل الشريعة و هو الباقى الخالد إلى يوم الدين و ما يدعى نسخه منه يمكن

---

(۲۵) النسخ فى الشريعة الإسلامية- عبد المتعال الجبرى.

(۲۶) يونس: ۱۵.

(۲۷) البقرة: ۱۰۶.

(۲۸) النسخ فى الشريعة الإسلامية- عبد المتعال الجبرى.

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۲۲۱

التوفيق و الملائمة ما بينه و بين ما يدعى ناسخه بايسر سبيل، و لا يصار إلى النسخ إلا إذا تعذر التوفيق ..... الخ.

و طبيعى ان هذا الادعاء أو غيره لا يذهب إليه إلا القليل من المسلمين و هى ادعاءات و حجج لا تقف على قدميها و انها من بعد تصطدم مع حجج الغالبية العظمى من المسلمين و المدعمة بأوثق الأدلة و أسطع البراهين «۲۹» ..

لذا فالنسخ قد اجمع كافة المسلمين على وقوعه فى القرآن على معنى رفع الوحى و تبديله، اما من يذهب إلى انه لا يجوز النسخ فى شريعة واحدة فهو ادعاء غريب و عجيب لأن انكار النسخ مع صحة الاسلام أمر غير متصور و لا مقبول ..

هذا و بصدد تحديد موقع الناسخ و المنسوخ فى القرآن فان القاعدة العامة و الأصل العام فى النسخ هو أن السّور التى لم يحدث فى آياتها تعديل أو نسخ فهى السور المكية، بينما حدث النسخ فى السور التى كثرت فيها احكام التشريع و هى السور المدنية و ان كانت هناك بعض الاستثناءات القليلة ..

و على هذا فالسور التى وجد فيها ناسخا و منسوخا هى (۲۵) سورة منها سورة البقرة و آل عمران و النساء و المائدة .... الخ و كلها و (۴۰) سورة فى القرآن- من غير ما ذكر- فيها احكام منسوخة فقط [و (۶) سورة فى القرآن من غير ما ذكر فيها احكام ناسخة فقط منها سورة الفتح و الحشر و المنافقون ... الخ اما ما بقى من السور و عددها (۴۴) سورة ورد انها خليت من أى ناسخ أو منسوخ.

---

(۲۹) البرهان فى علوم القرآن- بدر الدين الزركشى.

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۲۲۲

و نشير بعد هذا إلى ان الحكمة من نزول آيات النسخ يمكن اجمالها فى النقاط التالية «۳۰».

۱- مراعاة مصالح العباد ..

۲- تطور التشريع إلى مرتبة الدعوة وفقا لسير و تطور الدعوة و حال الناس ..

۳- تقييم الأفراد و اختيارهم بالامتثال للاحكام من عدمه ..

۴- إرادة الخير للأمة و التيسير عليها، لأن النسخ ان كان إلى اشق ففيه زيادة فى الثواب و ان كان إلى اخف ففيه تيسير و رأفة بهم ..

و أخيرا فقد قسم البعض أنواع المنسوخ من الآيات إلى ثلاثة أقسام هى: «۳۱» ۱- ما نسخ حكمه و بقى خطه (تلاوته، لفظه): و هذا القسم هو المشهور بين العلماء و المفسرين و قد الفت حوله أنواع مختلف البحوث و الدراسات، و من هذا القسم آية النجوى و آية العدة فى المتوفى عنها زوجها كما تقدم بيانه ..

۲- ما نسخ خطه (تلاوته) و بقى حكمه و منه آية الرجم حيث ان وجوب الرجم على المحصنة الزانية لا خلاف فيه بين الفقهاء، و ان بعضهم قال ان الآية التى كانت متضمنة لهذا الحكم منسوخة بلا خلاف و هى قوله: «الشيخ و الشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من اللّه و اللّه عزيز حكيم» ..

۳- ما نسخ خطه (تلاوته) و حكمه معا: و منه ما روى عن أم

---

(۳۰) مباحث فى علوم القرآن- مناع القطان.

(۳۱) تفسير التبيان- أبو جعفر الطوسى، النسخ فى الشريعة الإسلامية- عبد المتعال الجبرى، البرهان فى علوم القرآن- بدر الدين الزركشى.

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۲۲۳

المؤمنين عائشة قولها: انه كان فيما انزل اللّه من القرآن أن عشر رضعات معلومات يحرّمن، و نسخ ذلك بخمسة معلومات فتوفى رسول اللّه (ص) و هن فيما يقرأ من القرآن «۳۲» فنسخت التلاوة و الحكم ..

و بصدد هذه الأقسام فإن بعض المسلمين يدعمها كلها بينما يذهب البعض إلى عدم تأييد و دعم القسمين الثانى و الثالث أو الثالث فقط لأن «بعضها قد جاء عن طريق و آيات الآحاد و التى لا يحتج بها فى اثبات النسخ» «۳۳» ..

كما و لخص البعض بطلان نسخ التلاوة بالأسباب التالية: «۳۴» ۱- لكون الأخبار الخاصة بها آحاد غير متواترة ..

۲- ان الأخبار هذه متعارضة فى نفسها من جهات شتى ..

۳- وجود الاختلاف و التعارض بين الأخبار و الروايات من جهة تعيين لفظ الآيات و السور التى يقال بنسخ تلاوتها ..

---

(۳۲) صحيح مسلم- أبو الحسين مسلم بن الحجاج النيشابورى.

(۳۳) البرهان فى علوم القرآن- بدر الدين الزركشى.

(۳۴) منهج البيان فى تفسير القرآن- ابن الحسن الرضوى.

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۲۲۵

محكم القرآن و متشابهه

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۲۲۷

يعرف المحكم بانه الاتقان و عدم تطرّق الاختلاف و الالتباس اليه و ما يحتمل وجها واحدا و بقول آخر ان معناه يدل عليه بوضوح لا

خفاء فيه و يشمل النص و الظاهر ..

فالنص و الظاهر يدلان على المعنى البارز المطلوب، و من هذا النوع أصول الدين و اصول الاحكام ..

اما المتشابه فهو ما يحتمل وجوها عدة أو ان يشابه بعضه بعضا أو ان يشبه اللفظ و اللفظ فى الظاهر و المعنيان مختلفان، و المتشابه يفتقر إلى الدلالة الراجحة على معناه و يشمل المجمل و المؤول و المشكل ..

و فى كتاب اللّه العزيز آيات محكمة و متشابهة اشارت اليها آيات عدة بكل صراحة و وضوح منها قوله تعالى: هُوَ الَّذِى أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتابَ مِنْهُ آياتٌ مُحْكَماتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتابِ وَ أُخَرُ مُتَشابِهاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ ما تَشابَهَ مِنْهُ ابْتِغاءَ الْفِتْنَةِ وَ ابْتِغاءَ تَأْوِيلِهِ، وَ ما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَ الرَّاسِخُونَ فِى الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنا وَ ما يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبابِ «۱».

و هناك من قال بأن القرآن كله محكم لقوله تعالى: كِتابٌ أُحْكِمَتْ آياتُهُ «۲» و آخرون يرون بأن كله (القرآن) متشابها لقوله تعالى: اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتاباً مُتَشابِهاً مَثانِىَ «۳».

---

(۱) آل عمران: ۷.

(۲) هود: ۱.

(۳) الزمر: ۲۳.

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۲۲۸

ان الرأى الأول- و المتعلق بوجود المحكم و المتشابه- هو المعوّل عليه و به يأخذ الغالبية من الفقهاء و المجتهدين قديما و حديثا ..

اما الحكمة و الفلسفة فى انزال المتشابه من الآيات فهو «حث الناس على المثابرة و السعى و العمل على كشفها و بالتالى ليرتقى المتعلم فيها رتبة بعد رتبة حتى يبلغ منتهاه و يدرك اقصاه، و لتكون للعالم فضيلة النظر و حسن الاستخراج و لتقع المثوبة من اللّه جل شأنه على قدر العناية، و لو كان كل العلوم أو كل القرآن شيئا واحدا لم يكن عالم و لا متعلم و لا خفى و لا جلى» «۴» و «لبطل التفاضل بين الناس و سقطت المحنة و ماتت الخواطر» «۵».

اما السيوطى فى الاتقان فيوجز الحكمة فى انزال المتشابه بالنقاط التالية:

۱- الحث للعلماء على النظر الموجب للعلم بغوامضه و البحث فى دقائقه ..

۲- ظهور التفاضل و تفاوت الدرجات ..

۳- ابتلاء العباد بالوقوف عنده و التوقف فيه و التفويض و التسليم و التعبد بالاشتغال به ..

هذا و لا يمكن لأحد ان يتصور بتاتا بان المتشابه من القرآن يحمل نوعا أو شيئا من الضعف أو الخلل أو عدم القدسية أو شيئا من ذلك. بل الأمر هو على عكس ذلك حيث ان كلا من المحكم و المتشابه من الآيات هو متقن و ذو نظم جميل و بديع لا يتسرب اليه الضعف و الخلل فى اللفظ أو المعنى، و ان الاثنين قد نزلا من عبد اللّه على طريقة واحدة و كيفية مماثلة و لهما نفس القدسية و الدرجة و الاحترام ..

---

(۴) الدين و الإسلام- الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء.

(۵) تأويل مشكل القرآن- ابن قتيبة الدينورى.

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۲۲۹

و رغم ما بين الاثنين- المحكم و المتشابه- من هذا الالتقاء و الاتفاق إلا ان هناك مميزات خاصة يحتفظ كل منهما لنفسه، و هذه المميزات و الاختلافات هى التى اوحت و دعت إلى تقسيم آيات القرآن إلى آيات محكمة و أخرى متشابهة ..

اما عن هذه المميزات و الفروق فيمكن تلخيصها بالنقاط التالية:

۱- ان المحكم لا يعرف المراد منه إلا بالظهور أو التأويل، و المتشابه هو ما احتفظ اللّه سبحانه و استأثر بعلمه دون خلقه كالحروف المتقطعة فى أوائل السور و علم الساعة و استواء الرحمن على العرش و حمل العرش و خروج عيسى و طبيعة الأرواح ..... الخ ۲- ان المحكم ما ظهر و وضح معناه و مقصده بينما المتشابه هو ما غم و خفى معناه و هدفه. علما بان المتشابه من الآيات واضحة من ناحية المفهوم و انما جاء الخفاء و الغموض من مصداق هذا المفهوم ..

۳- ان المحكم لا يحتمل تأويله إلا وجها واحدا فالحكم فيه واضح الدلالة و قطعى و المتشابه ما احتمل عدة وجوه.

۴- المحكم ما استقل بنفسه و لم يحتج إلى البيان و المتشابه ما لا يستقل بنفسه و احتاج إلى البيان برده إلى غيره.

بقى بعد هذا ان نعرف نقطتين اثنين يرتبطان بالمحكم و المتشابه غاية الارتباط و اوثقه هما:

۱- ما هو مدى العمل و الالتزام بكل من المحكم و المتشابه.

۲- ما هو مدى و قدرة الراسخين فى العلم فى بيان و كشف معنى و أغراض الآيات المتشابهة من القرآن.

فبقدر تعلق الأمر بالنقطة الأولى فالمتعارف بين جموع المسلمين هو «ان المحكم من القرآن يلزم علينا ان نؤمن و نعمل و ندين به، بينما

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۲۳۰

المتشابه منه علينا ان نؤمن به كالمحكم و لكن لا نعمل به» «۶» ..

اما عن النقطة الثانية فقد اختلف المسلمون حولها، فقد ذهب قسم من علمائهم إلى ان الفئات و الجماعات التى تتجلى بالخصال و المزايا التى تؤهلهم للوصول إلى درجة و مكانة الراسخين فى العلم و هى كثيرة منها التفقّه فى العلم و التقوى و الاستقامة و الخلق الحسن و الاستقصاء ..... الخ ففى مكنتهم و وسعهم- بتأييد اللّه تعالى- من ادراك كنه و حقيقة كل أو بعض معانى و اغراض المتشابه من الآيات الكريمة ..

اما البقية فهى تنحو إلى قول فصل لا يتفق و ما يذهب اليه زملاؤهم و مفاده هو استحالة كل شخص أو فئة مهما أوتيت من علم و ادراك، معرفة حكم المتشابه و مقاصده بدعوى هو أن المتشابه من الآيات قد اختص اللّه تعالى فقط بمعرفة حقيقتها دون عباده و مهما كانت منزلة هؤلاء العلمية.

و رغم هذا الاختلاف بين الطرفين حول مدى صلاحية علماء المسلمين فى كشف حقيقة المتشابه من الآيات- رغم ان الشارع المقدس قد نهى من الخوض فى المتشابهات أو التعرض لها- فقد امكن جمع و توحيد كافة اقوالهم بخصوص الموضوع و من ثم استخراج حلول مشتركة تحضى بتأييد الجميع و دعمهم و هى:

۱- ان هناك نوعا من المتشابه لا سبيل للوقوف عليه بتاتا و بأى حال من الأحوال كقيام الساعة و خروج الدابة أو معرفة أجل الموت و مكانه و سببه و ما فى الأرحام و ظهور المهدى «۷»- ع- فضلا عن

---

(۶) تفسير العياشى- محمد بن مسعود العياشى.

(۷) لقد استفاضت الأحاديث و تواترت الأخبار و تعدد مخرجيها من مختلف أئمة الحديث و الحفاظ و الاعلام على اختلاف طبقاتهم و مذاهبهم فى مسألة ظهور المهدى ..

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۲۳۱

الأوصاف المتعلقة بالعرش و كيفية استواء الرحمن حيث ان اللّه تعالى وحده دون سواه ينفرد و يحتفظ بعلم كل ذلك ..

۲- كما و هناك نوع من المتشابه للفقيه المتعلم الفطن البصير سبيل لمعرفته و تفسيره كالأحكام المغلقة و الألفاظ الغريبة و غيرها ..

ففى صحيح الترمذى جاء عن النبى (ص): «لو لم يبق من الدنيا إلّا يوم واحد لطوّل اللّه ذلك اليوم حتى يلى رجل من أهل بيتى» ..

و فى كتاب الصواعق المحرقة لابن حجر العسقلانى أنه: «قد تواترت الأخبار و استفاضت بكثرة رواتها عن المصطفى بخروج المهدى و أنه من أهل البيت» ..

و فى كتاب نور الابصار للشبلنجى جاء انه: «تواترت الأخبار عن النبى (ص) أن المهدى من أهل البيت و أنه يملأ الأرض عدلا» و «عن النبى (ص) أنه لو لم يبق من الدنيا إلّا يوم لبعث اللّه تعالى رجلا من أهل بيتى» ..

و جاء فى الفتوحات الإسلامية لمؤلفه زينى دحلان: «و الأحاديث التى جاء ذكر ظهور المهدى كثيرة متواترة فيها ما هو صحيح و فيها ما هو حسن و فيها ما هو ضعيف و هو الأكثر، و لكن لكثرتها و كثرة رواتها و كثرة مخرجيها يقوى بعضها بعضا حتى صارت تفيد القطع» ..

و يقول فى مكان آخر من الفتوحات: «تواترت الأخبار التى جاءت فيها ذكر المهدى و أنه من المقطوع به و أنه من ولد فاطمة و أنه يملأ الأرض عدلا» ..

هذا إضافة إلى اجماع كتب الإمامية و إيمانهم بظهور المهدى و أنه الإمام الثانى عشر و من ولد على و فاطمة و أنه- عند ظهوره- سيملأ الأرض قسطا و عدلا بعد أن ملئت ظلما و جورا ..

كما و أن كثيرا من المفسرين و الرواة يشير فى تفسير قوله تعالى فى الآية (۵) من سورة القصص: «وَ نُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَ نَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَ نَجْعَلَهُمُ الْوارِثِينَ» و قوله تعالى فى الآية (۱۰۵) من سورة الأنبياء: «وَ لَقَدْ كَتَبْنا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُها عِبادِيَ الصَّالِحُونَ» انهما وردت فى واقعة و حادثة ظهور المهدى المنتظر فى آخر الزمان ..

و عن حياة المهدى المنتظر (مختصرة) فإنه ولد فى منتصف شهر شعبان من عام ۲۵۶ ه و كان عمره عند وفاة أبيه الحسن العسكرى ۵ سنوات ..

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۲۳۲

۳- و هناك أخيرا لون ثالث من المتشابه يقع بين الأمرين السابقين يخفى معناه على بعض الراسخين بينما يدركه البعض الآخر ممن هم اسمى منهم و فهما و تقوى و صلاح ..

و نؤكد أخيرا ما سبق ان قلناه فيما مضى من ان اشتمال القرآن الكريم على الآيات المتشابهة و عدم اقتصاره على الآيات المحكمة

و للإمام المهدى- وفقا للرواية الإمامية- غيبتان هى الغيبة الصغرى و الغيبة الكبرى ..

فالأول تبدأ من حين وفاة والده الإمام الحسن العسكرى- ع- فى عام ۲۶۰ ه إلى وقت انقطاع السفارة الخاصة بوفاة السفير الرابع على بن محمد الصيمرى عام ۳۲۹ ه و هى بحدود ۷۰ سنة.

أما الغيبة الثانية (الكبرى) فتبدأ بعد الأولى مباشرة حتى ظهوره و قيامه- ع- على وجه الأرض ليملأها قسطا و عدلا بعد أن ملئت ظلما و جورا ..

أما وكلاؤه و سفراؤه فى عهد غيبته الصغرى و الذين كانوا يتشرفون بلقائه كما و تخرج التواقيع الشريفة بواسطتهم فهم أربعة توارثها اللاحق بعد وفاة السابق و هم:

۱- عثمان بن سعيد العمرى.

۲- محمد بن عثمان بن سعيد العمرى.

۳- الحسين بن روح النوبختى.

۴- على بن محمد الصيمرى.

و بعد انتقال الأخير إلى جوار ربه بدأت الغيبة الكبرى و باتت النيابة عامة و هى تحت شروط و قيود أوضحها المهدى المنتظر نفسه- ع- منها قوله: «لا عذر لأحد من موالينا فى التشكيك فيما يرويه عنا ثقاتنا و قد علموا أنا نفاوضهم سرنا و نجمله إليهم» ..

و قوله: «و أما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا فإنهم حجتى عليكم و أنا حجة اللّه عليهم» ..

و قوله- ع: «و أما من كان من الفقهاء صائنا لنفسه حافظا لدينه مخالفا لهواه مطيعا لأمر مولاه فللعوام أن يقلدوه» ..

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۲۳۳

وحدها فهو من أجل ان يكون حافزا للمسلمين و علمائهم و مفكريهم لتكريس جهودهم لتعلم العلوم و المعارف المختلفة و الوقوف على أساليب اللغة و البيان و الاستزادة من الدراسات و البحوث المتنوعة، لأن كل ذلك ستعينهم على فهم و تدبر الآيات المتشابهة و الوقوف على مرادها و اغراضها الحقيقية ..

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۲۳۵

تفسير القرآن

اشارة

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۲۳۷

التفسير تفصيل من الفسر و هو البيان و كشف المغطى و الايضاح و التبيين و كلمة تفسير فى أصلها ليست خاصة بتفسير القرآن و لكنها شاعت و اشتهرت فى تفسير القرآن الكريم بمعنى الايضاح «۱».

و يراد بتفسير القرآن بيان مراد اللّه تعالى و قصده من كتابه العزيز بدون الاعتماد على الظنون و الرأى و الهدى و القياس و الاستحسان و لا على شىء لم يثبت حجيته عقلا أو شرعا للنهى الوارد فيها ..

أو بقول آخر يراد بالتفسير «بيان معانى الآيات القرآنية و الكشف عن مقاصدها و مدلولها» «۲» ..

اما التأويل فاصله من الأول و هو الرجوع أى رجوع الآية الكريمة لما تحتمله من المعانى و الأغراض ..

و قيل أيضا انه يراد منه العاقبة و ما يؤول اليه الأمر لأن تأويل القرآن هو ما يرجع اليه الكلام و ما هو عاقبته سواء أ كان ذلك ظاهرا أم خفيا لا يعرفه إلا الراسخون فى العلم ..

و قيل كذلك انه قد جاء من الإيالة و هى السياسة لأن المؤول يسوس الكلام و يضعه فى موضعه ..

---

(۱) أحكام من القرآن و السنة- عبد العظيم معانى و الدكتور أحمد الغندور.

(۲) محاضرات فى تفسير القرآن- السيد إسماعيل الصدر.

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۲۳۸

اما الفرق بين التفسير و التأويل فقد اختلف فيه العلماء حيث ذهب كل واحد منهم إلى رأى أو أكثر من الآراء التالية و هى: «۳».

۱- قيل ان التفسير و التأويل هما بمعنى واحد، فكل تفسير هو تأويل و كل تأويل هو تفسير ..

۲- و قيل ان التفسير اعم من التأويل و أكثر ما يستعمل التفسير فى الألفاظ و التأويل فى المعانى.

۳- و قيل ان التفسير هو القطع على مراد اللفظ و معناه، بينما التأويل هو ترجيح أحد الاحتمالات بدون القطع.

۴- و قيل التفسير هو بيان وضع اللفظ إما حقيقة أو مجازا و التأويل هو تفسير باطن اللفظ ..

۵- و قيل التفسير هو ما يتعلق بالرواية و التأويل ما يتعلق بالدراية.

۶- و قيل التفسير هو بيان المعانى التى يستفاد من وضع العبارة، و التأويل هو بيان المعانى التى تستفاد بطريق الإشارة ..

۷- و قيل أيضا ان التفسير هو الكلام فى أسباب نزول الآية و شأنها و وقتها و التأويل هو صرف الآية إلى معنى محتمل يتلاءم مع ما سبقها و تأخر عنها ..

و رغم ما بين التفسير و التأويل من فروق أو التقاءات، فقد اجمع علماء التفسير فى كل عصر و مصر على ان الأصل فى تفسير القرآن ان يقوم على ظاهر معنى الفاظه دون تأويل اذا لم يمنع منه مانع من العقل أو الشرع، و لكن اذا منع من ظاهر المعنى مانع فيكون بيان معناه وفقا لأحد الاتجاهين التاليين:

---

(۳) التفسير و المفسرون- محمد حسين الذهبى.

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۲۳۹

۱- مذهب السلف الصالح الذى ينحو للأخذ بظاهر المعنى و التصديق به مع تفويض معرفة حقيقته إليه تعالى.

۲- مذهب الخلف من العلماء الذين جاءوا من بعدهم- بعد السلف- حيث نادوا بلزوم التأويل عند الضرورة منعا من الوقوع فى التشبيه و قطعا لدابر كل شبهة قد تعلق بالقلوب «۴» ..

و بصدد التفسير فقد وردت عن الرسول (ص) أحاديث عديدة بالنهى عن التفسير من غير علم به و منها قوله (ص): «من قال فى القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار» و قوله (ص): «من فسّر القرآن برأيه فاصاب الحق فقد اخطأ» ..

كما ورد عن الامام على- ع- بهذا الخصوص قوله: «انما يعرف القرآن من خوطب به و ليس شىء ابعد عن عقول الرجال من تفسير القرآن، ان الآية تنزل أولها فى شىء و اوسطها فى شىء و آخرها فى شىء».

كما و له- ع- كلام آخر فى هذا المعنى هو قوله: «اياك ان تفسّر القرآن برأيك حتى تفقهه عن العلماء، فان رب تنزيل يشبه بكلام البشر كله و هو كلام اللّه و تأويله لا يشبه بكلام البشر كما ليس شىء من خلقه يشبهه، و كذلك لا يشبه فعله تعالى شيئا من افعال البشر و لا يشبه شىء من كلامه بكلام البشر و كلام اللّه تبارك و تعالى صفته و كلام البشر افعالهم، فلا يشبه كلام اللّه بكلام البشر فتهلك و تضل» ..

و له أيضا- ع- «من فسر القرآن برأيه إن اصاب لم يؤجر و ان اخطأ ضل».

و يروى عن الخليفة أبى بكر الصديق (رض) قوله حول

---

(۴) التفسير العلمى للأديان الكونية فى القرآن- حنفى أحمد.

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۲۴۰

الموضوع: «أى ارض تقلّنى و أى سماء تظلنى اذا قلت فى حرف من كتاب اللّه عز و جل بغير علم ما اراده ربى» كما و يؤثر عن عمر بن الخطاب (رض) قوله فى هذا الشأن:

«أقلّوا الرواية عن رسول اللّه (ص) و أنا شريككم» ..

و يروى عن سعيد بن المسيب انه كان اذا سئل عن شىء من القرآن قال «انا لا اقول فى القرآن شيئا» و يؤثر عن سعيد بن جبير «۵» التابعى المعروف انه قال لرجل طلب اليه تفسير بعض آيات القرآن: «لأن تقع جوانبى خير لك من ذلك» ..

و قال الشعبى: «ثلاث لا أقول فيهن حتى اموت، القرآن و الروح و الرأى» ..

و قال ابن سيرين: «سألت عبيدة عن شىء من القرآن فقال: اتق اللّه و عليك بالسداد فقد ذهب الذين يعلمون فيم انزل القرآن» ..

و ينقل عن هشام بن عروة بن الزبير قوله: «ما سمعت أبى تأوّل آية من كتاب اللّه» ..

كما و يروى عن إبراهيم النخعى قوله: «لقد كان اصحابنا يكرهون تفسير القرآن و يهابونه» ..

و من عبر كل هذه الأقوال و الحكم نفهم بانه ينبغى على كل من يتصدى لتفسير القرآن ان يحيط به من كافة اطرافه فيعرف ناسخه من منسوخه و مطلقه من مقيده و عامه من خاصه و مجمله «۶» من مبيّنه فضلا عن

---

(۵) سترد سيرة حياة هذا التابعى فى نهاية هذا الفصل.

(۶) المجمل هو لفظ تتضح دلالته على معناه لاسباب عديدة منها وضع اللفظ لمعانى متعددة و منها كون اللفظ له حقيقة مع قيام الدليل على عدم إرادتها و له مجازات متعددة متساوية بالنسبة للمعنى الحقيقى و منها كون اللفظ مشتركا معنويا له أفراد متعددة، و المراد فرد منها معين لم يقم الدليل على تعينه ..

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۲۴۱

الإحاطة و العلم بالروايات و الأحاديث و الأقوال المتعلقة به و كذلك أسباب النزول لارتباطها مع المعانى القرآنية و لأن فهم القرآن معتمد على معرفتها حيث ان «الالمام بالتاريخ المفصل لفترة نزوله و الجو الذى اكتنف هذا النزول ضرورى لأن تاريخ النزول و سببه جزء ان لا يمكن تجاهلها فى تكوين المعنى و ايضاح القصد، بل لا يمكن تجاهلها فى تربية الناس بالقرآن و اخذهم بآدابه» «۷».

و قد امكن بعد هذا حصر الخصال و المزايا التى ينبغى ان يتحلى بها المرء ليكون قادرا على خوض بحر التفسير فكانت عند البعض عشرة و عند غيرهم أقل من ذلك و عند الآخرين اكثر من ذلك، و ها نحن أولا نورد بعضها و أهمها فى الأسطر التالية و بتصرف: «۸»

۱- العلم بظاهر التنزيل و اختلاف القراءات ..

۲- المعرفة بلغة العرب و نظامها و طريقة النحو و الأعراب و شرح المفردات و مدلولاتها ..

۳- معرفة احكام الشريعة من العبادات و المعاملات و السنن و اصول الدين المتعلقة بذات اللّه و صفاته و افعاله.

۴- معرفة القصص و الأخبار و أسباب نزول الآيات و الناسخ و المنسوخ ..

۵- حفظ أقوال المفسرين من المتقدمين و المتأخرين ..

۶- جودة القريحة و ذكاء الفهم و قوة الفكر.

۷- تفويض الأمر إلى اللّه تعالى و عدم الإعجاب بالنفس و الغرور بها و التجرد عن الهوى ..

---

(۷) نظرات فى القرآن- محمد الغزالى.

(۸) مقدمتان فى علوم القرآن- آرثر جفرى، التفسير و المفسرون- محمد حسين الذهبى، علوم القرآن- محمد باقر الحكيم.

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۲۴۲

۸- عدم التقيّد المسبق باتجاه أو مذهب معين مخالف للقرآن عند التفسير ..

۹- الزهد فى الدنيا و الرغبة فى الآخرة و مرضاة اللّه ..

۱۰- الاستئناس بالأخبار التى تروى عن أهل البيت- ع- لأن القرآن قد نزل فى بيوتهم و هبط بساحتهم فهم اعرف به من غيرهم و الصق به من سواهم ..

۱۱- اجادة التصريف و الاشتقاق و هى معرفة ابنية الكلمات و كيفية تصريفها و المصدر الذى صدرت عنه الكلمات ..

۱۲- و أخيرا- و ليس آخرا- ينبغى على من يتصدى للتفسير ان يفسّره بعقلية و نظرة إسلامية و داخل المحيط و الفكرة الإسلامية بعيدا عن التعصب أو الانحياز المذهبى أو العرقى أو القطرى ..

هذا و ان كل من يفتقد أو يفتقر إلى شيء مما تقدم بيانه كان السكوت له أولى لأنه ليس مؤهلا لدخول ميدان التفسير، و ان دخله- فرضا- فهو ان لم يصبح حينئذ ضال و هالك فهو غير مثاب أو مأجور على شيء حتى و ان أصاب الحقيقة و بلغ الهدف ..

و قبل ان ندخل في صلب موضوع التفسير نشير إلى ان القرآن الكريم رغم انه نزل بلغة العرب و على اساليب بلاغتهم فلم يكن جميعه في متناول الصحابة كلهم من ناحية فهمه و تلمس حقائقه جملة و تفصيلا ..

فليس كل كتاب مؤلف بلغة قوم يستطيع ابناؤه ان ينهموه و يقرؤه- إلا بقدر ما يدخل في حياتهم الاعتيادية اليومية- فكم كتب ألّفت بالانكليزية و الالمانية و التركية و الفارسية و الاوردية لا يتمكن الانكليز و الالمان و الاتراك و الايرانيون و الهنود انفسهم ان يفهموه جملة و تفصيلا، لأن كل كتاب لا يتطلب معرفة اللغة فقط بل يتطلب استعدادا فكريا معينا

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۲۴۳

و درجة عقلية خاصة تتناسب و درجة رقي الكتاب و منزلته «۹» ..

و تأسيا على ما سبق فالعرب عامة و الصحابة خاصة كانت «لا تستوى في المعرفة بجمع القرآن من الغريب و المتشابه بل ان بعضهم كان يفضل في ذلك على بعض» «۱۰» حيث يغيب عن واحد منهم ما لا يغيب عن الآخر ..

ففي صدر الاسلام كان الامام علي- ع- و عبد اللّه بن عباس ممن فهم القرآن و ادركه، و كان هناك آخرون في عصرهم دونهم في هذا الفهم و العلم بقليل أو كثير «و هؤلاء اتعبهم القرآن الكريم في معرفة و ادراك واقعه و اصبح لكل واحد منهم نصيب في فهم الآية الواحدة على اختلاف مذاهبهم و قدرتهم و نهجهم» «۱۱» علما بان وجوه التفسير و مدى معرفة هؤلاء أو غيرهم له قد قسمت إلى أربعة أقسام كما يرويها حبر الأمة عبد اللّه بن عباس و هذه الأقسام هي: «۱۲» ۱- تفسير لا يعذر أحد بجالته: و هو ما كان ظاهره مطابقا لمعناه و هو ما يلزم الجميع من الشرائع و الفرائض و التعليمات التي تزخر بها آيات كثيرة من القرآن ..

۲- تفسير تعرفه العرب بكلامها: و هو حقائق اللغة و الأدب و موضوع كلامهم ..

۳- تفسير يعلمه العلماء: و هو تأويل المتشابه و فروع الأحكام.

۴- تفسير لا يعلمه إلا اللّه تعالى فلا يجوز لأحد تكلف القول فيه

---

(۹) فجر الإسلام- أحمد أمين.

(۱۰) المسائل و الأجوبة- ابن قتيبة الدينوري.

(۱۱) القرآن و العقلية العربية- نعمة هادي الساعدي.

(۱۲) مجمع البيان في تفسير القرآن- أبي علي الطبرسي.

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۲۴۴

و لا تعاطى معرفته و هو ما يجرى كجرى الغيب كالآيات الخاصة بقيام الساعة و غيرها ..

اما بصدد تفسير القرآن و تطوره منذ صدر الاسلام حتى الآن فنقول أولا ان الغاية و السبب المرجو من التفسير هو مراد اللّه تعالى الحقيقي من كلامه، و هذا المراد قد يخفى على كثير من الناس للأسباب التالية مما يدعو إلى تفسيرها ليتضح معناها الحقيقي و هذه الأسباب هي: «۱۳» ۱- ان من الألفاظ ما يكون محتملا لعدة معان مع ان المطلوب واحد منها و كثيرا ما يترك بيان ذلك اعتمادا على القرائن و التي يخفى معناها على بعض الناس ..

۲- ان القرآن من أعلى درجات البلاغة فيجمع المعاني الكثيرة في الألفاظ القليلة و هذا يحوج الناس لبسط ما أوجز و كشف ما أجمل ..

۳- ان القرآن قد يشتمل على مقاصد غير المعاني الظاهرة فيحتاج ذلك إلى من يبينها ..

۴- ان الآيات قد نزلت لأسباب لا يمكن ان يعرف معناها الصحيح إلا إذا عرف هذا السبب ..

۵- ان فى القرآن من الأحكام ما لا يفهم على الوجه الصحيح إلا بمعرفة السنة، إذ قد يكون مجملا فتفصله أو عاما فتخصصه أو مطلقا فتقيده ..

ثم ان التفسير ثانيا كان قد نشأ مبكرا فى عهد الرسول (ص) فقد كان الرسول نفسه أول رائد و شارح و موضّح للقرآن، لأن القرآن نزل عليه و هو أعرف بصغيره و كبيره و محكمه و متشابهه و خاصه و عامه- ..... الخ من أى شخص آخر ..

---

(۱۳) التعريف بالقرآن و السنة- محمد الزفزاف.

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۲۴۵

و كان الرسول (ص) بدوره يكشف هذه الأمور لجموع المسلمين و يجيبهم عن كل شىء يسألونه سواء تعلق الأمر و السؤال باحكام الآيات المنزلة أم باغراضها و مقاصدها فضلا عن تبيانه للمجمل من القرآن و تمييزه الناسخ من المنسوخ، لأنه (ص) كان قد اعد اعدادا إلهيا لتحمل هذه المهمة، و ان اللّه تعالى بعد ذلك كان دائما و أبدا معه (ص) فى شرحه هذا للقرآن و فى تبيانه لأهداف الآيات النازلة و اسرارها عملا بقوله تعالى وَ أَنْزَلْنا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ ما نُزِّلَ إِلَيْهِمْ «۱۴».

لذا فالسنة النبوية ترجع بمدلولاتها التفصيلية و اصلها إلى القرآن لأن القرآن هو الذى الزم العمل بالسنة و جعل العمل بها عملا بالقرآن و لهذا قيل «الكتاب احوج إلى السنة من السنة إلى الكتاب».

و ما كان أحد من الصحابة فى عهد الرسول (ص) من يجرأ على تفسير شىء من القرآن طالما ان الرسول كان بين ظهرانيهم بل كانوا هم بدورهم يفزعون إليه (ص) عند كل مشكل يحيق بهم أو أمر يغم عليهم أو غموض فى بعض الألفاظ أو تراكيب منه، فيشرح لهم الرسول كلما طلب منه و يجيب على كل استفسار يوجه إليه بسبب «انما يعرف القرآن من خوطب به» كما قال الامام على فى احدى خطبه العصماء ..

و لكن بعد انتقال الرسول الأعظم إلى رحاب الخلد و انقطاع الوحى عن الأرض لم يكن بد بعد ذلك امام ائمة أهل البيت و اقطابهم كالامام على و حبر الأمة و معجزة التفسير بحر العلم و ترجمان القرآن عبد اللّه بن عباس و سواهم من الصحابة الكرام ممن وقف على اسرار القرآن و سمع شرحه و تفصيله من فم الرسول (ص) لم يك بد امام كل هؤلاء جميعا من ان يرووا للناس و يفسروا لهم كل ما كان يغم عليهم من معانى الآيات

---

(۱۴) النحل: ۴۴.

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۲۴۶

الكريمة وفقا لما سمعوه من أقوال الرسول (ص) «۱۵» أو شاهدوه من الظروف و الأسباب التى نزل بها القرآن، أو بتفسير القرآن بالقرآن نفسه لأن القرآن ينطق بعضه ببعض كما قال الامام على- ع- كأن يشرح ما جاء موجزا فى القرآن بما جاء فى موضع آخر مفصلا، و ان يحمل المجمل على المبين ليفسر به و يحمل المطلق على المقيد و العام على الخاص أو وفقا لاجتهاداتهم و استنباطاتهم ان لم يكن هناك شىء مما سلف بيانه ..

و الاجتهادات و الاستنباطات الآنفة لا يمكن ان تصدر أو تخرج إلا ممن كان ذا معرفة بأوضاع اللغة و اساليبها و ان تكون لديه أيضا قوة الفهم و سعة الادراك فضلا عن الاحاطة بعادات العرب: افعالهم و اقوالهم و مجارى احوالهم و احوال أهل الكتاب فى الجزيرة العربية حين نزول القرآن و غير ذلك بسبب ان القرآن الكريم يرتبط و يغلق نزوله و معانيه بكل هذه الأحوال و الأمور ..

و ممن تصدى للتفسير فى صدر الاسلام ممن هضم كل أو بعض الحالات المتقدمة كثيرون و يأتى على رأسهم الامام على- ع- و

منهم عبد اللّه بن عباس و عبد اللّه بن مسعود و أبى بن كعب و زيد بن ثابت

---

(۱۵) اختلف العلماء فى المقدار الذى شرحه الرسول (ص) من القرآن لأصحابه، فبعضهم ذهب إلى القول بان الرسول شرح لأصحابه كل معانى القرآن و أغراضه و الفاظه، و منهم من ذهب إلى أن الرسول (ص) لم يشرح لأصحابه من القرآن إلّا القليل و هو الذى طلب منه شرحه أو تطلب الحال تبيان معناه. لمحات من تاريخ القرآن ۲۴۶ تفسير القرآن

و أرى أن الرأى الوسط بين الاثنين هو المفضل و المقبول، و هو أن الرسول (ص) قد شرح كثيرا من معانى القرآن لأصحابه و لكنه لم يبين لهم كافة معانيه و حقائقه بالنظر للفترة القصيرة نسبيا التى عاشها (ص) و ما حفلت من أحداث و أزمات تخص نشر الدعوة و تعضيد الدولة و مسائل الحرب و السلم فى تفصيل لا مجال لسرده فى هذا الموجز.

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۲۴۷

و انس بن مالك «۱۶» و جابر بن عبد اللّه الانصارى «۱۷» و معاذ بن جبل «۱۸» و أبو موسى الأشعرى و عبد اللّه بن الزبير ... الخ و يختلف هؤلاء فى كثرة تفسيرهم و قلته و فى قدرتهم عليه اختلافا كثيرا و ذلك تبعا لفترة مصاحبتهم للرسول و سماعهم التفسير منه (ص) و لمقدار ما شاهدوه و ادركوه من أسباب التنزيل و لمدى ما فتح اللّه عليهم من طريق الاجتهاد و الفهم، و يبقى الامام على- ع- ثم ابن عباس ثم ابن مسعود فى الطليعة ..

و لم يكن ايراد الامام على أو وجوده فى المقدمة عفوا بل هو اتفاق آراء كافة المؤرخين و الرواة و التى اجمعت على ان الامام- ع- كان صدر المفسرين و المؤيد فيهم و أكثر ما روى عنه من الخلفاء الراشدين و أصحاب رسول اللّه (ص)، و ان الرواية عن غيره فنزرة و قليلة بالقياس اليه ..

و لو اردنا هنا ان نكشف علة ذلك فسنرى ان ذلك يعود إلى ان الامام كان الصق الناس برسول اللّه (ص) بل حسنة من حسناته، و ان

---

(۱۶) أنس بن مالك هو صحابى فاضل صاحب الرسول و خادمه و قد روى عنه مئات الأحاديث، أسلم صغيرا و خدم النبى (ص) إلى أن لبّى نداء ربه، ثم رحل إلى الشام و منها إلى البصرة و فى المدينة الأخيرة قبض و دفن فيها و كان ذلك فى عام ۹۳ هجرية ..

(۱۷) جابر بن عبد اللّه الأنصارى صحابى جليل و هو من أواخر من بقى من أصحاب رسول اللّه (ص) و قد كف بصره و أدرك الإمام الخامس محمد بن على الباقر و أبلغه سلام جده الرسول (ص) له.

شهد العقبة الثانية مع السبعين من الأنصار الذين بايعوا الرسول على نصرته و نشر دينه كما و شهد الغزوات كلها مع النبى عدا بدر و أحد، قدم مصر و الشام فكان الناس يأخذون عنه العلم، و فى مسجد رسول اللّه كانت له حلقة يجتمع عليه الناس فيها و ينتفعون بعلمه و تقواه توفى بالمدينة عام ۷۴ هجرية.

(۱۸) معاذ بن جبل صحابى فاضل و هو ممن جمع القرآن فى عهد رسول اللّه و قد اسلّم و هو فتى و آخى النبى (ص) بينه و بين ابن عمه جعفر بن أبى طالب فى المدينة، و شهد كثيرا من الوقائع و المشاهد مع النبى، و قد بعثه الرسول لأهل اليمن قاضيا، توفى فى الأردن عام ۱۸ هجرية.

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۲۴۸

الرسول لم يكن ليخفى عليه شىء مما كان ينزل عليه لأنه منه بمنزلة هارون من موسى، و انه أيضا كان موضع سره و حامل اختامه و وارث علمه و اقرب الخلق اليه و أولهم اسلاما و اقدمهم بدين اللّه، اضافة إلى «تفرغه من مهام الخلافة مدة طويلة حتى نهاية خلافة عثمان و تأخر وفاته- ع- إلى زمن كثرت فيه حاجة الناس إلى من يفسر لهم ما خفى عنهم من معانى القرآن» «۱۹».

و قد تجلى مصداق كل ذلك فى اقوال و خطب الامام نفسه فنراه يقول حول القرآن: «انى لأعرف ناسخه من منسوخه و محكمه من

متشابهه و فصله من فصاله و حروفه من معانيه و اللّه ما من حرف نزل على محمد (ص) إلا انى اعرف فيم نزل و فى أى يوم و فى أى موضوع و لو اعلم مكان أحد أعلم بكتاب اللّه منى تناله المطايا لأتيته» ..

كما و للامام- ع- كلمة أخرى «۲۰» فى نفس المعنى جاء فى بعضها «علينا نزل القرآن قبل الناس و لنا فسر قبل ان يفسر فى الناس، فنحن نعلم حلاله من حرامه و ناسخه من منسوخه و سفريّه و حضريّه و فى أى ليلة نزلت و فيمن نزلت» ..

هذا و قد تلقى أقوال و شروح أهل البيت- ع- و الصحابة نفر كثير من تلامذتهم و هم كرام التابعين «۲۱» من الامصار الاسلامية و من ابرزهم

---

(۱۹) التفسير و المفسرون- محمد حسين الذهبى.

(۲۰) لم نسمع عبر التاريخ أو نقرأ فى مكان آخر أن هناك من قال عن القرآن و أحكامه و علومه ما قاله الإمام بل إن الإمام زاد على ذلك بقوله عند اقتراب أجله «سلونى قبل أن تفقدونى» و هذا شىء لم نجده فى كل عهد سبق الإسلام أو تلاه، و طبيعى أن هذا يدل بوضوح على أن شخصية الإمام تختلف عن غيرها، حيث صاغها اللّه تعالى على شكل ليجعل منها الوريث الشرعى لعلوم الرسالة و آدابها .. الخ ..

لذا جاءت الحكمة أو الكلمة التى تفيد «استغناءه عن الكل و احتياج الكل إليه دليل على أنه الكل فى الكل».

(۲۱) لقد اختلف العلماء فى تعريف التابعى، فقال بعضهم أنه من لقى الصحابى

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۲۴۹

سعيد بن جبير «۲۲» و مجاهد و عكرمة و الحسن البصرى و طاوس اليمانى و يحيى بن يعمر و الضحاك و عطاء بن أبى رباح و عطاء بن أبى مسلم و أبى العالية و محمد بن كعب القرطبى و قتادة و عطية و زيد بن اسلم .....

الخ.

و فى عصر هؤلاء التابعين نما التفسير نموا مضطردا و واسعا، و لكنهم (التابعين) كانوا يقتصرون فى تفسير الآية على «توضيح المعنى اللغوى الذى فهموه من الآية بأخصر لفظ» «۲۳» مثل قولهم «غير متجانف لإثم» أى غير متعرض لمعصية و قولهم «الودق» أى المطر و «لا خلاق» أى لا نصيب و «قاسمهم» أى اقسم لهم و «الموقوذة» أى المضروبة حتى الموت و «حين البأس» أى القتال و «الانفال» أى غنائم الحرب و «العاملين عليها» أى جباتها و «لا وزر» أى لا ملجأ و «قسورة» أى الاسد و «الكلالة» أى المتوفى الذى ليس له من يرثه من أب أو ابن و «العهن» أى الصوف و «للوطيس» أى التنور و «الوهن» أى الضعف ..

و من توسع من التابعين و زاد فى التفسير فإنه «لا يتجاوز فى ذلك

و ان لم يصحبه فمجرد الرؤية على هذا الرأى- تجعل الشخص تابعيا ..

أما بعض العلماء فلا يكتفى فى تعريف التابعى بمجرد الرؤية للصحابى بل لا بد أن يكون قد صحبه و تلقى منه شيئا ..

(۲۲) سعيد بن جبير تابعى جليل حيث يروى عن سفيان الثورى قوله «خذوا التفسير عن أربعة: سعيد بن جبير و مجاهد و عكرمة و الضحاك» و لسعيد كتاب فى التفسير هو أول كتاب ظهر فى هذا الموضوع ..

و قد قتله الحجاج بن يوسف فى واسط عام ۶۴ ه و قبره يقع الآن فى قضاء الحى و هو بناء كبير و يرتاده الزوار. و قد كتبه الحجاج حين أراد قتله حيث قال له من أنت قال: أنا سعيد بن جبير، فقال الحجاج له أنت شقى بن كسير، و هكذا هى أرواح عباد اللّه يقتلها أعداء اللّه من دون وزر أو جريرة إلّا مناهضة الظلم ..

(۲۳) فجر الإسلام- أحمد أمين.

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۲۵۰

عن نطاق الحديث أو بما نقل عن الصحابة الذين شاهدوا الوحى و وعوا عن الرسول (ص) شيئا من تفسيره فهم بذلك يقفون فى استنباطاتهم التشريعية و تفسيرهم عند المأثور و لا يتجاوزونه إلا لما يتصل به» «۲۴».

فنشأت لذلك و فى كل بلد اسلامى طبقة من المفسّرين مثل مدن مكة و المدينة و الكوفة و البصرة و الشام و اليمن يشرحون للناس معنى الآيات الكريمة و أسباب نزولها و اغراضها ..

علما بأن أول كتاب ظهر فى التفسير كان فى هذا الوقت و هو للتابعى سعيد بن جبير المار ذكره .. هذا و يمكن هنا المقارنة بين التفسير فى عهد الصحابة و عهد التابعين فى الجدول التالى: «۲۵» التفسير فى عهد الصحابة/ التفسير فى عهد التابعين ۱- لم يفسر القرآن جميعه و إنما فسر ما/ ۱- ظهرت تفاسير شاملة لغالبية غمض منه./ آيات القرآن.

۲- قلة الاختلاف فى فهم معانى/ ۲- زاد الخلاف نسبيا فى فهم معانى القرآن./ القرآن عن العهد السابق.

۳- الاكتفاء بالمعانى الإجمالية للآيات./ ۳- ظهر تفسير لكل آية و لكل لفظ.

۴- زاد الخلاف المذهبى.

۴- قلة الخلاف المذهبى حول الآيات.

۵- لم يدوّن التفسير.

۵- دوّن التفسير.

۶- استقل التفسير فى كتب مستقلة ۶- اتخذ التفسير شكل الحديث./ و ان ظل شكل رواية الحديث.

۷- قلة الرجوع إلى أهل الكتاب ../ ۷- كثر الرجوع إلى أهل الكتاب الكتاب ../ و دخول الإسرائيليات فيه.

---

(۲۴) نشأت التفسير فى الكتب المقدسة و القرآن- الدكتور السيد أحمد خليل ..

(۲۵) تاريخ القرآن و التفسير- الدكتور عبد اللّه محمود شحاتة.

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۲۵۱

هذا و عن هؤلاء التابعين المنتشرين فى طول الامصار الاسلامية و عرضها أخذ تابعى التابعين كربيع بن انس و عبد الرحمن بن زيد و أبو صالح الكلبى و سفيان بن عيينة و وكيع بن الجراح و شعبة بن الحجاج و عيد بن حميد و أبان بن تغلب و سفيان الثورى .... و غيرهم فجمعوا هؤلاء أقوال من تقدمهم و اضافوا اليها، فضلا عن بدأهم فى تصنيف التفاسير و توحيدها ...

و هكذا كانت كل طبقة تروى عمن سبقها و تضيف إلى ذلك ما تجتهد فيه و تستنبطه و ما يعرض لها «متأثرة فى ذلك بالحركة العلمية فى عصرهم و ما استجد من آراء و نظريات علمية و مذاهب دينية حتى لنستطيع اذا ما لاحظنا تفسيرا ألّف فى عصر من العصور ان تتبين فيه مقدار الحركة العلمية و أى المذاهب كان سائدا و شائعا» «۲۶» فيه ..

هذا و كان يتصل افراد كل طبقة بكثير من اليهود و المجوس و النصارى أو ممن اسلم منهم، و كانت لدى هؤلاء معلومات وافية عن شروح التوراة و الانجيل، فلم ير هؤلاء الافراد بأسا من ان يوردوها عند شرح الآيات المتعلقة بها، و كانت هذه سببا فى وسعة التفاسير و ضخامتها «۲۷» ..

و على هذا السبيل تكوّنت لدى العلماء و أرباب الفكر تفاسير عديدة و مختلفة و التى جمعت و وحّدت فى مؤلفات و مجلدات خاصة سنشير إلى اهمها فى الفصل القادم ..

اما بصدد مفردات الفاظ القرآن و بيان معناها فى العربية و تقريبها إلى آذان الكافة فقد فسّر قسم كبير منها على النحو المتقدم ذكره، عدا بقية منها لم يتناوله الاقدمون بالشرح و البيان و ذلك بسبب ان القرآن

(۲۶) فجر الإسلام- أحمد أمين.

(۲۷) ضحى الإسلام- أحمد أمين.

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۲۵۲

الكريم كان «قد نزل على أفصح لغات العرب و اكثرها تداولا و على اساليب بلاغتهم فلم تكن تخفى كثير من معانى مفرداته و الفاظه على العرب إلا نادرا «۲۸» و ان خفيت على قسم منهم قل أو كثر ..

لذا لم يحاول الاصحاب أو التابعون تفسيرها لأنها واضحة و جلية لهم و لغيرهم من جهة و لعدم مراجعة أحد من المسلمين لهم ليسأل أو يستفسر عن معناها من الجهة الأخرى ..

و لكن لما دخلت فى حظيرة الاسلام امم عديدة غير عربية و اختلط هؤلاء مع العرب و تزاوجوا معهم، تطوّرت لذلك اللغة العربية بسبب هذا الاختلاط الجديد أولا و لمرور الزمان على صدر الاسلام ثانيا مما أدى إلى أن تصبح هذه الألفاظ و التى كانت متداولة و مفهومة و مأنوسة فى عصر النزول تصبح غامضة و غريبة لا فقط عند غير العرب من المسلمين بل عند قسم كبير من العرب أنفسهم ..

و هكذا أخذ مرور الزمن يفعل فعله فى الألفاظ و الكلمات حتى ان الصفوة من العرب باتت تلاقى منها ما يلاقيه السواد منهم ..

و كل هذه الأسباب و الأحوال الزمت و دعت جماعة من رجالات الأدب و اللغة إلى التفرغ لدراسة اللغة و الأدب القديم و الحديث بما يضم من شعر و نثر جاهلى و اسلامى، لأن غريب اللغة يلتمس فى الشعر و لا سيما الجاهلى منه حيث ان الشعر هو ديوان العرب «۲۹» و كل ذلك هو من

(۲۸) مقدمة ابن خلدون- ابن خلدون، آلاء الرحمن فى تفسير القرآن- الشيخ محمد جواد البلاغى.

(۲۹) ينقل هنا عن ابن عباس قوله: الشعر ديوان العرب. فإذا خفى علينا الحرف من القرآن الذى أنزله بلغة العرب رجعنا إلى ديوانها فالتمسنا معرفة ذلك منه، و كان يستشهد بأبيات شعرية فى فهم معانى الآيات حيث استشهد فى أكثر من مائتى مورد من الآيات .. و قد سئل مرة عن قول اللّه تعالى «عَنِ الْيَمِينِ وَ عَنِ الشِّمالِ عِزِينَ». قال: عزين الخلق الرقاق و قد قال عبيد بن الأبرص:

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۲۵۳

أجل استخراج معانى الكلمات و كشف مفرداتها و مشتقاتها ليتاح لهم بذلك بيان و شرح الألفاظ و الجمل الغامضة فى القرآن، فضلا عن ضبط علوم القرآن و وضع الأسس و السبل لصيانته و ضبطه من التحريف و التغيير، و كل هذا تم بمنتهى العناية و التتبع كى لا يغم الحال أو يقع فى الخطأ ..

و من أجل هذا فقد ضربوا أكباد الابل البادية للاستفسار عن لفظ أو تعبير أو جملة ..

ان الدراسات الأدبية و اللغوية هذه قد التقت مع اخواتها من الدراسات الفقهية و ما روى عن رسول اللّه (ص) و أهل بيته و أصحابه- على الشكل الذى اشرنا اليه من قبل- التقت كل هذه لتكوّن التفاسير التى نجدها الآن فى أيدى المسلمين ..

اما بقدر تعلق الأمر بترجمة القرآن الكريم فنشير إلى ان الترجمة تقسم إلى قسمين:

۱- الحرفية ۲- التفسيرية فالترجمة الحرفية معناها «نقل الكلمات واحدة واحدة بدون النظر إلى المعنى» «۳۰» أى تستبدل كل لفظة بما يقابلها و يشابهها فى اللغة الأخرى.

فجاءوا يهرعون إليه حتى يكونوا حول منبره عزينا كما و يؤثر عن عمر بن الخطاب أو عن غيره قوله: عليكم باشعار الجاهلية فإن فيها تفسير كتابكم ..

و قال الجاحظ بهذا الصدد: «ان من يجهل أمور الجاهلية لا يستطيع أن يفهم الكتاب و السنة».

و ينقل عن الطبرى بهذا الشأن قوله: «إذا تعاجم شيء من القرآن فانظروا فى الشعر فإن الشعر عربى».

(۳۰) ترجمة القرآن- عبد الوكيل الدروبى.

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۲۵۴

و قد اتفقت أقوال كافة علماء المسلمين و رجالاتهم على خطر و عدم شرعية ترجمة القرآن حرفيا و الذى هو روح و نور لا يترجمان، و كذلك عدم كتابته بغير العربية خوفا من التغيير و التبديل و لأنه يفقد بالترجمة الحرفية تصويره الغنى و جماله و اعجازه البلاغى و وقعه فى النفوس و ان ادت معانيه كاملة «۳۱».

اضافة إلى انه لا توجد فى اللغات مفردات تقابل بعضها بعضا و ان وجد فانه تختلف طريقة ترتيب الكلام من لغة إلى أخرى، و ان الألفاظ فى الترجمة لا تكون متساوية المعنى من كل وجه فضلا عن التراكيب ..

اما الترجمة التفسيرية للمعانى و الاحكام- و التى تنقل معانى الكلام المترجم إلى اللغة الثانية و غير متقيدة بالالفاظ- التى يدل عليها القرآن فليس هناك ادنى ضرر أو حرمة منها لأنها ترجمة لتفسير القرآن- على ان يكون المترجم ضليعا بالعربية و اللغة التى يترجم اليها أيضا ..

و ما اكثر ما نجد من هذا النوع اليوم فى المصاحف التى تطبع فى الأقطار الاسلامية غير العربية، حيث نجد الترجمة التفسيرية باللغات

---

(۳۱) و كمثل بسيط على فقدان القرآن لاعجازه و جماله عند ترجمته إلى لغة أخرى نورد أدناه أدق و أشهر ترجمة للقرآن الكريم باللغة الفرنسية فقد ترجمت هذه الآية من سورة البقرة و هى «احل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم هن لباس لكم و أنتم لباس لهن» فكانت الترجمة هكذا «... هن بنطلونات لكم و أنتم بنطلونات لهن» فتأمل الفارق الكبير بين الآية الكريمة و ترجمتها ..

كما و نشير إلى أن غالبية فقهاء و علماء المسلمين تمنع القراءة فى الصلاة بغير اللغة العربية سواء كان المصلى قادرا على العربية أم عاجزا لأن ترجمة القرآن ليست قرآنا ..

بينما يجيز البعض القليل من هؤلاء الصلاة باللغة الفارسية أو غيرها لأنهم يرون أن القرآن اسم للمعانى التى تدل عليها الألفاظ العربية و المعانى و لا تختلف بإختلاف الألفاظ و اللغات ..

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۲۵۵

التركية أو الاوردية أو الفارسية أو الكجراتية تتخلل سطور تلك المصاحف ..

هذا و فى حالة وقوع الترجمة فى القرآن- جدلا- سواء كانت حرفية أم لا فهذه الترجمة لا تسمى قرآنا بالمرة بل تدعى تفسيرا و له حكم التفسير و اثره و تتبع فيه المصلحة الشرعية المقدرة بقدرها ..

و هناك من يذهب إلى ان الترجمة الحرفية ليست تفسيرا للقرآن لأنها لا تتعدى عن ابدال لفظ بلفظ آخر يقوم مقامه فى تأدية بعض معناه و ليس فيه شيء من الكشف أو البيان «۳۲» ..

---

(۳۲) التفسير و المفسرون- محمد حسين الذهبى.

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۲۵۷

ضوء على بعض التفاسير المتداولة

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۲۵۹

قبل ان نتولى شرح أو الاشارة إلى بعض التفاسير المتداولة فى أيدى المسلمين و مؤلفيها نود الاشارة إلى ان التفاسير- كل التفاسير- يمكن ارجاعها إلى قسمين هما:

۱- التفسير بالمأثور: و يدعوه البعض بالتفسير بالرواية و يعتمد هذا على صحيح المنقول و يشمل تفسير القرآن أو بما ورد عن الرسول (ص) و ما نقل عن أهل البيت و الصحابة و التابعين- لدى البعض- و ذلك فيما يتعلق من بيان أو توضيح لمراد اللّه تعالى فى آياته الكريمة ..

۲- التفسير بالرأى: و يدعوه البعض بالتفسير بالدراية و يعتمد هذا على الفهم الخاص و الاستنباط بالرأى المجرد، و هو تفسير القرآن الكريم بالاجتهاد بعد الإلمام بكلام العرب كالنحو و الصرف و البلاغة و ان يكون متمكنا من اصول الدين و من مبادئ الفقه و اصوله، فضلا عن الادراك الكامل لأسباب النزول و الناسخ و المنسوخ .... الخ من الأمور التى يحتاجها المفسر عند الخوض فى بحر التفسير .. و لكل مفسر طريقته فى الكتابة فهو إما ان يأخذ بالمأثور (الأثر) أو بالرأى أو بكلامهما، و قد سبق ان قلنا فى الفصل السابق تباين نظرة المفسرين إلى الرأى فمنهم من يعتمد عليه و منهم من لا يجوزه و لكل واحد منهم حججه و آراؤه ازاء ذلك ..

و نشير بعد هذا إلى ان المؤلفات المصنّفة فى التفسير من حيث السعة و الحجم هى على أنواع ثلاثة:

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۲۶۰

۱- الوجيز: كتفسير الجلالين و القمى و الصافى و شبّر ..

۲- الوسيط: كتفسير الكشاف و البيضاوى و النسفى و مجمع البيان ..

۳- البسيط: كتفسير الرازى و الطبرى و الآلوسى و أبى السعود.

و سنتناول من الأسطر التالية إلى التفاسير المتداولة فى العالم و هويات مؤلفيها «۱» و ما اذا كانت من التفسير بالمأثور أو الرأى، و لم نشر

---

(۱) من الواضح إلى أنه رغم أن العرب هم حملة مشعل الإسلام و دعاة رسالة السماء و هم الذين تولوا فتح الامصار و تحرير الأمم و الشعوب المختلفة من أجل نشر معالم هذه الرسالة و بث مفاهيمها و قواعدها و أسسها، حتى أمكن القول- بحق- أن العرب هم مادة الإسلام و أن نجاحهم هو نجاح للإسلام و انتكاستهم هو انتكاس له ..

رغم كل هذه الحقائق و الوقائع نجد أن حملة هذا الدين و شراح أحكامه و جامعى آثاره و أخباره بعيد الصدر الأول للإسلام مباشرة هم من المسلمين الذين يرجعون إلى عروق غير عربية حيث نجد فيهم الفارسى و الأفغانى و الكردى و التركى و الهندى و البلوجى و التبتى و البربرى ..

و ينقل عن النبى (ص) فى هذا المعنى قوله: «لو كان العلم فى الثريا لناله رجال من فارس».

كما و يؤيد هذه الحقيقة ابن خلدون فى مقدمته حيث يصرّح بقوله: «إن حملة العلم فى الملة الإسلامية أكثرهم من العجم» ..

كما و ينسب للبكرى قوله: «أكثر من نصف محدثى الدنيا من أهل خراسان و منهم معظم مؤلفى الصحاح الستة المعتمدة فى الحديث» ..

و إن الاستاذ الكبير على الطنطاوى يقول فى مقدمته على كتاب «المسلمون فى الهند» بالحرف «قد يشتغل غير العربى بعلوم العربية حتى يكون إماما فيها، فى اللغة و النحو و الصرف و الاشتقاق و فى سعة الرواية .. بل أن أكثر علماء العربية كانوا- فى الواقع- من غير العرب» ..

و يقال أن هشام بن عبد الملك و هو من أشد الأمويين تعصبا لم يتمالك نفسه حين قال: «عجبا لهؤلاء الأعاجم كان الملك فيهم فلم يحتاجوا إلينا فلما صار الملك فينا احتجنا إليهم حتى فى تعلم لغتنا منهم» ..

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۲۶۱

إلى تفاسير كثيرة مخطوطة كتفسير الماوردى و البرهان لعلى بن إبراهيم الحوفى و «نظم الدرر فى تناسب الآيات و السّور» لبرهان الدين بن عمر البقاعى و بحر العلوم للسمرقندى و التفسير الكبير لمقاتل بن سليمان ..... الخ أما التفاسير المتداولة فهى:

و يكفى أن نشير هنا إلى أن جامعى الصحاح المعتمدة عند السنة و الشيعة و هى بالنسبة للأولى:

۱- صحيح البخارى (محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الجعفى البخارى).

۲- صحيح مسلم (أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيرى النيشابورى).

۳- صحيح الترمذى (محمد بن عيسى بن سورة الترمذى).

۴- صحيح النسائى (أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن على بن بحر النسائى).

۵- صحيح ابن ماجة (ابن ماجة القزوينى).

۶- صحيح أبى داود (سليمان بن الأشعث بن إسحاق السجستانى).

و بالنسبة للثانية هى:

۱- الكافى (محمد بن يعقوب الكلينى).

۲- التهذيب (محمد بن الحسن الطوسى).

۳- الاستبصار (محمد بن الحسن الطوسى).

۴- من لا يحضره الفقيه (محمد بن على بن بابويه القمى).

إن جامعى هذه الصحاح كلها- و التى تضم كافة أخبار و سيرة النبى (ص) و أصحابه و التابعين و أئمة أهل البيت ... الخ- هم من دونما استناد من المسلمين و من عروق غير عربية، هذا عدا غيرهم من المؤرخين و كتاب السير و التواريخ و التفاسير و العلوم الطبية و الأدبية مثل الطبرى، الزمخشرى، الطبرسى، ابن سينا، الرازى، البيرونى، القمى، أبو إسحاق الشيرازى، الشهرستانى، الفيروزآبادى، الفارابى، ابو الفرج الأصفهانى، أبو نعيم الأصبهانى، الكسائى، التفتازانى، أبو حامد الغزالى، السجستانى، الجرجانى، الفارسى، اليعقوبى، العياشى، البيضاوى، المجلسى، البيهقى، الدينورى، سيبويه، ابن شهرآشوب، النيشابورى، الماوردى، و الكرمانى، الخوارزمى، القندوزى، النوبختى، الطبرانى، البلخى، ابن المقفع، الإربلى، الجهشيارى، الاصطخرى، نافع، عطاء، مجاهد،

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۲۶۲

۱- تفسير «مجمع البيان فى تفسير القرآن» لأبى على الفضل بن الحسن ابن الفضل الطبرسى المولود عام ۴۶۲ هجرية و المتوفى فى طوس فى ليلة النحر عام ۵۴۸ ه و يقع قبره- الذى شيد حديثا- عند مدخل شارع الطبرسى من الجهة اليسرى فى مدينة مشهد «۲» بشمال شرق إيران ..

طاوس و قتادة .... الخ.

و أرى أن مرد ذلك- كما يراه البعض أيضا- هو أن العرب فى صدر الإسلام كانوا يعتبرون أنفسهم أنهم أهل السلطة و السلطان و انهم المؤهلون- وحدهم و بجدارة- لقيادة الشعوب المحررة و توجيه زمام القوميات التى دخلت فى الإسلام، و انهم عند ما حرروا الأقطار و الأمصار غير العربية من نير الظلم و التعسف اتجهوا صوب تثبيت سلطانهم السياسى و الادارى دون فسح المجال لغيرهم من ابناء القوميات الأخرى لمشاركتهم فى تحمل مسئولية الادارية، و دون الاتجاه إلى سبيل آخر عدا الادارة و الحكم إلّا نادرا ..

و حين شعرت ابناء القوميات غير العربية التى دخلت فى دين اللّه أفواجا أن أبواب الحكم و السلطان موصدة بوجوههم بعد أن

احتكرها العرب رغم كفاءة و لياقة الكثيرين منهم لسنمها، أرتأوا- ابناء القوميات غير العربية- الانصراف و التوجه شطر طريق آخر قد يضاهى- بنظرهم- الحكم و السلطان فى المنزلة و هو طريق بعث و تدوين و متابعة العلوم الدينية و التاريخية و الأدبية و الفلسفية حتى بزوا فيها و أصبحوا أعلاما و أئمة و قادة يشار لهم بالبنان كهؤلاء الذين وردت اسماؤهم قبل قليل ..

و ليس معنى هذا إن الكافة من غير العرب آثرت الانصراف لنيل العلوم الدينية و الأدبية للسبب المتقدم فقط، بل ربما وجدت هناك أسباب أخرى كالقربة إلى اللّه تعالى أو تيسّر الوسط و المحيط أو بروز قابليات خاصة أو غير ذلك سهلت لهم ولوج هذا الميدان ..

كما و ليس معنى هذا أن العرب لم يلجئوا ميدان العلوم الدينية و التاريخية، بل برز منهم علماء و قادة لهم مكانتهم المميزة فى عالم الدين و الأدب و الفن و إن كانوا قلة بالنسبة لإخوتهم من أبناء القوميات الأخرى ..

(۲) تقع مدينة مشهد على بعد ۱۰۰ كم إلى الشرق من طهران و تضم قبر الإمام الثامن على بن موسى الرضا- ع- المولود بالمدينة عام ۱۴۸ ه و المتوفى عام ۲۰۳ ه ..

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۲۶۳

و هذا التفسير لم يقتصر على التفسير الفقهى فقط بل عمد مؤلفه إلى الكلمات اللغوية الغامضة فجلاها و إلى القراءات المختلفة فذكر حجة كل واحد منهم، و إذا ما اعترضته آية أو أكثر تضم حدثا تاريخيا فانه يسرد القصة بكاملها ..

و قد نقل المأثور عن ائمة أهل البيت و غيرهم من غير تعرض لنقد من تصحيح أو تضعيف بل ترك ذلك لحكم القراء.

و اثبت الطبرسى فى تفسيره عقائد الامامية و شرائعها رغم انه غير مغال فى ذلك و بعيد عن التعصب كما أنه كان متبحرا فى عدد كبير من العلوم و المعارف حيث لم يتكلم فى موضوع إلا و اجاده اجادة كاملة.

۲- «مفاتيح الغيب» و المشتهر بالتفسير الكبير لفخر الدين الرازى و هو ابو عبد اللّه محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن على الطبرستانى الرازى ..

و يقع هذا التفسير فى (۸) أجزاء، و قد اثرت العلوم العقلية على الرازى فى تفسيره فمزجه بخليط من المنطق و الطب و الفلسفة و الحكمة و بذلك خرج به عن معانى القرآن و روح آياته حتى قال البعض عنه «فيه كل شىء وصل اليه المسلمون إلا شيئا واحدا هو شرح روح القرآن» «۳».

و يقال ان فخر الدين الرازى مات قبل ان يتم التفسير فاكمله من

و قد عهد الخليفة المأمون بولاية العهد إلى الإمام الرضا، إلّا أن الإمام رفضها، فاستعمل الشدة فى ذلك إلى أن قبلها مكرها إلّا أنه- ع- توفى فى حياة المأمون فلم ينتفع بولاية العهد، و للشاعر أبى نؤاس الحسن بن هانى المولود عام ۱۴۱ و المتوفى عام ۱۹۹ ه قصيدة أو أكثر فى مدح الإمام- ع- منها القصيدة التى مطلعها:

قيل لى أنت أوحد الناس طرافى المعانى و الكلام النبيه

فلما ذا تركت مدح ابن موسىو الخصال التى تجمعن فيه

قلت لا أستطيع مدح إمامكان جبريل خادما لأبيه

(۳) ضحى الإسلام- أحمد أمين.

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۲۶۴

بعده تلميذه شمس الدين أحمد بن خليل الحوبى قاضى قضاة دمشق و المتوفى فى عام ۶۳۷ هجرية.

و التفسير هذا يعتمد على الرأى بالدرجة الأولى ..

ولد الرازى- و الذى كان فريد عصره و الامام فى التفسير و علوم الكلام و العقل و اللغة فى مدينة (رى) قرب طهران فى عام ۵۴۳

هجرية و توفى مسموما على يد الفرقة الكرامية فى يوم عيد الفطر من عام ۶۰۶ ه فى مدينة هرات غرب افغانستان ..

و قد زرت قبره و الذى يقع فى قلب مقبرة البلدة و التى تقع فى غرب البلدة- هرات- و قد شيّد على قبره المتواضع نصب تذكارى على شكل أيوان هلالى من الآجر و الجص حيث دوّن على واجهته و بالفارسية سيرة حياة الرازى و آثاره التى تركها من بعده .... الخ.

۳- التفسير الكبير المسمى «جامع البيان فى تفسير القرآن» لأبى جعفر محمد بن جرير الطبرى و يقع فى ثلاثين جزءا من الحجم الكبير و هو تفسير ضخم يعتمد على المأثور غالبا و هو المرجع للمفسرين بالأثر «و قد جمع فيه كثيرا من مجموعات التفاسير التى سبقته و ما فيها و فاضل بين رواياتها و اختار امثلها» «۴» ..

و نجد فى هذا التفسير أيضا آثار الكوفيين و البصريين فى الصرف و النحو و تطبيقها على القرآن، حتى ان النورى فى تهذيبه قال عنه «اجمعت الأمة على انه لم يصنف فى التفسير مثل تفسير الطبرى».

و قد كان هذا التفسير حتى عهد قريب يكاد يعتبر مفقودا إلا أنه وجد فى حيازة أمير حائل السابق الأمير حمود بن الأمير عبد الرشيد نسخة مخطوطة كاملة منه، و قد طبع عليها التفسير المتداول حاليا فى الأسواق و ذلك فى مطبعة بولاق بالقاهرة عام ۱۳۳۰ هجرية المصادف لعام ۱۹۱۲ م، و قد اعيد طبعة عدة مرات بعد ذلك ..

---

(۴) ضحى الإسلام- أحمد أمين.

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۲۶۵

و الطبرى هو نفسه صاحب التاريخ المشهور، لذا عد «أبو التفسير و أبو التاريخ» و له مؤلفات أخرى لم يصل منها إلا تفسيره و تاريخه ..

ولد الطبرى- و كان علامة زمانه فى التاريخ و الحديث- فى مدينة آمل بطبرستان (شمال ايران) فى عام ۲۲۴ هجرية و توفى فى بغداد عام ۳۰۳ أو ۳۱۰ هجرية «۵» ..

۴- تفسير «التبيان فى تفسير القرآن» للشيخ الكبير و مرجع الطائفة أبى جعفر محمد بن الحسن الطوسى، لقد تتلمذ الطوسى لدى الشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان و من بعده تتلمذ لدى السيد المرتضى علم الهدى، و عند وفاة الأخير انتقلت اليه الزعامة الدينية فى بغداد، و فى عام ۴۴۸ ه و بعد حوادث بغداد المشهورة انتقل مع تلاميذه إلى النجف الأشرف ليقيم فيها الحوزة العلمية المباركة و التى لا زالت قائمة حية حتى الآن و هى الآن برعاية المرجع الأعلى السيد أبو القاسم الخوئى حيث انتقلت اليه بعد وفاة الامام الحكيم فى ۶/ ۶/ ۱۹۷۰ ..

و تفسير التبيان يعتمد على المأثور (الأثر) دون الرأى حيث ورد فيه بالنص: «ان تفسير القرآن لا يجوز إلا بالأثر الصحيح و عن النبى (ص) و عن الأئمة (ع) الذين قولهم حجة كقول النبى (ص) و ان القول فيه بالرأى لا يجوز، و روى العامة ذلك عن النبى (ص) انه قال: «من نسر القرآن و اصاب الحق فقد اخطأ، و كره جماعة من التابعين و فقهاء المدينة القول فى القرآن بالرأى كسعيد بن المسيب و نافع و محمد بن القاسم بن عبد اللّه و غيرهم» ..

---

(۵) دفن الطبرى بعد وفاته فى داره ليلا، بسبب ان أنصار أحمد بن حنبل قد اجتمعت أمام داره و منعت دفنه نهارا لأن الطبرى جمع كتابا ذكر فيه اختلاف الفقهاء و لم يذكر فيه أحمد بن حنبل فسئل عن ذلك فقال: لم يكن أحمد بن حنبل فقيها و إنما كان محدثا (الكامل- ابن الاثير).

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۲۶۶

ولد الطوسى فى شهر رمضان عام ۳۸۵ هجرية و توفى فى محرم الحرام سنة ۴۶۰ هجرية و قبره الذى شيد حديثا يقع عند مدخل شارع

الطوسى من الجهة اليسرى بمدينة النجف الأشرف بالعراق.

و قد ارخ تاريخ وفاته بهذه الأبيات

اودى بشهر محرم فاضافهحزنا بفاجع رزئه المتجدد

بك شيخ طائفة الدعاة إلى الهدىو مجمع الاحكام بعد تبدد

و بكى الشرع الشريف مؤرخا«ابكى الهدى و الدين فقد محمد» «۶» [۴۶۰ ه] ۵- «تفسير الكشاف» و اسمه الكامل «الكشاف عن حقائق التنزيل و عيون الأقاويل فى وجوه التأويل» لأبى القاسم محمود بن عمر الخوارزمى الزمخشرى المعتزلى و الملقب بجار اللّه.

و هذا التفسير هو من خير التفاسير التى يرجع اليها من ناحية خصائص الاسلوب القرآنى و بلاغته حيث ان معظم التفاسير التى جاءت من بعده اخذت منه و اعتمدت عليه من هذه الناحية .. و هو يقع فى (۴) أجزاء و يعتمد على الرأى ..

لقد تحدث الزمخشرى عن تفسيره بهذين البيتين من الشعر اعجابا و اعتزازا به و هما:

---

(۶) إن لكل حرف فى اللغة العربية رقم خاص به، و يقوم هذا الحساب على الحروف الابجدية و عليه تبنى التواريخ الشعرية و مواقع البروج، و إتماما للفائدة ندرج فيما يلى الحروف الابجدية و أرقامها:

أ ۱، ب ۲، ج ۳، د ۴، ه ۵، و ۶، ز ۷، ح ۸، ط ۹، ى ۱۰، ك ۲۰، ل ۳۰، م ۴۰، ن ۵۰، س ۶۰، ع ۷۰، ف ۸۰، ص ۹۰، ق ۱۰۰، ر ۲۰۰، ش ۳۰۰، ت ۴۰۰، ث ۵۰۰، خ ۶۰۰، ذ ۷۰۰، ض ۸۰۰، ظ ۹۰۰، غ ۱۰۰۰.

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۲۶۷ ان التفاسير فى الدنيا بلا عددو ليس فيها لعمرى مثل كشافى

ان كنت تبغى الهدى فالزم قراءتهفالجهل كالداء و الكشاف كالشافى ولد الزمخشرى عام ۴۶۷ ه و توفى ليلة عرفة عام ۵۳۸ ه فى خوارزم من اعمال خراسان ..

۶- تفسير القمى للحافظ على بن إبراهيم القمى و هو من علماء القرن الرابع عشر الهجرى ..

۷- تفسير الصافى لمحمد حسن بن المرتضى المحسن الفيض الكاشانى المتوفى عام ۱۰۹۱ هجرية عن عمر امتد إلى ما يقرب من ۸۴ سنة ..

۸- تفسير العياشى لمحمد بن مسعود الكوفى السمرقندى و هو من علماء القرن الرابع الهجرى ..

۹- تفسير القرطبى المسمى «الجامع لأحكام القرآن» لأبى عبد اللّه محمد بن أحمد الأنصارى الخزرجى الأندلسى، توفى بمدينة المينا بصعيد مصر فى ۹ شوال عام ۶۷۱ ه ..

۱۰- تفسير ابن كثير للحافظ عماد الدين أبى الفداء اسماعيل بن عمرو بن كثير القرشى البصرى ثم الدمشقى ..

يعتمد هذا التفسير على المأثور كتفسير الطبرى، حيث التزم ابن كثير تفسير القرآن بالقرآن و ان لم يجد قصد إلى السنة الشارحة للقرآن و الموضحة لها و ان لم يجد قصد إلى اقوال اصحاب رسول اللّه ثم التابعين ..

ولد ابن كثير عام ۷۰۰ ه أو ۷۰۵ ه و توفى عام ۷۷۴ ه بعد ان كف بصره، و دفن فى المقبرة الصوفية عند شيخه ابن تيمية ..

۱۱- تفسير الخازن الموسوم ب «لباب التأويل فى معانى التنزيل» لعلاء الدين أبى الحسن على بن إبراهيم البغدادى الخازن و هو تفسير يعتمد

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۲۶۸

على الرأى فضلا عن انه لا يذكر فيه السند كما و يتوسع فى الروايات و القصص الواردة فيه ..

ولد الخازن فى بغداد عام ۶۷۸ ه و توفى عام ۷۴۱ ه و دفن فى مدينة حلب الشهباء فى شمال سورية ..

۱۲- تفسير البيضاوى: الموسوم ب «انوار التنزيل و أسرار التأويل» للقاضى ناصر الدين أبى الخير عبد اللّه بن عمرو بن محمد بن على

الأذربايجانى البيضاوى، و هذا التفسير يعتمد على الرأى كتفسير الرازى و رغم انه تفسير مختصر إلا أنه دقيق فى عباراته يصل إلى المعنى من أقرب الطرق ..

توفى البيضاوى فى مدينة تبريز شمال غرب ايران عام ۶۹۱ ه ..

۱۳- تفسير أبى السعود المسمى «ارشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم» لمحمد بن مصطفى العمادى، و هذا التفسير يعتمد على الرأى و هو تفسير رائع من حيث حسن تعبيره و سلامة تفكيره.

ولد أبو السعود عام ۸۹۳ هجرية و توفى فى مدينة اسطنبول عام ۹۸۲ ه و دفن بجوار قبر الصحابى أبى أيوب الانصارى «۷» حيث حظينا بزيارتهما هناك ..

۱۴- تفسير النسفى المسمى «مدارك التنزيل و حقائق التأويل» لأبى البركات عبد اللّه بن أحمد بن محمود النسفى، يعتمد هذا التفسير على الرأى، و قد اختصر النسفى تفسيره من تفسيرى البيضاوى و الكشاف و هو

---

(۷) أبو أيوب الأنصارى صاحب رسول اللّه، و فى الخبر أنه عند وصول النبى (ص) إلى المدينة بعد هجرته من مكة رفقة الخليفة أبى بكر الصديق، أشعر قادة أهل المدينة بانه سينزل فى الدار التى ستحط ناقته أمامه، و فعلا بركت أمام دار أبى أيوب الأنصارى حيث أقام عنده الرسول، اشترك مع احدى وحدات الجيش الإسلامى فى غزوها للروم فقتل قرب اسطنبول و دفن هناك.

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۲۶۹

تفسير وسط بين الطول و القصر جمع فيه بين وجوه الاعراب و القراءات ..

توفى النسفى عام ۷۱۰ هجرية.

۱۵- تفسير الطنطاوى: للاستاذ الحكيم الشيخ طنطاوى جوهر و يسمى «الجواهر فى تفسير القرآن» و قد عنى المفسر بالعلوم الكونية و عجائب الخلق حتى قيل فيه- كما قيل فى تفسير الرازى- «فيه كل شىء إلا التفسير».

ولد الطنطاوى عام ۱۲۸۷ ه و توفى عام ۱۳۵۸ ه الموافق لعام ۱۹۴۰ ..

۱۶- تفسير الميزان للسيد محمد حسين الطباطبائى .. ولد عام ۱۹۰۲ م فى مدينة تبريز بشمال غرب ايران ثم رحل إلى النجف الأشرف عام ۱۹۲۵ للدراسة فى حوزتها العلمية، ثم ترك النجف عائدا إلى وطنه عام ۱۹۳۵ و تولى عام ۱۹۴۶ التدريس فى مدينة قم المقدسة إلى أن وافاه الأجل فى ۱۵/ ۱۱/ ۱۹۸۱- رحمه اللّه ..

۱۷- تفسير المنار للسيد محمد رشيد رضا، و هو تفسير يعتمد على المأثور، ولد محمد رشيد رضا عام ۱۲۸۲ هجرية و توفى عام ۱۳۵۴ ه و قبل ان يفرغ من اكمال تفسيره.

۱۸- تفسير الآلوسى الموسوم ب «روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم و السبع المثانى» لأبى الثناء شهاب الدين محمود شكرى الآلوسى، و هو تفسير يعتمد على الرأى و هو من أوسع التفاسير و اجمعها و قد تأثر المؤلف بتفاسير الرازى و السيوطى و البيضاوى و الزمخشرى باسطا كل ذلك باسلوبه الأدبى الرفيع ..

ولد الآلوسى فى جانب الكرخ عام ۱۲۱۷ ه و توفى عام ۱۲۷۰ أو ۱۲۶۹ ه و دفن فى مقبرة الشيخ معروف الكرخى بجانب الكرخ ببغداد.

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۲۷۰

۱۹- تفسير البلاغى المسمى «آلاء الرحمن فى تفسير القرآن» للشيخ محمد جواد حسن البلاغى، و قد توفى البلاغى فى مدينة النجف الأشرف عام ۱۳۵۲ ه، و قد صدر الجزء الأول من التفسير فقط حيث عاجلته المنية قبل اتمامه ..

۲۰- تفسير شبّر: للعلامة المحقق الجليل السيد عبد اللّه بن محمد رضا شبّر، و للمؤلف كتب و مؤلفات عديدة و مهمة تبلغ السبعين

كتابا و لو قسمت أجزاؤها على سنى حياته لبلغت نحو كراسة واحدة عن كل يوم لذا لقبه أهل زمانه بالمجلسى الثانى ..

ولد العلامة شبر فى النجف الأشرف عام ۱۱۸۸ هجرية و توفى فى مدينة الكاظمية عام ۱۲۴۲ و دفن فى رواق الامامين الكاظمين- ع-

۲۱- تفسير الخوئى الموسوم ب «البيان فى تفسير القرآن» للعلامة المجتهد زعيم الحوزة العلمية السيد أبو القاسم بن السيد على أكبر الموسوى الخوئى، و قد صور الجزء الأول منه فقط و الذى يضم مقدمة مهمة لا يستغنى عنها كل واع أو مثقف، و نحن الآن فى انتظار صدور الأجزاء الأخرى حتى يسهم هذا التفسير العظيم مع بقية التفاسير الحية فى توعية المسلمين و تقريب حقائق القرآن و علومه من اذهانهم من أجل بناء جيل القرآن و الاسلام ..

۲۲- تفسير فى ظلال القرآن «للكاتب الإسلامى المجاهد و العبقرى الفذ سيد قطب و هو صاحب الدراسات الإسلامية العديدة كالعدالة الاجتماعية فى الإسلام و السلام العالمى و الإسلام و معركة الإسلام و الرأسمالية و معالم فى الطريق و التى ملأت فراغا كبيرا فى المكتبة الإسلامية، و كان الكتاب الأخير- معالم فى الطريق- هو آخر

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۲۷۱

الكتب التى دبجها يراع الكاتب الفذ قبل استشهاده فى صيف عام ۱۹۶۶ م، و هذا الكتاب- بحق- مثل كتاب «شبهات حول الإسلام» لأخيه محمد قطب مؤلف ثورى و إسلامى محض يلقى الأضواء على دور و مهمة البعث الإسلامى و نقطة البدء فيه إذا ما أريد انقاذ البشرية من شقوة الجهالة و الجاهلية ..

اما عن تفسيره فان الغرض الأول منه هو «تبسيط المبادئ القرآنية للنشء فهو إلى التوجيه اقرب منه إلى التعليم» «۸» و هو بعد هذا يعد «احدث تفسير صدر فى العالم العربى، و إلى جانب هذا التفسير له كتابان أولهما- التصوير الفنى فى القرآن- و ثانيهما- مشاهد القيامة فى القرآن- و كلها تنبع من روح واحدة و تتجه وجهة واحدة و هى محاولة فهم الصورة الفنية فى القرآن» «۹».

كما و ان تفسيره هو «تفسير كامل للحياة فى ضوء القرآن و هدى الاسلام انتهى فيه إلى ان الانسانية اليوم فى شقائها بالمذاهب الهدامة و صراعها الدامى من حين لآخر لا خلاص لها إلا بالاسلام، كما و انه لا صلاح لهذه الأرض و لا راحة لهذه البشرية و لا طمأنينة لهذا الانسان و لا- رفعة و لا- بركة و لا- طهارة و لا تناسق مع سنن الكون و فطرة الحياة إلا بالرجوع إلى اللّه، و الرجوع إلى اللّه له صورة واحدة و طريق واحد ...

واحد لا سواه انه العودة بالحياة كلها إلى منهج اللّه الذى رسمه للبشرية فى كتابه الكريم، انه تحكيم هذا الكتاب وحده فى حياتها و التحاكم اليه وحده فى شئونها، و إلا فهو الفساد فى الأرض و الشقاوة للناس و الارتكاس فى الحمأة و الجاهلية التى تعبد الهوى من دون اللّه» «۱۰».

---

(۸) مباحث فى علوم القرآن- الدكتور صبحى الصالح.

(۹) التعبير الفنى فى القرآن- الدكتور بكرى شيخ أمين.

(۱۰) مباحث فى علوم القرآن- مناع القطان.

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۲۷۲

و هو من بعد ذلك يعد بحق «ثروة فكرية اجتماعية لا يستغنى عنها المسلم المعاصر» «۱۱».

۲۳- تفسير القنوجى: و الموسوم ب «فتح البيان فى تفسير القرآن» و مؤلفه هو أبو الطيب محمد صديق حسن خان البخارى القنوجى الحسينى أمير ولاية بهوبال «۱۲» فى وسط الهند، و هذا التفسير هو ملخص من تفسير ابن كثير و يمتاز بسلامته من التطويل و الحشو ..

---

(۱۱) من الطبيعى أن الاستعمار البريطانى لم يكن فى وسعه أن يحكم بلدا كالهند (قبل الاستقلال) تزيد مساحته على ال ۴ ملايين

كيلومتر مربع و يزيد نفوسه- حينذاك- على ال ۴۰۰ مليون نسمة و يدينون بمذاهب و أديان مختلفة و ينطقون بأكثر من ۲۰۰ لغة و لهجة، لو أنه- الاستعمار- لجأ إلى الأساليب الديموقراطية و الطبيعية المألوفة فى الحكم و الإدارة ..

لذا لم يجد هذا الاستعمار وسيلة ممكنة و محكمة لإدارة هذه البلاد المترامية أجدى من تفريقها و تقسيمها إلى ولايات و إمارات عديدة بقصد تفتيت قدراتها المادية و البشرية و مذكين فى نفس الوقت الخصومة و البغضاء بين الطائفتين الأكثر انتشارا و نفوسا و قوة فى البلاد و هم الهندوس و المسلمون ..

و وفقا لذلك فقد قسّم المستعمرون البلاد (شبه القارة الهندية) و من حيث الإدارة و الحكم إلى قسمين كبيرين أحدهما حكموه حكما مطلقا و مباشرا و بحكام و موظفين بريطانيين و هو ما يسمى بالهند البريطانية و يبلغ عدد أقاليمه

(۱۲) إقليم و هى أكثر و أكبر و أغنى الأقاليم الهندية نفوسا و صناعة و ثراء و هذه الأقاليم هى «السند، بلوجستان، البنجاب، الحدود الشمالية الغربية، الأقاليم المتحدة (بوبى)، بيهار، البنغال، آسام، أوريسه، الأقاليم الوسطى، مهرا شترا (بومباى)» ..

اما القسم الآخر و هو ما يسمى بهند الأمراء فعبارة عن عدة مئات من الولايات و الإمارات قد تكون هذه صغيرة بحجم مدينة واحدة أو كبيرة تزيد مساحتها على بريطانية و قد بلغ عددها عن الاستقلال فى منتصف آب ۱۹۴۷ (۵۶۲) إمارة و ولاية مساحتها جميعا فى حدود ۲، ۱ مليون كم ۲ و يقطنها حينذاك ما يقرب من ۱۴۰ مليون نسمة و كانت تحكمها الأسر الأقطاعية و أبناء البيوتات و الشخصيات الموالية للانكليز، و هذا القسم و إن كان يحمل فى الظاهر لافتة الاستقلال و الحرية إلّا أنه- فى الحقيقة- لا يقل عن القسم الأول

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۲۷۳

ولد القنوجى عام ۱۲۴۸ هجرية و توفى فى عام ۱۳۰۷ ه ..

۲۴- تفسير الجلالين: لجلال الدين محمد المحلى و جلال الدين عبد الرحمن السيوطى، حيث ابتدأ الأول فى التفسير من أول سورة الكهف إلى آخر سورة الناس ثم بدأ بتفسير الفاتحة و عند اتمامها آثره اللّه لجواره، فجاء الثانى فأكمل تفسير بقية القرآن ..

و هذا التفسير يعتمد على الرأى و هو قيم مختصر العبارة سهل المأخذ، و هو لهذا أكثر التفاسير انتشارا فى العالم الاسلامى رغم انه اصغرها شرحا و حجما ..

ولد الأول فى مصر سنة ۷۹۱ ه و توفى فى أول يوم من عام ۸۶۴ ه.

اما الثانى فقد ولد فى سنة ۸۴۹ ه و توفى فى سنة ۹۱۱ ه.

۲۵- تفسير النيشابورى: المسمى «غرائب القرآن و رغائب الفرقان» لنظام الدين الحسن بن محمد النيشابورى، يمتاز هذا التفسير بسهولة عباراته و هو مختصر لتفسير الفخر الرازى مع تهذيب كبير فيه ..

فى ولاء حكامه لإدارة المستعمرين و رغباته ..

و كان المستعمرون قد وضعوا عند كل حاكم أو أمير أو نواب أو مهراجا أو راجا أو خان (و هى اسماء حكام الولايات) مقيما بريطانيا له حق التدخل فى كل صغيرة و كبيرة، و على كل حاكم أن ينفذ نصائح المقيم و إلّا فقد عرشه و حكمه، و لم يكن يهم- هذا المقيم- سوء الإدارة فى الولاية أو الامارة أو الخسف الذى ينزله الحكام بأبناء جيلهم بقدر ما يهمه من استنزاف لثروة الأمارة و ضمان ولاء الحكام فيها للعصا البريطانية الغليظة ..

و من هذه الولايات و الامارات «حيدرآباد، كشمير، بهويال، بهاولبور، خيربور، قلات، جنرال سوات، مكران، لسبيلا، هنزا، جونا كاد، محمود كباد .. الخ» ..

و للمزيد من المعلومات يمكن الرجوع إلى كتابنا «أضواء على شبه القارة الهندية» الذى سيرى وجه النور قريبا ..

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۲۷۴

توفى النيشابورى فى عام ۷۲۸ هجرية ..

۲۶- تفسير البحر المحيط: لأبى حيان الأندلسى و هو أثير الدين أبو عبد اللّه محمد بن يوسف بن على بن يوسف بن حيان الأندلسى الغرناطى ..

يضم هذا التفسير كثير من مسائل النحو و مسائل الخلاف بين النحويين حتى قيل انه «اقرب إلى كتب النحو منه إلى كتب التفسير» ..

ولد الأندلسى عام ۶۵۴ هجرية و توفى فى مصر عام ۷۴۵ ه.

۲۷- تفسير الخطيب الشربينى: و الموسوم ب «السراج المنير فى الاعانة على معرفة بعض معانى كلام ربنا الحكيم الخبير» و مؤلفه هو شمس الدين محمد بن محمد الشربينى القاهرى الشافعى الخطيب.

و هذا التفسير هو خلاصة التفاسير التى سبقته مع الدقة و الايجاز، كما و قد قام المؤلف بتفسير كل بسملة من القرآن غير تفسير سابقتها ..

توفى الشربينى عام ۹۷۷ هجرية ..

۲۸- تفسير ابن العربى: و صاحبه و هو الشيخ محى الدين محمد بن على الطائى الأندلسى ..

و هذا التفسير هو على طريقة أهل التصوف و ينتهى إلى سورة الكهف، توفى المؤلف فى عام ۶۲۸ ه.

۲۹- تفسير «روح البيان فى تفسير القرآن» لأبى الفداء اسماعيل حقى ..

و التفسير هذا و الذى اكمله عام ۱۱۱۷ هجرية هو تلخيص لما فى تفسيرى البيضاوى و أبى السعود و المؤلف يتبع تفسير الآية باللغة العربية تفسيرها باللغة الفارسية- توفى أبو الفداء عام ۱۱۲۷ ه.

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۲۷۵

۳۰- تفسير «تنوير المقباس فى تفسير ابن عباس» للفيروزبادى الشيرازى، و هذا التفسير ينسب إلى حبر الأمة ابن عباس و قيل انه للفيروزآبادى نفسه ..

۳۱- تفسير البرغانى: و المسمى «مفتاح الجنان فى حل رموز القرآن» لمؤلفه العالم الفاضل الحاج الملا محمد صالح بن محمد البرغانى القزوينى الكربلائى ..

ان التفسير المذكور يعتمد على المأثور (الأثر) و لم يألوا مؤلفه جهده فى ضم و جمع الأخبار من بطون الكتب، و لكنه، كعادته- لم يبرز نوعا من الاجتهاد الفنى فى تفسير الآية أو مناقشتها بل كان يقتصر على التفسير ضمن مفاهيم الأحاديث و الأخبار المنقولة، اضافة إلى ايراده لآراء كثير من المفسرين و المؤرخين عند تفسير كل آية ..

و المؤلف و هو أخ الفقيه الكبير الحاج الملا- محمد تقى البرغانى المعروف ب (الشهيد الرابع) «۱۳» و كان (المؤلف) قد ولد فى مدينة

---

(۱۳) ولد الشهيد الرابع فى برغان و بعدها استقر فى قزوين ثم رحل إلى النجف الأشرف حيث تتلمذ على يد السيد على صاحب الرياض و شارك مع الشيخ جعفر كاشف الغطاء فى حمل لواء الجهاد ضد أعداء الإسلام ..

و بعد ذلك ترك النجف و عاد إلى قزوين فى عهد السلطان فتح على شاه القاجارى و مارس فيها التدريس و التأليف، و عند استفحال أمر الشيخية و البابية حينذاك شمّر الشيخ عن ساعد الجهاد و قام بمحاربتهم و تكفيرهم ..

و عند ما كان الشيخ فى مساء أحد الأيام متفرغا للصلاة و الدعاء فى محراب المسجد دخل عليه بعض البابيين و طعنوه بالسكاكين و المدى حتى الموت، و دفن فى قزوين فى مقبرة كبيرة عام ۱۲۶۴ هجرية ..

و على ذكر الشهيد الرابع فلا ضير من أن نأتى بسرعة على حياة من سبقوه فى الشهادة فى سبيل اللّه.

فالشهيد الثالث هو القاضى ضياء الدين نور اللّه بن شريف الدين المرعشى الحسينى الشوشترى، ولد عام ۹۵۶ هجرية و تتلمذ فى مدينة «تستر» فى

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۲۷۶

برغان قرب قزوين عام ۱۲۰۰ ه و قضى عمره فى قزوين ثم هاجر إلى كربلاء و توفى فيها فجأة و هو فى حال الدعاء عند ضريح الإمام الحسين- ع- و دفن بالحرم الحسينى و ذلك عام ۱۲۸۳ ه و قيل ۱۲۷۰ ه.

۳۲- تفسير الثعالبى: و الموسوم ب «الجواهر الحسان فى تفسير القرآن» للإمام أبى زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبى الجزائرى المغربى ..

خوزستان فنسب إليها و عاصر الشيخ البهائى، تم يمم وجهه شطر الهند فى عهد الأمبراطور أكبر المغولى فقلّده القضاء ليصبح قاضى القضاة و بعد وفاة الأمبراطور و تولى ابنه جهانكير السلطة سعى الوشاة عنده بأن القاضى يحكم بموجب الأحكام الإمامية فقط و لم يلتفت الأمبراطور لدعواهم و استمر الحساد بوشايتهم إلى أن رضخ الامبراطور لدعواهم فجلده علماء السوء وعاظ السلاطين مائة جلدة سقط شهيدا تحتها عام ۱۰۱۹ ه و له كتب ثمينة أهمها إحقاق الحق، كما و له مقبرة ضخمة فى مدينة اكرا جنوب دلهى يرتادها الزوار ..

أما الشهيد الثانى فهو الشيخ زين الدين بن نور الدين العاملى، ولد عام ۹۱۱ ه و طاف مختلف الأقطار الإسلامية حيث عقد صداقات مع علماء الدين فى هذه الأقطار، و قد كتب رسالة دينية إلى قاضى القضاة فى اسطنبول استرعت اعجابه و ثنائه. و عيّنه إثر ذلك كمسئول عن إحدى المدارس الدينية فى مدينة بعلبك بلبنان و طلب منه التدريس وفقا للمذاهب الخمسة، و إثر وشاية بعض وعاظ السلاطين أمر الخليفة العثمانى بالقبض عليه و فعلا قبض عليه و نقل إلى اسطنبول حيث حكم عليه بالموت على ساحل البسفور عام ۹۶۵ ه، و شيد له فيما بعد و فى موقع إعدامه و دفنه مزار كبير، و من مؤلفاته شرح اللمعة الدمشقية للشهيد الأول ..

اما الشهيد الأول فهو شمس الدين أبو عبد اللّه محمد بن جمال المكى الدمشقى ولد عام ۷۳۴ ه و مارس الدرس و التدريس فى مكة و المدينة و دمشق و لمدة ۴۰ سنة، سجن فى قلعة دمشق لولائه لأهل البيت- ع- فى خلال سجنه ألّف «اللمعة الدمشقية» و صدر حكم الموت عليه لإنكاره العلوية، و طلب منه التوبة ليرفع عنه حكم الموت، إلّا أنه أصرّ على عقيدته، لذا ضرب عنقه بالسيف فى دمشق عام ۷۸۶ ه و قبره هناك ..

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۲۷۷

ان هذا التفسير هو خلاصة مفيدة لعدد كبير من التفاسير السابقة، و قد جعل المؤلف رمزا لكل تفسير ينقل عنه، توفى الثعالبى بمدينة الجزائر عام ۸۷۶ هجرية ..

۳۳- تفسير «بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز» لمجد الدين أبى طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى الشيرازى ..

فى هذا التفسير يشاهد عدد كلمات كل سورة و مجموع فواصل آياتها .. توفى الفيروزآبادى عام ۸۴۰ ه ..

۳۴- تفسير «معالم التنزيل» لأبى محمد الحسن بن مسعود بن محمد المعروف بالفراء و البغوى.

يعتمد هذا التفسير على المأثور، و توفى البغوى عام ۵۱۶ ه.

۳۵- تفسير «الدر المنثور فى التفسير بالمأثور» للسيوطى و هو الحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر بن محمد السيوطى، و هو تفسير يعتمد على المأثور كما ورد فى اسمه و قد اهتم المفسر بالنقل و الجمع من دون التمييز بين الغث و السمين .. ولد السيوطى عام ۸۴۹ ه و توفى عام ۹۱۱ هجرية.

۳۶- تفسير «فتح القدير» للشوكانى لمحمد بن على بن محمد بن عبد اللّه الشوكانى اليمانى.

لقد جمع المؤلف فى تفسيره هذا بين الرواية و الدراية حيث نقل كثيرا من الروايات الواردة عن السلف و آراء من سبقه من المفسرين ..

ولد الشوكانى عام ۱۱۷۳ ه و توفى فى عام ۱۲۵۰ ه ..

۳۷- تفسير القاسمى: الموسوم ب «محاسن التأويل» لمحمد جمال الدين القاسمى ..

ينقل المفسر بأمانة عن السابقين و يمتاز بوضوح عباراته و بساطة بحثه ..

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۲۷۸

ولد القاسمى عام ۱۲۸۳ ه و توفى عام ۱۳۳۲ ه.

۳۸- « «منهج البيان فى تفسير القرآن» لمؤلفه حجة الإسلام السيد ابن الحسن بن العلامة الحجة آية اللّه العظمى السيد محمد حسن الرضوى.

ان هذا التفسير يعد أحدث تفسير صدر إلى الوجود حيث طبع عام ۱۴۰۶ ه- ۱۹۸۶ م فى احدى المطابع العربية بمدينة كراجى بالباكستان، و قد صدر الجزء الأول منه و ينتظر ان تعقبه الأجزاء الأخرى بالتعاقب.

و هذا الجزء يضم التعريف بالقرآن الكريم و تاريخه و علومه و اسرار بلاغته و اعجازه و محكمه و متشابهه و غير ذلك حيث يمكن اعتباره مقدمة جليلة للتفسير، كما ان هذا الجزء يضم اضافة للمقدمة تفسير سورة الفاتحة و أربع آيات من مطلع سورة البقرة، و يعتمد هذا التفسير على المأثور دون الرأى و الذى لم يجوّز الأخذ به ..

۳۹- تفسير البرهان: للسيد هاشم البحرانى- و يعتمد هذا التفسير على المأثور دون الرأى أيضا.

۴۰- تفسير الفرقان: للشيخ محمد الصادقى، يقع فى عدة مجلدات، و صدر منه حتى اليوم عشرة اجزاء.

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۲۷۹

إعجاز القرآن

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۲۸۱

الاعجاز هو حدث خارق للعادة و لقوانين الطبيعة مقرون بالتحدى و سالم من المعارضة و شاهد على صدق دعواه.

و ليس الاعجاز وحده هو خارق للعادة بل هناك (۶) أقسام خارقة للعادة و للفائدة نوردها جميعا و هى: «۱» ۱- الارهاص: و هو الذى يسبق البعثة و دعوى النبوة كإشارة أو تلميح لهما ..

۲- المعجز: و هو ما يقدّمه الأنبياء و المرسلون كدعوى لنبوتهم دون استطاعة أحد على الاتيان بمثلها أو ردها و يكون مع الدعوى بلا تهيئة و لا مهلة.

۳- الكرامة: و هى استجابة الدعاء فى الصالحين و الأبرار من الناس ..

۴- الاستدراج: و هو مكر اللّه ازاء الفارق بالمعاصى حيث يعطى بعض ما يتمنى خرقا للعادة فيغتر و يزعم ان ذلك من كراماته و فضائله ..

۵- المكذبة: و هى ما تكون مخالفة للدعوى فتكذب دعوى المدعى لوقوعها على خلاف ما أراد، كما وقع لمسيلمة حيث دعا لأعور فعميت العين الصحيحة و دعا لجريان ماء البئر فجف ماؤها ..

---

(۱) منهج البيان فى تفسير القرآن- السيد ابن الحسن الرضوى.

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۲۸۲

۶- السحر: و هو عمل خارق يكون بعد تهيئة أسبابه على مهلة بدون الدعوى حيث ان سحرة فرعون طلبوا الحبال و التمسوا المهلة للتهيئة ..

و حيث ان المجال لا يسع هنا لشرح كل فقرة و مقارنتها بالاعجاز لبيان مدى الاختلاف بينهما، لذا نكتفى هنا بشرح الاعجاز و انواعه و امده و أسبابه لارتباطه الوثيق بموضوع هذه الدراسة ان لم يكن أهم موضوع فيها .. «فالمعجز- اصطلاحا- هو الأمر الذى يأتى به مدعى النبوة أو الامامة بعناية اللّه الخاصة خارقا للعادة و خارجا عن القدرة البشرية و نواميس الطبيعة مع مطابقته للدعوى و اقترافه بالتحدى ليكون ذلك دليلا على صدق دعواه» «۲».

و المعجزة إما تكون محدودة و حسية تشاهد بالعين و البصر يراها من حضرها فقط و لا يمكن لغيرهم مشاهدتها كما و تزول بزوال وقتها مثل معجزة النبى موسى أو النبى عيسى- عليهما السلام.

و إما ان تكون- المعجزة- عقلية تدرك و تشاهد بالبصيرة و يستمر مفعولها و تحديها إلى النهاية كما هى الحال فى معجزة الرسول محمد (ص) و هى القرآن الكريم ..

و المعجزة متى ما كانت محدودة و قصيرة الأمد و لم يتسنى للبعيد ان يراها أو ان يلمسها قد تنقطع اخبارها المتواترة فلا يمكن لهذا البعيد لا سيما بعد مرور فترة طويلة ان تحصل له القناعة الكافية على صدقها و صحتها ..

فاذا ما كلفه اللّه تعالى- جدلا- بالايمان بها كان ذلك من نوع التكليف بالممتنع و هو مستحيل على اللّه سبحانه فلا بد «اذن للنبوة و الرسالة الدائمة المستمرة من معجزة تتجاوب معها فى الديمومة و الاستمرار و البقاء» «۳».

---

(۲) منهج البيان فى تفسير القرآن- السيد ابن الحسن الرضوى.

(۳) البيان فى تفسير القرآن- السيد ابو القاسم الخوئى.

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۲۸۳

لذا فتأسيا على ما سبق نخلص للقول بان الشرائع التى سبقت الاسلام قد باتت منتهية المفعول و منقطعة الأثر بسبب انتهاء امد دليلها و معجزتها، و بقول آخر لزوال و مضى المعجزة التى شهدت على صحة تلك الشرائع و الرسالات ..

بينما نرى الشريعة الاسلامية هنا تتفوق و تسبق ما عداها بسبب ان معجزتها و هى- القرآن- باقية و خالدة إلى آخر الزمان و كون التحدى و الاعجاز فيها ظاهرة و مستمرة بوجه كل جيل و فى كل وقت و زمان لأنها من عند اللّه تعالى و لا صنعة لمحمد (ص) و لا لغيره فيها ..

أجل ان معجزة القرآن هى ابدية و هى بين أيدينا كما كانت فى عهد اجدادنا و ستظل امام احفادنا تطاول الخلود و لن تكون اسطورة فى يوم ما و لن تصبح موضع الشك أبدا و سيتحطم على صخرتها و يتناثر كل قلم يحاول التصدى لها أو يتحداها من قريب أو بعيد ..

و بصدد بيان وجه اعجاز القرآن فقد تكلم فيه فطاحل الكتاب و العلماء مشيرين إلى شتى أنواع و ألوان الاعجاز و اشكاله سواء ما كان منه فى البلاغة و القصص و العلوم و الفنون و التشريع و التصوير و الفلسفة و الاخلاق و السياسة و الاقتصاد و فى غيرها ..

هذا و إذا لم نجد فروع هذه العلوم و الفنون و الآداب مبوبة و مفصلة فى القرآن الكريم كما هى فى الكتب الموضوعة لهذه الغاية، فاننا نجد فيه جميع اصولها و اسسها و مبادئها و التى لا تشذ عنها مسألة واحدة يفرضها الواقع، و قد تجلت هذه الحقيقة شيئا فشيئا و بمرور الأيام و تطور العلوم ..

فكلما اكتشف جديد وجدنا له اساسا فى القرآن و لهذا قال ابن عباس «ان فى القرآن معان سوف يفسرها الزمن» «۴».

---

(۴) على و القرآن- محمد جواد مغنية.

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۲۸۴

و بشأن سبب الاعجاز فى القرآن الكريم و مصدره و ما اذا كان قد جاء عن طريق صرف اللّه سبحانه للناس و منعهم عن الإتيان بمثله حين استعدادهم و شروعهم فى محاولة التحدى، ام ان هذا الاعجاز قائم على خلاف ذلك أى نجده ساطعا و جليا فى نفس القرآن و فى بلاغته و تشريعاته و علومه و قصصه و أحكامه و صحة معانيه و سلامته من جميع العيوب .. الخ و ان اللّه تعالى لا يصرف و لا يعيق أحدا ممن يقبل أو يسعى للتحدى.

لقد ذهب إلى الرأى الأول و المسمى «الصرفة» نفر قليل من الأدباء و ارباب الفكر منهم النظام «۵» و عبادة بن سليمان و هشام الفوطى و هم فى عالم الارقام و الحساب لا يتجاوزون عدد اصابع اليد الواحدة ..

و قد كتب هؤلاء فى سبيل الانتصار و الدفاع عن فكرتهم و آرائهم فى الصرفة ما يلى: انهم «لا يرون ان القرآن معجز لبلاغته أو فصاحته أو أى شىء آخر فيه حيث ان العرب و غيرهم قد كانوا قادرين و لا زالوا على ان يأتوا بمثله، و لكن اللّه تعالى صرفهم و سيصرفهم و منعهم من كل ذلك تصديقا منه لنبيه المرسل (ص)- فليس القرآن عندهم هو المعجز و انما المعجز عندهم هو صرف اللّه الناس عن الاتيان بمثله أو محاكاته» «۶» أى ان المنع- لدى هؤلاء- هو المعجز ..

كما و اضاف هؤلاء فى تأييد رأيهم ان اللّه تعالى «ما انزل القرآن

---

(۵) النظام هو أبو إسحاق إبراهيم بن سيار بن هانى البصرى شيخ المتكلمين و حجة المعتزلة، و قد عاصر كل من الرشيد و المأمون و مات فى خلافة المعتصم العباسى شابا و فى سنة ۲۳۱ هجرية عن عمر ۳۶ سنة، و من تلاميذه الجاحظ الأديب المعروف و إليه- النظام- تنسب المدرسة أو الفرقة النظامية و قد لقى هشام بن الحكم و أفاد منه كما و أخذ عن أبى هذيل العلاف ثم استقل عنه ..

(۶) تجديد ذكرى أبى العلاء- الدكتور طه حسين.

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۲۸۵

ليكون حجة على النبوة، بل هو مثل بقية الكتب المنزلة من قبل، انزل لبيان الاحكام و التعاليم من الحلال و الحرام، و العرب انما لم يعارضوه مع قدرتهم عليه لأن اللّه تعالى صرفهم عن ذلك» «۷».

و فى الحقيقة ان هذه الحجج و الدعاوى هى هزيلة و واهية و لا تقف على قدميها و لا تصمد امام الحقيقة و الواقع و ليس لها وزن يقام كما سنرى قريبا .. اما الأكثرية من الأدباء و ارباب القلم و الفكر و التى تذهب إلى ان الصرفة ليست هى سبب الاعجاز و ان الاعجاز قائم فى نفس الكتاب «۸» فى فصاحته و بلاغته و فنونه و علومه و انظمته فتورد ادلة و حقائق عديدة من أجل اثبات رأيهم و قولهم و منها ان اللّه تعالى لا يليق به ان يصرف الناس عن الاتيان بمثله- القرآن- و هو الذى يخاطبهم و يتحداهم فيه و بكل صدق و صراحة بقوله «قل فأتوا بسورة مثله» «۹» فلا يمكن هنا و الحالة هذه التوفيق و الملائمة بين تحدى اللّه الناس بالاتيان بمثل هذا القرآن أو سورة من مثله و بين صرفهم عنه و هو ما تقوله الفئة الأولى لأن هذا الفعل يوقع فى التناقض و التصادم و محال على اللّه تعالى ذلك أبدا ..

و منها أيضا انه اذا لم يكن القرآن معجزا لما فيه من الوان البلاغة و فنون الأدب و البيان لكان نزوله عن مرتبة البلاغة و درجة الفصاحة ابلغ فى الاعجوبة و الاعجاز و التحدى و الاتيان بشىء منه ..

و منها لو أن العرب كانوا قد صرفوا عن معارضة القرآن فلم يكن من قبلهم من العرب مصروفين عنه بسبب انهم لم يتحدوا به، فربما كان من الطبيعى ان نجد و نقف على ما يناظر القرآن و يشبهه فى كلام العرب السالفين و هذا ما لم نجده فى الأدب العربى الخاص بهم ..

(۷) من بلاغة القرآن- الدكتور أحمد أحمد بدوى.

(۸) الإتقان فى علوم القرآن- جلال الدين السيوطى.

(۹) يونس: ۳۸.

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۲۸۶

و منها ما قرأنا فى خضم التاريخ- كما سيرد بيانه- من ان هناك كثيرين منذ فجر الاسلام حتى العصور المتأخرة حاولوا تقليد القرآن و الاتيان بمثله أو شىء من مثله، إلا ان حصيلة اعمالهم و ثمرة اتعابهم هذه لم تتعدى عن ان تكون كلمات و جمل هزيلة و جافة و غير منسجمة و لا منسقة و لا تقف ابدا بجانب اقل مستويات الأدب و الثقافة و البيان ..

لذا فان اللّه سبحانه لم يصرف هؤلاء عن عملهم و الذى تمخض عن عبارات و جمل و مقالات متداعية و ضعيفة، بل فتح امامهم أبواب التحدى و لا زال على مصراعيه ..

و منها كذلك انه لو كان عجز العرب عن المعارضة و الصرفة غير صحيح لما استعظموا بلاغة القرآن و تعجبوا من بيانه و بلاغته- كما سيرد بيانه- و كما جاء على لسان بعض اعداء الاسلام كالوليد بن المغيرة و عتبة ابن ربيعة و غيرهم.

و لسنا الآن فى صدد الاسهاب فى هذا الموضوع أو ايراد كل ما كتب عن اعجاز القرآن و لو على وجه الايجاز و الاختصار لأن الاشارة إلى اكثر من ذلك سيتطلب المزيد من البيان و الوقت و هو يتعارض و اسلوب هذه الدراسة ..

هذا فضلا عن ان موضوع اعجاز القرآن قد أصبح امرا و شيئا مفروغا منه بعد ان فلّت اسلحة المتحدين و باءت محاولاتهم و جهودهم بالفشل و الخسران ..

علما بانه لو كان هناك شىء من التحدى- جدلا- و لو بسورة واحدة فقط «لذكره و لرفعه الضالين نارا على علم و لاحتفلت فيه الملايين من اعداء الاسلام و القرآن و لسجّل فى كتبهم و موسوعاتهم التى ملئت الخافقين و لتلقوه بالفرحة و الغبطة لأنها الحجة التى ما وراءها حجة» «۱۰».

(۱۰) آلاء الرحمن فى تفسير القرآن- الشيخ محمد جواد البلاغى.

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۲۸۷

فضلا عن انه «قد مضت على نزول القرآن أربعة عشر قرنا و دخل القرن الخامس عشر باكتشافات جديدة و مخترعات مدهشة و هذه سنة ثلاث و اربعمائة بعد الألف و لم يقدر أحد على معارضته، فلو كان فى وسع أحد الاتيان بمثل هذا القرآن أو بمثل سورة منه لأتى به، و هذا من أعظم الدلائل على اعجاز القرآن و انه وحى الهى لا يشبه كلام الانس و لا كلام الجان» «۱۱» ..

لذا فليس لدينا ما نقوله هنا إلا ان نذهب و نشد على عضد من صرّح بان «نفس موسى و عيسى- عليهما السلام- و سائر الأنبياء الآخرين لو جاءوا الآن لما وسعهم إلا الايمان القاطع بهذه المعجزة و الاعتراف بصحتها و بقاءها» «۱۲» مدى الزمن و الدهر ..

اذن «فاعجازه- القرآن- من حيث الآية بداية و نهاية و مسافة و قافية و قد يكون الروى واحد و مقاطع صوتية متشابهة، و اعجازه فى السورة من حيث تعدد فصولها و الصورة الفنية فيها، فسورة طويلة و اخرى صغيرة و سورة بدأت بدعوى ثم اعقبتها بادلة و براهين ثم بصيغ متقاربة و حديث و آخر و قصة و اخرى» «۱۳» و رغم كل هذا و ذاك فإنه نرى انه ليس من المنطقى أو المعقول فى شىء ان نمر على موضوع اعجاز القرآن- و الذى هو من أهم مواضيع هذه الدراسة- من دون ان نشير و لو بايجاز إلى بعض وجوه هذا الاعجاز و اشكاله على ان نتولى أولا تعداد بعض الأوجه المهمة فى الاعجاز ثم نعرج على تبيان و كشف وجه واحد أو أكثر منه و الذى له ارتباط وثيق بروح العصر و بالتقدم العلمى الذى تعيشه البشرية، على ان نتوج كل

(۱۱) منهج البيان فى تفسير القرآن- السيد ابن الحسن الرضوى.

(۱۲) القرآن و العلم الحديث- عبد الرزاق نوفل.

(۱۳) القرآن و العقلية العربية- نعمة هادى الساعدى.

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۲۸۸

ذلك بمقدمة قصيرة تبحث فى موقف اعداء القرآن منه، و كيف امكن للقرآن ان يأسر الباب و عقول كثير من هؤلاء فيعيدهم إلى صفوف المسلمين ليكونوا من انصار و دعاة الدين الجديد بعد ان كانوا من اشد الخصوم له ....

لقد نزل القرآن فى بلد عربى و بين عوائل عربية كانت تعانى و تشكو من التأخر و الانحطاط و التخلف فى غالبية النواحى و الميادين إلا فى الفصاحة و البلاغة و البيان و التدوين، لذا نرى ان اللّه تعالى قد بعث لهؤلاء القوم كتابا بلغتهم و «على المستوى الفنى و البلاغى الذى كان عليه هؤلاء و لم يتخذ فنا أو صياغة أو اسلوبا أو نهجا فى الخطاب غير مألوف عندهم» «۱۴» ليكون حجة لصدق نبوة الرسول (ص) ..

و رغم المعارضة المستميتة التى وجهها القرشيون للحط من اشراقة النبوة و طمس معالم الرسالة و رغم التهم و الافتراءات الباطلة التى نثروها هؤلاء بسخاء فى طريق الرسول (ص) و انطلاقة الدعوة، رغم كل هذه و تلك لم تسمع قط بمحاولة جدية أو تصميم صادق من قبلهم للاتيان بمثل هذا القرآن أو بشىء يسير منه و لو بمقدار سورة صغيرة واحدة عدا كلمات مضطربة لا يوحّدها نظام أو هدف محدد ..

لقد اراد نفر من المشركين- فى عهد الرسول- ان يطعنوا بالقرآن عن طريق استخراج ما به من آيات غير فصيحة أو كلمات غير متداولة ليعلنوا عدم اعجاز القرآن- و قد قاموا باستخراج الكلمات الثلاثة و هى (يستهزئ، كبار، عجاب) و جاءوا إلى الرسول ليشعروه بما عثروا عليه، و ان هذا سيذهب باعجاز القرآن و روعته، فأجابهم الرسول باحضار فصحائهم و بلغائهم التباحث معهم فى أمر هذه الكلمات، و فعلا قدم هؤلاء على الرسول (ص) و عند دخولهم قام لهم الرسول

(۱۴) القرآن و العقلية العربية- نعمة هادى السعدى.

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۲۸۹

فقاموا ثم جلس فجلسوا معه ثم قام الرسول مرة أخرى فقاموا معه و جلس فجلسوا و هكذا إلى عدة مرات فما كان من كبيرهم إلا ان يخاطب الرسول بقوله: «أ تستهزئ بى و انا شيخ كبار ان هذا يا محمد لشىء عجاب» فأجاب الرسول بأن هذا الكلام هو جواب هؤلاء فانصرفوا ..

و اذا ما كانت هناك و بعد وفاة الرسول (ص) أو قبلها بقليل، اذا كانت هناك محاولات مشبوهة من قبل ادعياء النبوة كمسيلمة بن حبيب النجدى الكذاب فى بنى حنيفة باليمامة أو طليحة بن خويلد الأسدى فى قبيلة بنى سعيد أو سجاح بنت الحارث فى بنى تغلب أو الأسود العنسى فى اليمن لمحاكاة القرآن أو الاتيان بمثله فان ما أورده هؤلاء من كلمات و أقوال لا يتعدى عن ان يكون هذيان محموم و سقطات مضطربة و غير مرتبطة بالقواعد النحوية و البلاغية ..

و باختصار فانها لا تصل إلى ألف باء الأدب و اللغة فضلا عن مستوى ارفع منه بقليل، لذا آثرنا هنا ألا ننقل منها إلا نتفا قليلة لأنها لا تستحق النظرة العابرة فضلا عن قراءتها و دراستها بامعان و تدبر «۱۵» ..

لقد أورد مسيلمة الكذاب الذى زعم ان له قرآنا نزل عليه من

(۱۵) ربما يظن البعض بان نجاح الإسلام و انتشاره و قهر مناوئيه قد طمس على آثار هؤلاء المناوئين له سواء الفكرية أو الأدبية أو غيرها، و ذلك لما نرى فى عصرنا الحاضر من أن الكلمة المطاعة و الأخيرة هى للغالب و ان المغلوب سيناله الويل و الثبور، إلّا أن الذى أوردناه عن آثار هؤلاء المناوئين للإسلام هو الحقيقة و الواقع و ذلك لسببين هما:

۱- إن للإسلام و رسالته حاليا أعداء كثيرون و هدفهم الأوحد تشويه معالم هذا الدين بقلب الحق إلى باطل و بالعكس. فلو كان هناك أدب و فكر، لمناوئى الإسلام لا برزوه و أذاعوه و هذا ما لم نجده فى الكتب أو مكان آخر ..

۲- إن التاريخ يضم كل صغيرة و كبيرة و كل غث و سمين حيث هو سجل ناصع للحياة، و لم نشاهد فى هذا السجل ما يشير إلى وجود تراث لاعداء الإسلام و مناوئيه ..

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۲۹۰

السماء و يأتى به اليه ملك يدعى «رحمن» أورد فى قرآنه المزعوم ما يلى: «الباذرات زرعا، و الحاصدات حصدا، و الذاريات قمحا، و الطاحنات طحنا، و العاجنات عجنا، و الخابزات خبزا، و الثاردات تردا، و اللاقمات لقما، اهالة و سمنا، لقد فضّلتم على أهل الوبر، و ما سبقكم أهل المدر، ريفكم فأمنعوه، و المنعتر فآووه، و الباغى فناوئوه ..... الخ.

و قال أو أورد فى مكان آخر من هذا القرآن المزعوم: «الفيل ما الفيل، و ما ادراك ما الفيل، له ذنب قصير و خرطوم طويل ...».

كما ورد فيه أيضا «يا ضفدع بنت ضفدعين، نقى ما تنقين، نصفك فى الماء و نصفك فى الطين، لا الماء تكدرين، و لا الشارب تمنعين».

هذا «و كل كلامه على هذا النمط واه سخيف لا ينهض و لا يتماسك، بل هو مضطرب النسج مبتذل المعنى مستهلك من جهتيه» «۱۶».

اما الأسود العنسى الملقب بذى الخمار فله غريب و عجيب و نورد فى أدناه احدى سوره التى يبارى بها «سورة الأعلى» اذ يقول: «سبح اسم ربك الأعلى الذى يسر على الحبلى فاخرج منها نسمة تسعى بين اضلاع وحشى فمنهم من يموت و يدس فى الثرى و منهم من يعيش و يبقى ...»

هذا و ان آيات القرآن الكريم لم تشل أيدى و قلوب و السنة العرب عامة و القرشيين خاصة و تتحداهم فى ان يأتوا بمثلها فقط و انما اسرت قلوب بعض هؤلاء و اخذت بالبابهم و اجرت على افواههم و السنتهم الحق

---

(۱۶) إعجاز القرآن و البلاغة المحمدية- مصطفى صادق الرافعى.

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۲۹۱

و الصدق عند ما ادركوا ما فيها من البلاغة و البيان و الحكمة .... الخ فضلا عن ان «هذه الآيات كانت العامل الحاسم أو أحد هذه العوامل الحاسمة فى ايمان من آمنوا فى أوائل أيام الدعوة يوم لم يكن للرسول (ص) حول و لا طول و يوم لم يكن للاسلام قوة و لا منعة» «۱۷».

فهذا الوليد بن المغيرة الذى عاش و مات على كفره لما سمع من النبى (ص) قوله تعالى: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَ الْإِحْسانِ وَ إِيتاءِ ذِي الْقُرْبى وَ يَنْهى عَنِ الْفَحْشاءِ وَ الْمُنْكَرِ وَ الْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ «۱۸» يجيب قومه عند ما سألوه عن حقيقة ما سمع من محمد (ص) بقوله: «انه سمع من محمد آنفا كلاما لا يشبه شيئا من كلامنا، انه ليس من كلام الانس و الجن، ان له لحلاوة و ان عليه لطلاوة و ان اعلاه لمثمر و ان اسفله لمغدق و ان اصله لعذق و ان فرعه لجناة و انه ليحطم ما تحته و انه ليعلو و لا يعلى عليه».

و لما طلبوا منه- و هو الشيخ الكبير المجرب الداهية- ان يصفه لهم قال: «قولوا ساحر جاء بقول يفرّق بين المرء و أبيه و بين المرء و أخيه و بين المرء و زوجته و بين المرء و عشيرته» «۱۹».

ف «انظر إلى هذا الرجل المعاند كيف اعترف الحق فى أول أمره بحسب ذوقه العربى الذى كان مفطورا عليه، و لكن لما اعترته الحمية و غلبت عليه الشقوة عدل عن مقاله و عاد إلى ضلاله» «۲۰».

و ذاك هو عتبة بن ربيعة الذى تبعثه قريش ليفاوض و يساوم النبى (ص) فى ترك دعوته لقاء مغانم و منافع هائلة و مغرية لا يكاد يعود من عنده بعد ان يسمع كلامه حتى يجيب قريش و هم بانتظار قدومه بقوله:

---

(۱۷) التصوير الفنى فى القرآن- سيد قطب.

(۱۸) النحل: ۹۰.

(۱۹) القرآن- محاولة فهم عصرى- مصطفى محمود.

(۲۰) منهج البيان فى تفسير القرآن- السيد ابن الحسن الرضوى.

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۲۹۲

«... انى سمعت قولا و اللّه ما سمعت مثله قط و اللّه ما هو بالشعر و لا بالسحر و لا بالكهانة، يا معشر قريش اطيعونى و اجعلوها بى و خلوا بين هذا الرجل و بين ما هو فيه فاعتزلوه فو اللّه ليكونن لقوله الذى سمعت منه نبأ عظيم فان تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم و ان يظهر على العرب فملكه ملككم و عزه عزكم و كنتم اسعد الناس به».

و هذا مثل ثالث هو الخليفة عمر بن الخطاب (رض) قبل ان يشهر اسلامه تطرق اسماعه اخبار مقلقة مفادها ان شقيقته (فاطمة) قد اشهرت اسلامها- أو صبأت بمفهوم القرشيين حينئذ- فيذهب لتوه إلى دارها و هو يتميز من الغيظ مصمما على الاجهاز عليها- ان ثبت لديه إسلامها- ليجعل منها عبرة لكل من يحاول أو يفكر فى تبديل دين آبائه و اجداده و الدخول فى الدعوة الجديدة التى جاء بها محمد (ص) ..

و عند ما يقترب من دارها و يلجه يبطش بصهره (ختنه) سعيد و يلطم اخته لطمة يشج بها وجهها ثم يخطف من يد أخته- التى كانت ترتجف امامه- صحيفة خاصة ليرى حقيقتها و ما هو مسطّر فيها ..

و لكن ما ان يمرر بصره عبر هذه الصحيفة و يبدأ بقراءة ما تضم من كلمات و جمل تأخذه سنة من التفكير و التأمل العميق يتمخضان عن استيقاظ الضمير و حركة الوجدان بعد ان يدرك بان الذى قرأه ليس من صنع بنى قومه و لا نظمهم و لا يشبه ما سمعه من كلام العرب و اشعارهم فينطق لسانه بقولته الشهيرة: «ما احسن هذا الكلام و اكرمه».

لذا فيسأل بعد ذلك عن الدار التى يختبىء بها الرسول (ص) فيتجه صوبه مسرعا و فى وسطه يشهر اسلامه بين صفوف الرسول و من معه من المسلمين فيرتفع التكبير فى اطراف الدار حتى خيف ان يصل التكبير إلى سماع القرشيين التى لا تبعد مساكنهم عن هذه الدار إلا بمسافة قصيرة، و لكن الفرح الذى غمرهم و الأمل الذى اصابهم كان اقوى من الخوف و من بطش القرشيين بعد ان انضم إلى صفوفهم نصير

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۲۹۳

جديد له فى قلوب المكيين رهبة و خشية عظيمين ..

و هذه الأسطر القليلة التى فصلت فى نفس عمر بن الخطاب و نقلته من صفوف المشركين إلى لواء الاسلام كانت آيات معدودة من سورة طه ..

و تمضى السنون و تتلاحق الأيام فتتظافر تبعا لها الجهود المريبة و تلتقى الآمال المشبوهة النيل من القرآن أو محاكاته، و لكن كل ذلك كان ينتهى إلى الفشل الذريع و الخسران المبين ..

و لا ضير هنا من ان نورد لونا آخر من هذه المساعى البائسة لنرى كيف بائت آمال ابطالها بالخسران و كيف أعترف فرسانها بالفشل و

عجزهم عن محاكاة القرآن أو التصدى له.

و هذا اللون الجديد من هذه الجهود و المساعى المريبة تلخص فى الرواية التالية و التى ننقلها بتصرف «۲۱». يروى انه قد التقى فى بيت اللّه الحرام عند مطلع الدولة العباسية أربعة من اقطاب الأدب و فرسان الزندقة و الالحاد و هم عبد الكريم بن أبى العوجاء و أبو شاكر ميمون بن ديصان و عبد اللّه بن المقفع «۲۲»

---

(۲۱) المعجزة الخالدة- السيد هبة الدين الشهرستانى.

(۲۲) ولد عبد اللّه بن المقفع فى البصرة فى النصف الأول من القرآن الثانى الهجرى (عام ۱۰۶ ه) و كانت- البصرة- حافلة بالأدباء و الشعراء فبرع باللغة العربية و آدابها و أصبح كاتبا للخليفة أبى جعفر المنصور، و نشأ ابن المقفع- كأبيه- زرادشتيا و أسلم على يد عيسى بن على عم المنصور و أصبح كاتبا عنده ..

و يرجع نسبه إلى الفرس، لذا كان عريقا فى الفارسية عالما بآدابها متمكنا من أساليبها لأنها لغته و لغة آبائه ..

لذا فعند ما أقدم على ترجمة كتاب (كليلة و دمنة) من الفهلوية (الفارسية القديمة) إلى العربية كانت ترجمته أمينة و صادقة ..

قتله عامل المنصور فى البصرة فى عام ۱۴۲ أو ۱۴۳ ه و عمره لا يتجاوز الأربعين سنة .. و سبب قتله هو تشدّده فى كتابة صيغة الأمان التى وضعها ليوقع عليها المنصور أمانا إلى عبد اللّه بن على حيث أفرط ابن المقفع فى الاحتياط بها حتى لا يجد المنصور منفذا فيها للاخلال بعهده، حيث غاظ المنصور ذلك فأوعز إلى عامله لقتله، و من آثاره الأدبية هو «الأدب الصغير و الأدب الكبير و اليتيمة و رسالة الصحابة و كليلة و دمنة» ..

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۲۹۴

و عبد الملك البصرى، فخاضوا فى مسائل الحج و مناسكه و الدعوة الاسلامية و ما يذوقون فى ظلها من صنوف التنكيل و المقاومة، و قد استقرت آراؤهم و التقت افكارهم فى معارضة القرآن و محاكاته و كشف ما به من اخطاء لأنه لو تحقق لهم ذلك تمكنوا من اسقاط الشريعة و ابطال مفعولها، لأن هذه الشريعة تعتمد على القرآن، فلو سقط القرآن- برأيهم- لسقطت الشريعة و انهدمت الدعوة ..

و لقد اتفق الأربعة على ان يتولى كل واحد منهم القيام بعبء نقض ربع من القرآن إلى نهاية السنة القادمة، و بجمع الأرباع الأربعة إلى بعضها فسيكون كل القرآن قد تم نقضه و بذلك سيريحوا انفسهم و جماهير المسلمين من تكاليف الاسلام و اعباءه من صلاة و صيام و زكاة و حج و جهاد .... الخ و ستتحقق بذلك مبادئهم و اهدافهم المتهرئة ..

فتفرق الأربعة كل إلى داره و مصره حاملا كل منهم ربع القرآن الذى وقع من نصيبه على ان يكون لقاءهم القادم فى مثل هذا الوقت و المكان من السنة القادمة ..

و لما حان الوقت المحدد حضر الجميع، و بعد ان استقر مكانهم و اخذوا فى التداول فيما بينهم عن اتفاقهم السابق حول نقض و استخراج القرآن كان ابن أبى العوجاء أول من رفع يده بالكلام حيث قال لرفاقه:

«انه ليأسف ان يقدم اعتذاره الحار عما كلف به لأنه عند ما راجع بعض الآيات التى كلف بنقضها ادهشته و سلبت افكاره و اصمت سمعه و بصره عند مروره بالآية: لَوْ كانَ فِيهِما آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتا، فَسُبْحانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ «۲۳» فانقطع عن اتمام عمله ..

---

(۲۳) الأنبياء: ۲۲.

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۲۹۵

و جاء من بعده دور الثانى ميمون بن ديصان فاعتذر هو بدوره و قال: «إنه قد افزعته و اذهلته الآية: يا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُباباً وَ لَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَ إِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبابُ شَيْئاً لا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَ الْمَطْلُوبُ

«۲۴» فشغل بها عن القيام بعمله المكلف به من قبل ..

و عند ما جاء دور الثالث و هو عبد اللّه بن المقفع فإنه ابدى اعتذاره لأنه شعر بنفس ما شعر به زملائه عند ما مرت من أمامه الآية: وَ قِيلَ يا أَرْضُ ابْلَعِي ماءَكِ وَ يا سَماءُ أَقْلِعِي وَ غِيضَ الْماءُ وَ قُضِيَ الْأَمْرُ وَ اسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَ قِيلَ بُعْداً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ «۲۵» فاشغلته آية نوح هذه عن المضى فى الأمر الذى اتفق عليه ..

اما الأخير و هو عبد الملك البصرى فكانت آية يوسف و هى قوله تعالى: فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا قالَ كَبِيرُهُمْ أَ لَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَباكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقاً مِنَ اللَّهِ وَ مِنْ قَبْلُ ما فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَ هُوَ خَيْرُ الْحاكِمِينَ «۲۶» هى التى ذهبت بلبه و صرفته عن الشروع فى إنجاز العمل الموكل إليه ..

و هكذا «سمع العرب آيات التحدى و اشتهرت فيما بينهم و دارت على السنتهم و لكن عجزوا عن معارضة القرآن و لو بمثل اقصر سورة منه مع انهم كانوا ائمة الفصاحة و البيان» «۲۷».

و دار الزمن من بعد ذلك دورته و سار الفلك ليقطع القرون

---

(۲۴) الحج: ۷۳.

(۲۵) هود: ۴۴.

(۲۶) يوسف: ۸.

(۲۷) منهج البيان فى تفسير القرآن- السيد ابن الحسن الرضوى.

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۲۹۶

و السنوات حيث اوصلنا إلى عهد المبشرين و المتشككين و اعداء الدين، هؤلاء الذين نراهم يتعبون أنفسهم و ينفقون الأموال الطائلة فى الحط من منزلة الاسلام و مكانة الرسول الكريم (ص) و عظمة القرآن المجيد، فلو كان فى مكنة هؤلاء ان يعارضوا القرآن و لو بقدر سورة واحدة لما تخلفوا أو تأخروا لحظة واحدة و لكان هذا أعظم الحجج بيدهم لتقويض دعائم الاسلام و اقرب الطرق لنسف و تحطيم حقائقه و معالمه و لما كلفوا انفسهم عناء انفاق و صرف الأموال و الاتعاب و الجهود بدون طائل أو بدون نتيجة مثمرة و مضمونة «۲۸» ..

و على الرغم من كل ذلك نجد هناك و فى نفس الوقت افرادا بل جماعات كثيرة من غير المسلمين سواء من المستشرقين أو من غيرهم من حكّموا ضمائرهم و حرّكوا وجدانهم و استيقظت قلوبهم فقالوا و كتبوا عن القرآن و اعجازه و فنونه و معارفه الكثير و قد تم جمع بعض أقوالهم و كتاباتهم فى فصل مستقل باسم «القرآن فى نظر غير المسلمين» فى نهاية هذه الدراسة ..

---

(۲۸) البيان فى تفسير القرآن- السيد أبو القاسم الخوئى، الإسلام على ضوء التشيع- الشيخ حسين الخراسانى.

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۲۹۷

صور من الإعجاز الفنى فى القرآن

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۲۹۹

لقد سبق ان قلنا فى الفصل السابق ان اعجاز القرآن الكريم لم يقتصر على وجه أو لون واحد و انما يقوم على وجوه و نواحى عديدة قد تعتبر كل واحدة منها معجزة قائمة بذاتها، و من أجل ايفاء الموضوع حقه سنشير فى أدناه إلى غالبية وجوه الاعجاز فى القرآن ثم نتناول واحدا أو أكثر منها بالشرح و التحليل من لها رابطة و علاقة بروح العصر و بالتقدم العلمى و التقنى الذى يعيشه المرء .. و هذه

الوجوه هى:

۱- فصاحة الألفاظ و الجمل و بلاغتها «۱» و سمو معناها و بيانها و جزالة منطقها و عذوبتها و بداعة نظمها و عجيب تأليفها و تناهيها فى الكمال مما يجعل وقعها فى النفوس كبيرا و تأثيرها فى القلوب عظيما «۲»، كما لا يوجد فى العربية أثر يجاريها فى بلاغتها بحيث يحفظ جمال الاسلوب

---

(۱) يقال أن الاصمعى سمع فتاة تقول قولا- بليغا فتعجّب من حسن حديثها و عذوبة منطقها و قوة فصاحتها فقال لها: قاتلك اللّه ما أفصحك ...؟ فأجابته ما أفصحنى، أين فصاحتى من فصاحة القرآن الكريم حين يقول فى سورة القصص الآية ۷: «وَ أَوْحَيْنا إِلى أُمِّ مُوسى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَ لا تَخافِي وَ لا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَ جاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ» ..

فقد جمع اللّه تعالى فى هذه الآية بين أمرين و نهيين و بشارتين و خبرين ..

(۲) نشير إلى أن قادة قريش حينما كانوا يتفقون على أن لا يسمعوا كلام اللّه فى مكة فإنهم كانوا لا يستطيعون صبرا على ذلك، فإذا أصبح الليل تخفى كل واحد منهم و سار خلف جدران البيوت و جلس فى الظلام ليسمع آيات اللّه يرتلها النبى (ص) و هو جالس فى داره ..

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۳۰۰

مع هذا المقدار من الطول و الاشتمال على الموضوعات المختلفة من الأوامر و النواهى و الوعد و الوعيد و القصص و غيرها ..

۲- القوانين الحكيمة و التشريعات المفصلة و الانظمة الكاملة و الاحكام العادلة الرحيمة لكل ناحية من نواحى الحياة و لكل العلاقات القائمة بين الأفراد ..

۳- الأسرار العلمية و الفلكية التى لم تكشف وقائعها و لم تفتح أبوابها إلا فى هذا الوقت و بعد اختراع المراصد و المجاهر الكبيرة ..

۴- أنباؤه الغيبية و اعلانه عن حوادث الزمان المستقبلية و خفايا الوقائع اللاحقة مما لا يقدر البشر عليه و لا سبيل لهم إليه، و قد ظهر بعد ذلك صدقها و تحققها مائة فى المائة ..

۵- سلامته من أى نوع أو لون من التعارض و التناقض و الاختلاف و الاغلاط و السهو و الاشتباه «۳».

۶- ابتعاده عن الخرافات و الاساطير التى من شأنها ان تسقط أمام العلم و تنحنى بوجه تيار المعرفة و الثقافة مع حملته الشعواء على هذه الاساطير و هذه الخرافات ..

۷- قصصه البديعة و حوادثه التاريخية عن الايام الماضية و العصور البائدة التى عفا عليها الزمن و اصبحت نسيا منسيا «فالاكتشافات التى تظهر فى كل وقت تضيف حقائق تثبت أن القرآن هو أول تفصيل لما لم يكن معروفا كالحفريات التى حققت قصة النبى يوسف و ما قام به و قصة الطوفان و فلك النبى نوح و ملكة سبأ» «۴».

---

(۳) المعجزة الخالدة- السيد هبة الدين الشهرستانى.

(۴) القرآن و العلم الحديث- عبد الرزاق نوفل.

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۳۰۱

۸- امثاله الشيقة و الجميلة التى تقلب الغائب إلى حاضر و المعقول محسوسا و الخيال واقعا و الخفى ظاهرا.

۹- طراوته فى كل زمان و مكان و كونه غضا طريا كلما تلى و اينما قرئ من دون ان يجلب للمقرئ أو المستمع الملل و النفور .. و بهذه المناسبة نذكر أنه قيل للإمام جعفر الصادق ع- «۵» لم صار الشعر و الخطب يمل ما أعيد منها و القرآن لا يمل ...؟

فأجاب: لأن القرآن حجة على أهل الدهر الثانى كما هو حجة على أهل الدهر الأول، فكل طائفة تتلقاه غضا جديدا، و لأن كل امرئ

متى اعاده و فكر فيه تلقى منه فى كل مدة علوما غضة، و ليس هذا كله فى الشعر و الخطب ..

۱۰- مباحثه الإلهية كأحسن و أكمل دراسة و بحث فى علوم اللاهوت و فى كشف و بيان اسرار السماوات و فلسفة المبدأ و المعاد و قيام الساعة و وصف الجنة و النار و الصراط و الميزان ..

---

(۵) الإمام جعفر الصادق بن محمد الباقر بن على زين العابدين بن الحسين السبط ابن على بن أبى طالب- ع- و أمه أم فروة فاطمة بنت القاسم بن محمد بن أبى بكر و هو سادس الأئمة عند الإمامية.

ولد بالمدينة عام ۸۳ هجرية، و كان من عظماء العباد و أكابر الزهاد حتى قال فيه الإمام مالك: «ما رأيت عينىّ أفضل من جعفر بن محمد فضلا و علما و ورعا»، كما و قال الإمام أبو حنيفة فيه: «ما رأيت أفقه من جعفر بن محمد».

و كان الإمام كالبحر من أى النواحى أتيته، و كانت أيامه فى نهاية الدولة الأموية و بداية الدولة العباسية، حيث أتيحت له فى هذه الفترة ما لم يتهيأ لإمام قبله أو بعده لتبليغ رسالته العلمية و الأخلاقية للناس حتى بات هناك (۴) آلاف راوية يقول كل واحد منهم «حدثنى جعفر بن محمد» لذا نسب المذهب إليه .. توفى بالمدينة عام ۱۴۸ ه و دفن فى البقيع مع أبيه وجده- عليهم السلام ..

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۳۰۲

۱۱- «سهولة طريقه فهو خارج عن الوحشى المستكره و الغريب المستنكر و عن الصنعة المتكلفة و كونه قريبا إلى الافهام و واضحا للأنام و هو مع ذلك ممتنع المطلب و عسير المنال» «۶».

۱۲- كونه آخر الكتاب غنيا عن غيره و كون غيره من الكتب المتقدمة قد تحتاج إلى بيان يرجع فيه إليه» «۷» ..

هذا و ان كل ما اوردناه آنفا عن وجوه الاعجاز و التى امكن جمعها من مصادر و مؤلفات عديدة يعدها السيوطى فى الاتقان بانها جزا واحدا من عشر معشار وجوه الاعجاز فى القرآن الكريم، و سواء أ كانت وجوه الاعجاز بالعدد الذى ذهبنا اليه أو أكثر من ذلك باضعاف مضاعفة، فانى ارى بان كل وجه واحد قد يعتبر معجزة قائمة بذاتها ليس فى امكان الغير الاتيان بمثله و ان ذهبت البعض كالزركشى فى البرهان من ان الاعجاز فى القرآن وقع بجميع ما سبق من الوجوه لا بكل واحد على انفراده لأنه جمع ذلك كله، فلا معنى لنسبته إلى واحد منها بمفرده مع اشتماله على الجميع الخ ..

و كيفما كان الحال فإننا هنا سنقتصر فى البحث و الاشارة إلى وجهين فقط من الاعجاز و اللتين وردتا فى الفقرتين (۳ و ۴) و المتعلقتان بالابحاث العلمية و الغيبية و ذلك لارتباطهما بروح العصر ارتباطا قد يفوق ما عداهما، تاركين الوجوه الأخرى فى مظانها و مصادرها ..

فبقدر تعلق الأمر بالميدان العلمى فنقول بان القرآن الكريم يشير فى اماكن عديدة منه إلى ظواهر علمية و فلكية لم يتفهمها الناس حق فهمها إلا فى العصور المتأخرة و بعد ان تطوّرت الاختراعات و الابحاث العلمية و وصلت إلى درجة عالية من الرقى و الإزدهار ..

---

(۶) إعجاز القرآن- أبو بكر الباقلانى.

(۷) الإتقان فى علوم القرآن- جلال الدين السيوطى.

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۳۰۳

فمثلا- نأمل قوله تعالى وَ الْخَيْلَ وَ الْبِغالَ وَ الْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوها وَ زِينَةً وَ يَخْلُقُ ما لا تَعْلَمُونَ «۸» ففى هذه الآية يعدّد القرآن الكريم وسائل النقل المعروفة منذ السنوات الغابرة إلى وقت قريب، فلو وقفت هذه الآية عند ذكر الخيل و البغال و الحمير لاصطدمت لا محالة مع الوسائط النقلية التى نجدها الآن و بعد ان اوشكت الوسائط القديمة على الانقراض، و لكن اللّه تعالى أعقبها بقوله: وَ يَخْلُقُ ما لا تَعْلَمُونَ فجعلت الآية تتفق و كافة وسائط النقل الجديدة من طائرات و قطارات و بواخر و سيارات و غيرها «۹» ..

و انظر إلى قوله تعالى: فَلا أُقْسِمُ بِما تُبْصِرُونَ وَ ما لا تُبْصِرُونَ «۱۰» فان القدامى عند ملاحظتهم للشطر الأخير من الآية «ما لا تُبْصِرُونَ» لم يتجاوز مدى تفسيرهم و تأويلهم لها عن معنى الجن و الأرواح و الأشباح إلا- انها الآن تستوعب كافة الأشياء التى اثبت العلم وجودها دون التمكن من رؤيتها بالعين المجردة كالإلكترونات و البروتونات و الجراثيم و الذرة «۱۱» ..... الخ ..

و تدبّر كذلك قوله تعالى وَ جَعَلْنَا السَّماءَ سَقْفاً مَحْفُوظاً وَ هُمْ عَنْ آياتِها مُعْرِضُونَ «۱۲» ألا تعنى السماء هنا سماء الأرض و هو الجو المحيط بالأرض من كافة اطرافه، و هذا الجو يحمى الناس من الشهب و النيازك التى تتساقط منها يوميا مئات الأطنان ..

و لو كتب لهذه الشهب و النيازك و المكوّنة من الصخور و المعادن و الاحجار السقوط على الأرض لدمّرت غالبية مناطق الأرض و لجعلت

---

(۸) النحل: ۸.

(۹) فى الإيمان و الإسلام- أحمد حسين.

(۱۰) الحاقة: ۳۸.

(۱۱) فى الإيمان و الإسلام- أحمد حسين.

(۱۲) الأنبياء: ۳۲.

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۳۰۴

الحياة عليها قلقة و مربكة ان لم تكن معدومة، و لكن عند مرور هذه الشهب بجو الأرض و احتكاكها بالهواء (تحترق نتيجة سرعة هذا الاحتكاك) قبل وصولها إلى سطح الأرض، و تتحول أثر ذلك إلى ذرات و غبار تسبح فى الجو.

كما و يحمى جو الأرض الانسان من الاشعاعات الكونية المهلكة و القادمة من الفضاء و يحميه أيضا من الكهارب و الاجسام الكهربائية الصغيرة الواردة من الأعلى ..

اذن هل سبقت هذه الآية العلم الحديث بألف و ثلاثمائة سنة و هل هى- الآية- إلا انعكاس لأحدث النظريات العلمية التى تشير إلى وقاية الجو المحيط بالأرض لسطح الأرض من فتك و تدمير الشهب و النيازك الساقطة عليه من الفضاء يوميا و التى تقدر بآلاف الاطنان من الصخور و الأحجار كل يوم ..

و لاحظ أيضا قوله تعالى خَلَقَ الْإِنْسانَ مِنْ عَلَقٍ «۱۳» ألا يتفق مفهوم الآية و روح العصر- بعد اختراع المجاهر- و الذى اثبت ان الماء الذى ينقل من الذكر إلى الأنثى عند الاتصال الجنسى ما هو إلا عدة ملايين (۳۰۰- ۴۰۰) مليون من الحويمنات المنوية التى تشبه العلق فى شكلها و هيئتها بان لها رأس و رقبة و ذيل، و عند التقاء أحد الحويمنات و هو الذى يفوز بقصب السبق بالبويضة الجاهزة عند المرأة تنقسم البويضة الملقحة على نفسها عدة انقسامات لتكوّن بعد ذلك الجنين الذى سيستقر فى قعر الرحم، و من الجنين هذا يتكون الانسان بينما تهلك الملايين العديدة من تلك الحويمنات المنوية.

و تأمل قوله تعالى: وَ أَرْسَلْنَا الرِّياحَ لَواقِحَ «۱۴» أ لم تسبق هذه الآية الزمن بوقت طويل، حيث ان العالم إلى ما قبل وقت قصير لم يكن

---

(۱۳) العلق: ۲.

(۱۴) الحجر: ۲۲.

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۳۰۵

ليعرف ان النبات كبقية الكائنات له عضو مذكر و آخر مؤنث و انه يتلاقح كما يتلاقح الانسان و ان الرياح هى الواسطة الرئيسية فى كثير منها ..

و انظر الآـن إلى الآيـة الأخرى و هى قوله تعالى: وَ تَرَى الْجِبالَ تَحْسَبُها جامِدَةً وَ هِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِى أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ «۱۵» أ لا تشير هـذه الآيـة الكريمـة بكل صراحة و وضوح إلى أن الجبال تتحرك رغم ان رؤيتنا لها تـدل على انها جامدة و ثابتة فى محلها، و اذا ما تحركت هذه الجبال و هى متصلة بالأرض فهل يعقل ان تبقى الأرض تحتها ثابتة أم انها تأخذ نفس حركتها و دورانها.

اذن ألا توحى هذه الآية و تشير بجلاء إلى حركة الأرض و هى الحركة التى لم يدركها علماء الغرب إلا فى العصور المتأخرة.

و بعـد هـذا تدبّر هذه الآية «الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْداً» «۱۶» ألا يشـير الوصف هنا إلى المهد الذى يصـنع للطفل الرضيع ليهتز تحته لينام بكل سكينة و هدوء.

و ان الأرض هذه ذات الطول و العرض هى كالمهد فى حركتها الوضعية و الانتقالية «۱۷» ..

و لاحـظ أيضـا قوله تعالى: يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهارِ وَ يُكَوِّرُ النَّهارَ عَلَى اللَّيْلِ «۱۸» أ لا ترى ان مفهوم و وصف الآيـة لليل و النهار (الذى ينزلق الواحـد منها على الآخر بفعل دوران الأرض المسـتمرة» المحيطين بالأرض من كل الأطراف و الجهات احاطة السوار بالمعصم و هو وصف التكوّر، و هل تكورهما هـذا قد جاء إلا من شـكل الأرض التى تحيط بها من الداخل حيث ان تكويرهما يقتضـى تكوير ما انبسط عليها «۱۹» كما هو

---

(۱۶) طه: ۵۳.

(۱۵) النمل: ۸۸.

(۱۷) البيان فى تفسير القرآن- السيد أبو القاسم الخوئى.

(۱۸) الزمر: ۵.

(۱۹) الإسلام روح المدنية- مصطفى الغلاييني.

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۳۰۶

الحال عليه فى السوائل التى تأخذ شكل و هيئة قعر و جدران الاناء الذى تنسكب فيه ..

و الآن هل للتكوّر معنى غير التحـدب و هل التحـدب إلا الكرويـة، و هل هذه الآية إلا دليل ناطق على كروية الأرض و عدم تسـطحها على عكس ما تصوّره الأقدمون و إلى وقت قريب من ان الأرض مسطحة و مستوية ..

و تأمـل بعـد الآن قوله تعالى أَ وَ لَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ كانَتا رَتْقاً فَفَتَقْناهُما «۲۰» أ لا تنطبق هذه الآية على النظرية العلمية الحديثة لخلق المجموعات الشمسـية و اصل الكون، هذه النظرية التى تذهب إلى ان كافة النجوم و الكواكب و المجرات كانت كلها منـذ ملايين السـنين كتلـة واحـدة تـدعى «السـديم اللولبى» و بطريقـة غير معلومة و غير واضـحة جرت عليه عدة انقسامات متتالية مكونة من ذلك المجموعات الشمسية و منها (مجموعتنا الشمسية) و النجوم و الكواكب التى تملأ سماء الدنيا.

و تدبر بعد هذا قوله سبحانه: أَ يَحْسَبُ الْإِنْسانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظامَهُ بَلى قادِرِينَ عَلى أَنْ نُسَوِّيَ بَنانَهُ «۲۱» و هل البنان هنا إلا نهاية الأصابع و هى البصمات التى يستعملها الناس فى التواقيع ..

ان هذه البصـمات لا يمكن ان تتشابه بين شخصـين اثنين رغم التشابه النسبى الملاحظ على بعض الاعضاء كالأعين و الأنوف و الآذان و غيرها، لذا اشار اللّه تعالى إلى ان قدرته و سلطته تتمكن من اعادة و انشاء ادق شىء فى الانسان و هى البصمات.

ان هذه البصمات لم يدرك الانسان كنهها و حقيقتها إلا منذ مدة قريبة و فى سنة ۱۸۸۴ م على وجه التحديد عند ما استعملت بريطانيا

---

(۲۰) الأنبياء: ۳.

(۲۱) القيامة: ۳.

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۳۰۷

بصمات الأصابع لمعرفة هويات الناس و للتمييز ما بينهم ..

و انظر بعد هذا إلى قوله تعالى وَ الشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَها ذلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ «۲۲» ألا تتفق هذه الآية مع ما اثبته العلم الحديث اذ كشف ان الشمس تتحرك مع مجموعتها بسرعة ۱۹ كم فى الثانية فى اتجاه نقطة معينة ..

و تأمل قوله تعالى أَ لَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَسَلَكَهُ يَنابِيعَ فِي الْأَرْضِ «۲۳» فهل توحى هذه الآية إلى شرح دورة المياه الجوفية من السماء إلى سطح الأرض و جوفها و إلى الخزانات الجوفية ثم إلى نافورات و ينابيع تعود إلى سطح الأرض من جديد» «۲۴».

ثم انظر إلى قوله عز و جل وَ جَعَلْنَا اللَّيْلَ وَ النَّهارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنا آيَةَ اللَّيْلِ وَ جَعَلْنا آيَةَ النَّهارِ مُبْصِرَةً «۲۵» فهل تشير هذه الآية إلى ان القمر و هو آية الليل مظلم و ان الشمس و التى هى آية النهار مضيئة حيث ان محو آية الليل هو جعلها مظلمة بنفسها و ان نورها مكتسب من الشمس، كما و ان جعل آية النهار مبصرة أى مضيئة بنفسها لأن النور ذاتى لها «۲۶» ..

و لاحظ أيضا قوله تعالى: وَ السَّماءِ ذاتِ الرَّجْعِ وَ الْأَرْضِ ذاتِ الصَّدْعِ «۲۷» فالسماء فى هذه الآية توصف بانها ترجع ما يصعد اليها، و كلنا يرى بخار الماء يرجع الينا مطرا، كما ان الأمواج اللاسلكية و التلفزيونية ترتد الينا هى الأخرى من السماء اذا ارسلت إليها بسبب انعكاسها على الطبقات العليا الأيونية، لذا نستطيع التقاط كافة الاذاعات و المحطات من الأرض بعد انعكاسها و لو لا ذلك لضاعت الأمواج

---

(۲۲) يس: ۳۸.

(۲۳) الزمر: ۲۱.

(۲۴) القرآن- محاولة لفهم عصرى- مصطفى محمود.

(۲۵) الاسراء: ۱۲.

(۲۶) الإسلام روح المدنية- مصطفى الغلاييني.

(۲۷) الطارق: ۱۱.

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۳۰۸

و تشتت، فالسماء اشبه بمرآة عاكسة ترجع ما يبث إليها، كما ان الأرض هى الأخرى ذات الصدع أى تنصدع ليخرج منها النبات و نافورات البترول و المياه المعدنية و العيون و البراكين «۲۸» ..

تعال معى لنرى سويا هذه الآية و هى قوله تعالى: فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ ... أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً كَأَنَّما يَصَّعَّدُ فِي السَّماءِ «۲۹» .. أ لا تدل هذه الآية على ان الصعود إلى الأعلى فى السماء يسبب ضيقا فى الصدر و هو نتيجة طبيعية لنقص كمية الأوكسجين و انخفاض الضغط فى طبقات الجو العليا، و كل هذه الأمور لم تعرف إلا من مدة قريبة «۳۰» ..

لذا نرى رواد الفضاء يرتدون ملابسا خاصة تجعل كمية الأوكسجين و الضغط دائما و ابدا فى داخلها فى الوضع الطبيعى و كما هو على سطح الأرض، و إلا فالموت المحقق سيكون فى انتظارهم لا محالة ..

و أخيرا و ليس آخرا نذكّر القارئ ببعض الآيات العلمية التى تشير إلى الحديد و استعمالاته و خلقة الانسان منذ استقرار النطفة فى الرحم إلى ان يصبح سويا و طبيعة الكون و خلقة كل حى من ذكر و انثى من أجل البقاء و استمرار الحياة و كون هذه الخلقة منذ جاءت من الماء و طبيعة الأرض و مسالكها .... الخ ..

و أما فيما يتعلق الأمر بالفقرة الأخرى و هى الميدان الغيبى فنجد فى القرآن الكريم تنبؤات عديدة تشير إلى حتمية وقوع حوادث فى المستقبل القريب أو البعيد ثم يدور الزمن دورته لنرى صدق و تحقق هذه التنبؤات و الحوادث مائة فى المائة ..

و أول هذه التنبؤات تلك التى يشير اليها المؤرخون دوما فى كتبهم و اخبارهم و هى الواقعة (المعركة) التى جرت بين الفرس و الروم

---

(۲۸) القرآن- محاولة لفهم عصرى- مصطفى محمود.

(۲۹) الأنعام: ۱۲۵.

(۳۰) الإسلام روح المدنية- مصطفى الغلاييني.

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۳۰۹

(الرومان) و التى انتصر فيها الفرس سلفا و كانت فى سنة ۶۱۸ م، كما و كانت قيادة جيوش الفرس بيد ملكهم (خسرو الثانى) و هذا الانتصار الذى تم للفرس أولا ادى- حين وصول خبره إلى مكة- ادى إلى فرح و غبطة و تشمت القرشيين بالمسلمين، لأن الرومان و هم اصحاب دين سماوى قد هزموا و اندحروا امام جيوش الفرس الذين لا يدينون بدين سماوى و كذلك الأمر سيكون فى مكة حيث سينتصر القرشيون و هم غير مرتبطين بدين سماوى على المسلمين الذين يدعّون (بزعم القرشيين) انهم اهل دين جاء من السماء كالرومان ..

و لكن الوحى لم يكن ليترك الرسول (ص) و المسلمين فريسة هذه الشماتة و هذا الفرح الغامر و السرور الذى عاشه الكفار من قريش بل جاء ليخبرهم أمر اللّه و حكمه الذى لا مرد له و هو ان الرومان سيعيدون الكرة على الفرس و ينتزعون منهم النصر فى غضون و بحر عدة سنين «۳۱» ..

فما هى إلا سنوات معدودات و اذا بالرومان بقيادة امبراطورهم هرقل ينزلون بساحة جيوش الفرس بقيادة كسرى برويز «۳۲» الهزيمة و الخسران فى الواقعة المعروفة باسم الزاب أو (نينوى) عام ۶۲۷ م ...

و الآية أو الآيات التى نزلت فى هذا الصدد هو قوله تعالى: الم، غُلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَ هُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ فِي بِضْعِ سِنِينَ «۳۳» ..

---

(۳۱) يروى هنا أن الخليفة أبا بكر الصديق كان قد راهن مشركى مكة على تحقق هذا التنبؤ فكسب الرهان بطبيعة الحال و أنفقه كله فى الصدقة ..

(۳۲) كسرى برويز هو نفسه الذى أرسل إليه الرسول (ص) كتابا يطلب فيه إشهار إسلامه و لكنه عرض أن يلبى نداء الإسلام مزّق الكتاب و طلب من عامله على اليمن إيفاد من يجلب الرسول إليه، و حين علم النبى (ص) بذلك قال: مزّق اللّه ملكه. فكان كما قال النبى ..

و برويز هذا هو حفيد كسرى أنو شروان العادل و الذى ولد الرسول (ص) فى عهده و قد طالما ردد الرسول أنه ولد فى عهد كسرى العادل ..

(۳۳) الروم: ۲۰۱.

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۳۱۰

و من هذه الغيبيات ما جاء فى سورة اللهب و هى قوله تعالى:

تَبَّتْ يَدا أَبِي لَهَبٍ وَ تَبَّ ما أَغْنى عَنْهُ مالُهُ وَ ما كَسَبَ، سَيَصْلى ناراً ذاتَ لَهَبٍ، وَ امْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ، فِي جِيدِها حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ.

فهذه السورة مكية نزلت فى بدء الدعوة الاسلامية و هى تعبّر بوضوح و جلاء عن السخط و اللعنة الدائمة التى تصب على رأس هذا القرشى و زوجته فضلا عن الاشارة إلى ان مصيرهما فى الآخرة سيكون قطعا إلى العذاب و النار ..

هذا و قد شاهدنا فى خلال احداث التاريخ الاسلامى ان كثيرين من ألد اعداء الاسلام قد تحوّلوا فيما بعد إلى اشد مدافع و ذائد عنه

بعد اسلامهم و انضمامهم إلى صفوف المسلمين.

فيا ترى ما هو الحال الذى سينجم فيما اذا كان ابو لهب أو زوجته كأحد هؤلاء الذين اشهروا اسلامهم فيما بعد و انضموا إلى جماعة المسلمين ..

ان اللّه تعالى علم بأن هذا الشخص و زوجته سوف يبقيان إلى الأبد على كفرهما و حربهما للرسول و لن يتشرفا مطلقا بالدخول إلى الاسلام و ان اللعنة ستلحقهما حتى حتفهما و بعده ..

و هكذا تحقق صدق الآية حيث لم يزل أبو لهب ينقلب على أمواج الكفر و يظهر عداءه و بغضه للاسلام حتى هلك بعد واقعة بدر الكبرى عام ۲ للهجرة و التى لم يشهدها بنفسه، فذهب مع زوجته يشيعهما العار و الشنار إلى العذاب و العقاب الشديد «۳۴» ..

و من الغيبيات أيضا قوله تعالى إِنَّ عَلَيْنا جَمْعَهُ وَ قُرْآنَهُ «۳۵» و قوله إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَ إِنَّا لَهُ لَحافِظُونَ «۳۶». فقد اشارت هاتان الآيتان

---

(۳۴) فى الإيمان و الإسلام- أحمد حسين ..

(۳۵) القيامة: ۱۷.

(۳۶) الحجر: ۹.

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۳۱۱

إلى ان القرآن الكريم فى حرز حريز و محفوظ من التحريف و الضياع و التبديل، و ان كل يد مهما علت و سمعت لا يمكنها ان تتلاعب فيه، و هكذا تحقق فيما بعد صدق الآيتين عن طريق عدم ضياع أو فقدان أية آية من كتاب اللّه و الذى تم جمعه فيما بعد فى المصحف الذى هو بأيدى المسلمين الآن و على الترتيب و الطريقة التى اشرنا اليها من قبل ..

و من المغيبات كذلك قوله تعالى لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرامَ إِنْ شاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُسَكُمْ وَ مُقَصِّرِينَ لا تَخافُونَ «۳۷» فهذا الذى وعد به القرآن قد تحقق فعلا فيما بعد و دخل المسلمون مكة المكرمة معتمرين و حاجين أولا ثم دخلوها فاتحين و منتصرين و تمت بذلك إرادة اللّه و صدق كلامه و وعده الذى لا مبدل له «۳۸» ..

هذا علما بان قريش كانت هى القبيلة الواسعة النفوذ و السلطان فى الجزيرة العربية بما فيها مكة و الحرم الشريف، و كانت هى السبب فى ايقاف حركة الدعوة الاسلامية فى انحاء الجزيرة، و لما رأت العرب هذا الموقف الحازم من قريش ازاء الدين الجديد تريث فى الدخول و الانضمام تحت لواءه لحين ظهور الحقيقة ..

و لكن لما تحقق وعد اللّه بانتصار المسلمين على قريش و دخولهم المسجد الحرام فاتحين دخلت القبائل العربية تترى فى الدين الجديد، حتى لم يبقى أحد- فى عهد الخليفة عمر بن الخطاب- من لا يعتنق هذا الدين فى طول الجزيرة العربية و عرضها ..

و من المغيبات أيضا قوله تعالى على لسان كفار قريش فى يوم بدر أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرٌ، سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَ يُوَلُّونَ الدُّبُرَ «۳۹» ..

---

(۳۷) الفتح: ۲۷.

(۳۸) فى الإيمان و الإسلام- أحمد حسين.

(۳۹) القمر: ۴۴.

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۳۱۲

و كان هذا عند ما تقدم قائد قوات جيش الكفر فى بدر (ابو جهل) نحو الصفوف الأولى من جيشه مناديا أو صارخا بكل غرور و على مسمع من الرسول (ص) و اصحابه مناديا: بأنه سينتصر اليوم حتما على محمد و أصحابه، فانزل اللّه سبحانه الآيات المذكورة ليطمئن

قلوب المسلمين و التى اوشكت بعضها ان تضطرب و تهلع عند سماع تهديدات أبى جهل المتقدمة و وعيده بتزاحم عدد جيشه و كثرته ..

فلم تمضى على هذه التهديدات إلا ساعات معدودة و اذا بتلك الجموع الهائلة المحتشدة لقتال المسلمين تنكص على اعقابها و تتراكض مسرعة إلى الخلف لا تلوى على شىء طلبا للنجاة و السلامة تاركة على ارض المعركة عددا كبيرا من القتلى و الجرحى منهم بعض قادتها و زهرات شبابها و على رأسهم صاحبه الوعد و الوعيد «أبو جهل» نفسه الذى قتل فى المعركة و ذهبت روحه مشيعة بالذلة و الهوان إلى السعير و بئس المصير ..

هذا اضافة إلى آيات غيبية كثيرة كرؤيا الرسول أو الشجرة الملعونة أو ارسال الرسول بالهدى لا ظهاره على الدين كله، أو الأذى الذى سيلاقيه الرسول .... الخ حيث تحقق كل ذلك جملة و تفصيلا ..

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۳۱۳

العناية بالقرآن

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۳۱۵

كانت العناية بالقرآن و رعايته و لا زالت واجبا و فرضا أدبيا و دينيا على كل مسلم و مسلمة لأنه كتاب اللّه العظيم الذى لا يشوبه الباطل أو يأتيه الضلال و هو أيضا معجزة الرسول (ص) و الأساس الذى يقوم عليه الاسلام، اضافة إلى ما يضم من علوم و فنون و آداب و تشريعات و افكار تضمن البشرية- عند العمل بها- التقدم و الرقى و الإزدهار ..

لذا فقد اولاه المسلمون ما يستحقه من المكانة الرفيعة و الدرجة السامية و اسبغوا عليه كل أسباب التكريم و التعظيم بما فى ذلك حفظه و كتابته و طبعه و تحسينه و استخراج فرائده .. الخ.

فبصدد حفظه و تعلمه فقد كان المسلمون- قديما و حديثا- لا يألون جهدا فى حفظ و استظهار شىء من القرآن قل أو كثر طلبا للثواب «۱» و العظة و التماسا للعبرة و التبرك و تقويما للغة و اللسان تأكيدا

---

(۱) دوّن بعض المؤرخين فى كتبهم اسماء كافة السور القرآنية و وضعوا أمام كل سورة مقدار الثواب و الجزاء الذى سيناله المرء عند إتمام قراءتها مثل مائة حجة مقبولة أو صيام مائة شهر أو قيام ألف ليلة أو وزن كل سحاب مضى و كل سحاب أتى أو عشر حسنات بعدد المؤمنين و المنافقين أو عشر حسنات بعدد كل رملة على وجه الأرض أو كمن بايع تحت الشجرة مع الرسول (ص) أو حاسبه اللّه حسابا يسيرا أو سقاه اللّه من الرحيق المختوم أو لم يكتب من الغافلين .. الخ (مقدمتان فى علوم القرآن- آرثر جفرى) و الحقيقة إن كل هذا هو مبالغة قبل أن يكون واقعا، فلكل سورة أجر و ثواب عظيمين و لكن ليس كما هو مدوّن عند هؤلاء الناس ..

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۳۱۶

و استجابة لما ورد عن الرسول (ص) بقوله: «خيركم من تعلم القرآن و علّمه» و قوله (ص): «حملة القرآن فى ظل اللّه يوم لا ظل إلا ظله» و قوله أيضا (ص): «القرآن خير دواء» و قوله: «ما اجتمع قوم فى بيت من بيوت اللّه يتلون كتاب اللّه و يتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة و غشيتهم الرحمة و حفتهم الملائكة و ذكرهم اللّه فيمن عنده» و قوله (ص): «اعربوا القرآن و التمسوا غرائبه» ..

و من أجل تعميم و نشر القرآن الكريم فقد ورد فى الأخبار كراهية أخذ الأجرة على تعليم شىء منه و كذلك على نسخه ذهب البعض إلى إباحته لأن فيه منفعة بتعليم القرآن و تعميمه و حيث انه يجوز جعله مهرا فإنه يجوز أخذ الأجرة عليه- اذ لو حرمت الأجرة لحرم جعله مهرا ..

لذا كان المسلمون يتنافسون و يتسابقون فيما بينهم فى عدد المرات التى انهوا (ختموا) بها قراءة القرآن كله، كما و كانت تقام فى

المكاتب و المدارس و إلى عهد قريب مسيرات و حفلات خاصة على شرف الطالب الذى فرغ لتوه من ختم القرآن، حيث تطوف المسيرة طرقات البلدة و هى تضم كافة الطلبة و يتقدمها الطالب الفائز بشرف الختم و توزع عليه و عليهم الهدايا و الأموال و التى ترد من أهل الطالب و معلميه و اصدقائه و أهل الخير.

و لغرض الحرص على حفظ القرآن الكريم و دراسته فقد تم تقسيم القرآن إلى احزاب و أجزاء و ارباع حيث الأحزاب ستون و الأجزاء ثلاثون و الأرباع (۲۴۰) و تم تقسيم كل سورة إلى خمسيات (خمس آيات) و عشرات (عشر آيات) اضافة إلى تقسيم القرآن إلى:

۱- الطوال و هى سبع.

و الظاهر هنا انها وضعت حسبة من قبل واحد أو أكثر (بعد ان انقطع الناس إلى صحيح البخارى و صحيح مسلم و تركوا القرآن) لأجل حث و ترغيب الأفراد على قراءة القرآن و تفضيله على ما عداه فأخذها المؤرخون كحقيقة مسلم بها.

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۳۱۷

۲- المئين و هى التى تزيد على المائة.

۳- المثانى و هى التى تزيد تليها فى عدد الآيات.

۴- المفصّل لكثرة الفصل بين سوره بالبسملة و تبدأ من سورة (ق) أو الحجرات إلى نهاية القرآن ..

هذا و قد اصطلح الناس الآن على ان يسمّوا من يقرأ القرآن عن ظهر قلب و وفق قواعد التجويد ب «الحافظ» و لمن يقرأ من المصحف وفق تلك القواعد ب «القارئ» أو «المقرئ» ..

علما بان «القراءة فى المصحف تعتبر اكثر أجرا و اجزل ثوابا من القراءة عن ظهر قلب» «۲» لأن الأولى تجمع بالاضافة إلى القراءة النظر إلى القرآن، بينما تفتقر الثانية على القراءة فقط «۳»، لأن النظر إلى القرآن أو (فى القرآن) عبادة ..

و طبيعى ان مجرد النظر الى القرآن ليس هو فقط سبب الثواب و علة الأجر و انما هو وسيلة و طريقة للاحتفاظ بالمصحف و الاعتناء به و ربما نسخه، بينما القراءة عن ظهر قلب قد تؤدى إلى قلة الحاجة إلى نسخ القرآن و بالتالى ندرتها و فقدانها بمرور الزمن ..

و يذكر هنا ان الصحابة كانوا يقرءون فى المصحف و يكرهون ان يمر يوم و لم يمتّعوا انظارهم برؤية المصحف الشريف «۴» ..

---

(۲) البيان فى تفسير القرآن- السيد ابو القاسم الخوئى، التبيان فى آداب حملة القرآن- يحيى شرف الدين النووى.

(۳) البرهان فى علوم القرآن- بدر الدين الزركشى.

(۴) يروى عن الرسول (ص) بهذا الصدد قوله: «فضل قراءة القرآن نظرا على من يقرؤه ظهرا كفضل الفريضة على النافلة».

و يروى أن إسحاق بن عمار سأل الإمام الصادق- ع- و قال له: جعلت فداك إنى أحفظ القرآن عن ظهر قلبى، فأقرؤه عن ظهر قلبى أفضل أو أنظر فى المصحف، فأجابه الإمام: لا بل أقرأه و انظر فى المصحف فهو أفضل أما علمت أن النظر فى المصحف عبادة ..

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۳۱۸

كما و كانوا يقرءون الآيات تجويدا و التجويد هو «اعطاء الحروف حقوقها و ترتيبها و رد الحرف إلى مخرجه و اصله و تلطيف النطق به على كمال هيئة من غير اسراف و لا تعسف و لا افراط و لا تكلف» «۵».

و قد تطورت طريقة تلاوة القرآن بمرور الزمن و اتجهت نحو التحسين و الكمال، و قد امكن بذلك جمع القواعد و الضوابط و المحسنات لهذه القراءة الكاملة فى باب خاص دعى ب «علم التجويد» ..

ان هذا العلم و ان كان غير واجب الالمام بتفاصيله و دقائقه لمن يقرأ فى القرآن أو يقرأ بعض سوره فى الصلوات، إلا ان معرفة و

دراسة قواعده العامة و اوّلياته- أى مراعاة الوقف التام و الحسن و الاتيان بالحروف على الهيئات المعتبرة ... الخ- واجب و ضرورى لكل هؤلاء ..

و قد ذهب البعض إلى انه يجب الامتناع عن قراءة القرآن الكريم دون العلم المسبق بالف باء و قواعد التجويد العامة، لأن الالمام بذلك سيجنّب القارئ الأخطاء و المزالق عند القراءة و التجويد حيث سيقف فى محلات الوقوف و يعطى كل حرف حقه فضلا عن الادغام فى حروف «يرملون» «۶» ... الخ و فى الحقيقة فان خير قراءة للقرآن تلك التى تكون اشد تأثيرا فى

---

(۵) مباحث فى علوم القرآن- مناع القطان.

(۶) من الأمثلة التى تعم فيها البلوى فى القراءة نورد بعض النقاط التى ينبغى الالتزام بها و التقيد بمضمونها ..

على القارئ الكريم عند القراءة أن يسكن الحرف الذى يقع فى نهاية كل لفظ أو جملة يقف عندها، كما و عليه أيضا إذا التقى لديه حرفان من حروف (يرملون) الستة أن يدغم الحرف الأول (فلا يقرءوه) فى الحرف الثانى الذى عليه أن يقرأه و يظهر صوته، و كمثل بسيط على ذلك هو أنه قد قرأ الآية «وَ لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ» أن يدغم النون باللام لتقرأ الآية هكذا «و لم يكل له كفوا أحد» ... و هكذا فى بقية الحالات المماثلة ..

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۳۱۹

النفس و خشوعا فى الفكر و البصيرة و هذه لا تتم إلا بحضور القلب و تدبر لمعانى الكلمات و التفكر فى مقاصدها و اهدافها و الانفصال فى مضامينها بعد الكون على الطهارة و الاستعاذة من الشيطان الرجيم ..

علما بان «الاستعاذة عند التلاوة مستحبة غير واجبة بلا خلاف فى الصلاة و خارج الصلاة» «۷» و ان «لا يقرأ العبد القرآن اذا كان على غير طهور حتى يتطهر» «۸» ..

و نشير إلى ان القراءة المثلى للقرآن و سبيلها الصحيح ينبغى ان تكون وفقا لما قاله الشاعر الباكستانى المسلم الدكتور محمد اقبال «۹» و هو «اذا اردت ان تفقه القرآن، عليك ان تقرأه كأنه نزل عليك و كأنك أنت الخاطب الرئيسى فيه و المعنى به» ..

---

(۷) مجمع البيان فى تفسير القرآن- أبو على الفضل بن الحسن الطبرسى.

(۸) وسائل الشيعة- الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملى.

(۹) العلامة محمد إقبال علم من أعلام الإسلام فى هذا القرن و قائد من قادة الفكر النيّر فى الشرق و رائد من رواد الإنسانية أوقف عقله و قلبه للمسلمين و للناس جميعا ..

ولد فى مدينة سيالكوت عام ۱۸۷۶ م، و يرجع نسبه إلى سلالة و ثنية أسلم أحد أجداده قبل ۳ قرون، و بعد إنهائه للدراسة الثانوية فى ۱۸۹۵ م انتقل إلى لاهور ليدخل فى جامعتها (جامعة البنجاب) ثم التحق بجامعة كمبردج عام ۱۹۰۵ فنال منها شهادة الفلسفة الاخلاقية. ثم تابع دراسته فى جامعة ميونيخ حيث نال فيها شهادة الدكتوراة عام ۱۹۰۸ م و كانت رسالته «تطور الميتافيزيقيا- ما وراء الطبيعة- فى بلاد فارس» ..

و كان إقبال من الدعاة الأوائل لقيام الباكستان من الولايات و الأقاليم التى تقطنها الأكثرية المسلمة سواء فى شعره أو نثره أو خطبه، و كان أول ما صرّح به بصدد قيام الباكستان هو ما جاء فى الخطاب المسهب الذى ألقاه عام ۱۹۳۰ م فى اجتماع الرابطة الإسلامية الذى انعقد فى مدينة اللّه‌آباد، إلّا أن هذه الفكرة لم تؤيدها الرابطة و لم تتبناها إلّا بعد عشر سنوات أى فى عام ۱۹۴۰ و فى خلال اجتماع الرابطة فى لاهور و صدور البيان الختامى فى ۲۳/ ۳/ ۱۹۴۰ م

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۳۲۰

أو كما قال الامام محمد عبده «۱۰»- رحمه اللّه- حاكيا عن نفسه:

«انى عند ما أسمع القرآن أو اتلوه أحسب انى فى زمن الوحى و ان الرسول (ص) ينطق به كما انزل عليه- أو نزل به عليه» ....

أما بصدد كتابة و طبع المصاحف فقد تطوّرت و تدرّجت منذ القدم- حيث يحتاج الكاتب حينئذاك الى مدة طويلة لكتابة مصحف واحد- حتى هذا الوقت و الذى يمكن فيه طبع آلاف النسخ كل يوم و هذا التطور و التدرج قد تم على الوجه التالى:

بضرورة إيجاد حكومة ديموقراطية إسلامية تجمع بين الولايات و الأقاليم التى للمسلمين فيها أكثرية ..

اشترك إقبال فى مؤتمر الطاولة المستديرة الذى عقد فى لندن عامى ۱۹۳۱ و ۱۹۳۲ لتقرير مستقبل الهند.

توفى فى ۲۱/ ۴/ ۱۹۳۸ و كان آخر ما قاله قبل رحيله «إن المسلم يلقى الموت مسرورا و إن المسلم لا يرهب الموت و إذا جاءه لقيه مسرورا» .. و دفن فى مقبرة ضخمة تقع قرب مسجد البادشاهى فى لاهور .. لمحات من تاريخ القرآن ۳۲۰ العناية بالقرآن

توفى إقبال دون أن يرى الباكستان الذى كان أول من دعا إليها و حرص على قيامها ..

و لقد تم الإشارة إلى حياة هذا المفكر الإسلامى بصورة مفصلة فى كتابنا «أضواء على شبه القارة الهندية» ..

(۱۰) ولد محمد عبده فى مصر عام ۱۸۴۸ و يرجع نسبه إلى الترك، تعلم القراءة فى منزله ثم دخل فى المسجد الأحمدى بطنطا لتعلم تجويد القرآن ثم انتقل إلى مجالس العلم بنفس المسجد، ثم انقطع عن طلب العلم لتردى طريقة التعليم و عاد إلى مدينته ليمارس الزراعة فيها، و يلتقى به أحد أقاربه فيحبّب له العودة لطلب العلم فيعود إلى طنطا لتلقى العلم فيها حيث اشتهر بين الطلاب بذكائه، ثم التحق بالأزهر من عام ۱۸۶۵ إلى ۱۸۷۷ ليصبح بعد ذلك مدرسا فيه و قد قال عن نفسه- فيما بعد- يصف تلك المرحلة «أنه قضى أثنى عشر عاما فى الأزهر و لكنه قضى حياته كلها بعد ذلك يحاول تنظيف عقله مما حفظه فى هذه السنوات الاثنى عشرة» و كان خلال وجوده فى الأزهر يطالب بإصلاحه و تجديد مناهج التعليم فيه و الخروج على طرق التدريس العقيمة

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۳۲۱

لقد كانت المصاحف فى صدر الاسلام لا تباع بالمرة «۱۱» و انما يأتى الرجل بورقة بيضاء عند المنبر فى المسجد فيقوم المحتسب فيكتب له من أول سورة البقرة حتى يأتى غيره لإكمال ما ابتدأه الأول و هكذا حتى يتم تدوين المصحف «۱۲» ..

و على هذه الطريقة سار الحال لفترة قصيرة حتى تطلب الوضع الجديد وجود كثيرين من المؤمنين و الصالحين يتفرغون للكتابة المصاحف نظرا لعدم اختراع المصاحف بعد ..

السائدة، ثم عمل على إيقاظ الأمة و توعيتها و دعا لتكوين نشء جديد يصارع الطغيان و الاستبداد و يعمل لاقرار العدل و السلام، و اثرها حكم عليه و فى عام ۱۸۸۲ بالنفى من مصر ثلاث سنوات فرحل إلى بيروت ثم إلى باريس حيث التقى فى باريس بجمال الدين الافغانى و أسس معه جمعية العروة الوثقى و مجلتها، ثم رحل إلى بيروت ليتعد عن العمل السياسى إلى التأليف حيث كتب شرح نهج البلاغة و مقامات بديع الزمان و بدأ فى شرح القرآن إلّا أنه تركه لحصوله على السماح بالعودة إلى مصر، فعاد إليها عام ۱۸۸۸، و تقلّد فيها مناصب مختلفة كمستشار فى محكمة الاستئناف ثم عضوا فى مجلس الشورى ثم مفتيا للديار المصرية و عضوا فى مجلس إدارة الأزهر، فقام بإصلاح المحاكم الشرعية و الأزهر بإدخال العلوم الحديثة فى مناهج التعليم فيه، إلّا أنه جوبه بمعارضة الخديوى عباس حلمى و المشايخ و خصومه التقليديين، فحورب محاربة شعواء، و قد قاوم الشيخ ذلك إلى أن تحطمت أعصابه و أصبح نهبا لليأس و القنوط، ثم أخذت قواه تتحطم شيئا فشيئا حتى اعترضه المرض ثم ما لبث أن رحل إلى جوار ربه فى ۲۱/ ۷/ ۱۹۰۵ كشهيد الإصلاح و الحرية و كثائر و مجاهد ضد الاستبداد و التسلط و الاستعمار ..

و على فراش الموت نظم هذين البيتين:

و لست أبالى أن يقال محمدابلّ ام اكتظت عليه المآتم

و لكن دنيا قد أردت صلاحهمخافة أن تقضى عليه العمائم

(۱۱) بصدد بيع و شراء المصاحف ورد فى الخبر أنه إذا أردت أن تشترى مصحفا فقل اشترى منك ورقه و أديمه و الدفتين و عمل يدك بكذا و كذا ..

(۱۲) تاريخ القرآن- محمد طاهر الكردى.

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۳۲۲

و قد كان البعض من هؤلاء يكتب مصحفا واحدا أو خمسة أو عشرة فى العمر، كما و تمكن قلائل من كتابة مائة مصحف فى حياتهم، حيث كان الواحد منهم يحتفظ لنفسه بنسخة من هذه المصاحف و يقدم البقية كهدية إلى المساجد و التكايا و دور العلم و معاهد التدريس طلبا للأجر و التماسا للثواب من عند اللّه تعالى ..

و طبيعى ان هذا العمل- الكتابة- كان يحتاج إلى صبر طويل و مجهود شاق فضلا عن الأموال و الامكانيات المطلوبة لتغطية نفقات الصرف طيلة سنوات الكتابة و التدوين ..

و لو لا ان قلوب هؤلاء الكتاب كانت عامرة بالتقوى و الأمل برحمة اللّه تعالى و رضوانه لما كان فى مكنة الواحد منهم خط أو كتابة هذا القدر من المصاحف الكريمة و مراجعتها من بعد ذلك من أجل تصحيح كل ما قد يقع فيها من أغلاط كتابية و التباسات وردت سهوا عند الكتابة ..

كما و قد اسهم الخطاطون المسلمون بدورهم فى تجويد القرآن و تحسين خطه و كتابته، فقد ظهر جملة من هؤلاء الخطاطين ممن اشتهر بجمال الخط و بديع الرسم و براعة التصوير، مما اكسب الخط القرآنى جمالا و روعة ..

و لا يخفى هنا ان الخط هو من الصنائع المدنية و التقدمية و انه يتطور بتطور المجتمع و عمرانه و ثقافته و فنونه، لذا كان امرا طبيعيا ان يتطور الخط و الكتابة بتطور المجتمع العربى و الاسلامى و ان يواكب مسيره و تقدمه ..

لقد كان العرب قبيل الاسلام يكتبون بالخط الحيرى- نسبة إلى الحيرة- و هو الخط السريانى ثم سمّى هذا الخط أو نشأ عنه بعد الاسلام ما يسمى بالخط الكوفى «۱۳» (أو النبطى)، و قد ظل الخطاطون يكتبون

---

(۱۳) الفهرست- ابن النديم.

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۳۲۳

المصاحف بالخط الكوفى هذا حتى مطلع القرن الخامس الهجرى، ثم صاروا يكتبونها بخط الثلث حتى القرن الثامن أو التاسع الهجريين على الأكثر، و لما ظهر خط النسخ الذى هو أجمل الخطوط و هو اساس الخط العربى إلى اليوم صاروا يكتبونها به إلى عصرنا الحاضر ..

و كان القرآن يضم حينئذ كافة النقط و الحركات التى لا نزال نستعملها حتى الآن فى كتاباتنا من دونما زيادة أو نقصان «۱۴» ..

هذا و قد كان الملوك و السلاطين و ارباب المال فى السابق ينفقون المبالغ بسخاء و كرم فى سبيل اقتناء أندر المصاحف الخطية و التى كتبها عظماء الخطاطين و مشهوريهم، كما و كانوا يوعزون اليهم أو لغيرهم بتذهيب المسافات و المساحات التى تفصل ما بين السطور أو التى تقع ما بين الكتابة و اطراف الورقة ..

كما و حرص هؤلاء و غيرهم من المسلمين على تجليد هذه المصاحف تجليدا فنيا و دقيقا محافظة على الأوراق داخلها من ان تسقط أو تتمزق، فضلا عن اعطاء المصاحف منظرا جميلا و جذابا ..

و كان هؤلاء ينفقون على هذا التجليد- أو التفسير كما يعرف فى بلاد المغرب- و خصوصا فى رسم اللوحات و التقاسيم الهندسية و

الفنية على اغلفة المصاحف الخارجية هذه و التى لا تقل روعة و جمالا عن تلك اللوحات التى نجدها الآن على واجهة السجاد الكاشانى و الكرمانى، كانوا ينفقون على كل هذه مبالغ جسيمة من المال ..

كما وادى تبرّك المسلمين بتلاوة المصحف إلى ابتكار وسيلة تتفق مع جلستهم الشرقية و تجعل المصحف فى وضع مكرم له و مريح لهم إلى صنع الرحلة- كرسى المصحف- و ذلك من لوحين من الخشب متداخلين بطريقة التعشيق من الوسط كأنهما كفان قد شبكت اصابعهما و تفننوا فى

---

(۱۴) تاريخ القرآن- أبى عبد اللّه الزنجانى.

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۳۲۴

زخرفة هاتين اللوحتين بالزخاريف النباتية و الكتابات المختلفة «۱۵» ..

و لأجل حفظ المصحف فى مكان أمين و نظيف عند عدم الحاجة إلى قراءته- اى بعد الفراغ من قراءته- صنع المسلمون صناديق من الخشب المطعم بالنحاس أو الفضة أو بالزخاريف المختلفة حتى اصبحت تحفة فنية يشار لها بالبنان «۱۵» ..

و كان الملوك و السلاطين و ارباب المال المشار اليهم و غيرهم من رجال المسلمين حين كانت المصاحف خطية و لم تطبع بعد يحرصون على مراجعة مصاحفهم بانفسهم أو عن طريق الآخرين لأجل تصحيح أو التثبت من عدم وجود أية غلطة نحوية قد ترد فيها أو نتيجة سهو أو غفلة قد يقع فيه الكاتب أو الخطاط عند كتابته لهذه المصاحف ..

و نذكر بهذه المناسبة هنا ان أحد الملوك السالفين كان قد وضع جائزة ثمينة تدفع على الفور لكل شخص يعثر على غلطة كتبت فى مصحفه الخطى سهوا، و كان قد وضع هذا المصحف فى متناول كل شخص يطلبه لقراءته و ملاحظته للفوز بالجائزة الموعودة ..

و قد تعب جمع كبير من الناس فى تصفّحه و تلاوته من دونما طائل، حتى تمكن أحد المخطوطين من العثور- بعد جهد جهيد- على التباس بسيط كان قد جرى عند كتابة الآية التالية من قبل الكاتب، و الآية الكريمة كاملة هى: إِنَّ هذا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَ تِسْعُونَ نَعْجَةً وَ لِيَ نَعْجَةٌ واحِدَةٌ فَقالَ أَكْفِلْنِيها وَ عَزَّنِي فِي الْخِطابِ «۱۷» ..

و الالتباس هذا قد ورد عن طريق تقديم الجيم على العين فى لفظة «النعجة» الثانية فكانت «نجعة» فنال بسببها صاحب الحظ السعيد هذا على الجائزة كاملة مع تقدير الملك و اعجاب المسلمين به ..

---

(۱۵) المصحف الشريف- الدكتور محمد عبد العزيز مرزوق.

(۱۷) ص: ۲۳.

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۳۲۵

و لم يكتفى هذا المحظوظ بجائزته بل اعاد الكرة لعل طموحه يوصله إلى نيل جائزة أخرى، إلا ان جهوده مع جهود غيره بائت بالفشل و الخسران ..

و قد كان هؤلاء الملوك و السلاطين و الأمراء يحتفظون بمثل هذه المصاحف الثمينة لديهم لتبقى اثرا خالدا و ذكرا حميدا، و قليل منهم من كان يبغى القربة- من وراء ذلك- أو الفوز برضوان اللّه. بينما البقية كانت تفعل ذلك ليقال بان الملك الفلانى يحتفظ بأثمن و اندر مصحف فى العالم و ان الأمير الفلانى عنده أجمل و ابدع مصحف فى البلد من دون ان يقوم هذا أو ذاك بقراءته يوميا «۱۸» أو تطبيق احكامه عليه و على رعيته.

علما بان اختراع المطابع- كما سيرد تفصيله بعد قليل- و ضبط طباعة المصاحف عند الطبع قد أراحت المسلمين و الحكام من الاحتفاظ بالمصاحف الخطية إلا ما ندر، فضلا عن انتفاء الجهد و العناء لمراجعتها و تحسين خطها و تذهيبها ..

و بصدد لمس القرآن و حروفه فالوارد انه لا يجوز لغير المتطهر أن يلمس كتابة القرآن و لو كانت هذه الكتابة حرفا واحدا فقط، و لا ضير عليه هنا من لمس جلد القرآن و اطراف صفحاته دون حروفه، كما و له القراءة فيه أو عن ظهر قلب و ان كان يستحسن له و يفضل ان يكون على طهارة ..

و بصدد المجنب- سواء من الحلال أو الحرام- فيكره له القراءة

---

(۱۸) فى الأثر: هناك ثلاثة يشكون إلى اللّه تعالى:

۱- مسجد خراب لا يصلى فيه أهله.

۲- عالم بين جهال.

۳- مصحف معلق قد وقع عليه الغبار لا يقرأ فيه.

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۳۲۶

فى القرآن مطلقا حتى يتطهّر بالغسل و ذهب كثيرا إلى حرمة ذلك «۱۹» ..

كما و يكره له قراءة اكثر من سبع آيات عن ظهر قلب و كلما زاد فى القراءة على ذلك تضاعفت هذه الكراهة ..

اما آيات السجدة فلا يجوز للمجنب قراءة أى شىء منها بتاتا، و عند قراءتها من قبل غير المجنب فعليه ان يسجد على الأرض أو الفراش و على كل من يسمع هذه الآيات تتلى ان يقوم بدوره بالسجود على الأرض، حيث ان حكم القارئ و المستمع لها فى السجود سواء «۲۰» ..

و قيل هنا ان حكم آيات السجدة تسرى حتى على اولئك الذين يسمعون تلاوتها من المذياع أو مكبرة الصوت و نحوهما.

اما عن طباعة المصحف الشريف فنشير إلى ان اختراع المطابع تم فى المانية عام ۱۴۳۱ م «۲۱»، و كانت حينئذ بصورتها البدائية و الأولية، و قد مضى عليها فترة طويلة حتى تطورت و تحسنت، ثم دخلت بعد ذلك إلى ايطالية و فرنسة و بريطانية و بعد ذلك بفترة طويلة انتشرت فى سائر انحاء العالم ..

و أول ما طبع القرآن الكريم كان فى مدينة البندقية (فينيسية)

---

(۱۹) علوم القرآن- أحمد عادل كمال، آداب حملة القرآن- يحيى شرف الدين

(۲۰) هناك دعاء خاص يقرأ عند السجود استحبابا و هو «لا إله إلّا اللّه حقا حقا، لا إله إلّا اللّه إيمانا و تصديقا، لا إله إلّا اللّه عبودية و رقا، سجدت لك ربى تعبدا و رقا لا مستكبرا و لا مستنكفا، و ها أنا ذا عبد ذليل فقير مسكين بك مستجير» كما و هناك أدعية أخرى يخيّر المرء بقراءة أحدها ..

(۲۱) كان فن الطباعة معروفا فى شرق آسيا قبل مدة طويلة من اختراع المطابع خلال القرن الخامس عشر فى اوربا، و قد كان أهل الصين فى القرن الحادى عشر يستخدمون مطبعة مصنوعة من الخزف الصينى، كما أنهم طبعوا كتابا للصلاة فى سنة ۸۹۸ م ..

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۳۲۷

بايطالية عام ۱۵۳۰ م و لكن السلطات الكنسية التى كانت تتمتع حينئذ بسلطات و نفوذ مطلق اصدرت حكما قاسيا و شديدا يقضى باعدام نسخه و اتلافها و هى لا تزال فى المهد و لم ير النور بعد، لذا لم تتسرب منه أية نسخة إلى اى بقعة من اطراف العالم «۲۲» ..

و بعد ذلك بحوالى قرن و نصف اى فى سنة ۱۶۹۴ الموافق لسنة ۱۱۱۳ هجرية تمكنت احدى مطابع هامبورغ بالمانية من طبع المصحف الشريف، ثم بعد ذلك باربع سنوات طبع المصحف فى مدينة باردو فى فرنسة ..

و يقال بصدد نسخ المصحفين الانفين انه لم يعد لهما ذكر و لا وجود فى كافة انحاء العالم الاسلامى و غير الاسلامى أيضا عدا نسخة

واحدة منهما قيل انها موجودة الآن فى دواليب دار الكتب المصرية بالقاهرة، و لا نعلم على وجه اليقين كيف تسربت هذه النسخة إلى هناك و لم تصل إلى هناك و لم تصل إلى أية مكتبة اخرى فى العالم ..

و الظاهر هنا مما تقدم ان الطبعات الأولى للقرآن كانت فى محيط اوروبا و فى نطاق محدود بسبب عدم وصول المطابع و انتشارها فى العالم الاسلامى، فضلا عن ان طبعه هناك لم يكن لهدف أو غرض روحى أو دينى و انما كانت تطبع هناك نسخ محدودة بقصد الاحتفاظ بقسم منها كأثر تاريخى ثمين أو تقديم بعضها إلى أحد سلاطين و ملوك المسلمين فى ذلك الوقت بقصد ضمان امتيازات خاصة فى بلادهم أو أمل الحصول على مبالغ طائلة من المال ..

لذا نرى انقراض أو ندرة هذه الطبعات من القرآن الكريم من الوجود ..

اما عن طباعة المصاحف فى العالم الاسلامى أو بقول آخر عن

---

(۲۲) تاريخ القرآن- محمد طاهر الكردى.

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۳۲۸

الطباعة التى تولاها المسلمون فنشير إلى ان أول طبعة اسلامية خالصة للقرآن قد قام بها مولاى عثمان فى مدينة لينغراد فى روسيا القيصرية عام ۱۷۸۷ م، و ظهرت اثرها طبعة تماثلها فى مدينة قزان بجنوب روسيا، ثم طبع القرآن بعد ذلك طبعة هجرية فى طهران عام ۱۸۲۸ م و ذلك فى عهد الملك فتح على شاه القاجارى «۲۳» ..

ثم ظهرت اثر ذلك طبعات عديدة للقرآن الكريم فى مدينة حيدرآباد بالهند، و بعد ذلك طبع المصحف فى مدينة الآستانة (اسطنبول) حاضرة الخلافة العثمانية عام ۱۸۷۷ م «۲۴» و بعدها انتشرت

---

(۲۳) القاجاريون هى العائلة التى حكمت إيران للفترة من (۱۷۹۵- ۱۹۲۴) و من أشهر ملوكها هو فتح على شاه (۱۷۹۷- ۱۸۳۴) و محمد شاه و ناصر الدين شاه (۱۸۴۷- ۱۸۹۶) و مظفر الدين شاه (۱۸۹۶- ۱۹۰۷) و محمد على شاه (۱۹۰۷- ۱۹۰۸) و أحمد شاه و الذى أطاح به رضا شاه الكبير (والد الشاه محمد رضا بهلوى) سنة ۱۹۲۳ و توّج نفسه ملكا على ايران عام ۱۹۲۶، و قد اتخذوا جميعا طهران عاصمة لملكهم، علما بأن عائلة الزنديون هم الذين كانوا يحكمون إيران قبل القاجاريين و للفترة من (۱۷۵۰- ۱۷۹۴) و رئيسها هو كريم خان زند الذى اتخذ مدينة شيراز حاضرة لملكه ..

و قبل الزنديين حكم الأفشاريون إيران و للفترة من (۱۷۳۶- ۱۷۴۷) برئاسة مؤسسها نادر شاه الذى فتح غزنة و كابل و دلهى و استولى على كنوز الأخيرة و من غنائمه هناك عرش الطاوس الموجود حاليا فى قصر كلستان بطهران و كثير من مخلفات العائلة المغولية الحاكمة فى الهند، و قد اتخذ مدينة مشهد عاصمة له، و لنادرشاه قلى قبر و نصب جميل فى عاصمة ملكه مشهد ..

و قبل الافشاريين كان الصفويون هم الحاكم لإيران و للفترة (۱۵۰۲- ۱۷۳۶) و مؤسس هذه العائلة هو الشاه إسماعيل الصفوى (۱۵۰۲- ۱۵۲۴) و الشاه عباس الكبير (۱۵۸۷) و قد اتخذوا أصفهان عاصمة لهم بعد أن كانت قزوين و قبلها تبريز هى العاصمة ..

أما غالبية قبورهم فتضمها مدينة أردبيل لأنها مسقط رأسهم ..

(۲۴) دخلت المطابع إلى تركية فى عهد السلطان أحمد الثالث، و قد منع الأخير طبع المصاحف بالمطبعة لأسباب لا نعرف حقيقتها على الرغم من إفتاء مشيخة الإسلام بجواز استعمال المطابع للطبع ..

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۳۲۹

طباعة المصاحف فى مصر و بقية اطراف العالم الاسلامى و بشكل موسّع و متقن ..

و لعل اجمل الطبعات الحديثة للقرآن الكريم و ادقها هى التى ظهرت عام ۱۳۴۲ ه المصادف لعام ۱۹۲۳ م بمصر و باشراف مشيخة

الأزهر و اقرار اللجنة المؤلفة من قبل الملك فؤاد الأول «۲۵» (ملك مصر السابق) و قد كتب و ضبط على ما يوافق رواية حفص لقراءة عاصم، حيث تلقى المسلمون هذه الطبعة بالقبول و الاستحسان و اوشكت النسخ التى تطبع و تصوّر من عليها ان تكون اكثر و اوسع من اى طبعة اخرى متداولة بين المسلمين، لاجماع العلماء و الفقهاء فى مشارق الأرض و مغاربها على الدقة و الضبط الذى يتحلى بها فى رسمه و كتابته ..

كما و هناك طبعات دقيقة و انيقة لمصاحف تم طبعها فى بغداد و دمشق و بيروت و طرابلس و طهران و كراجى و حيدرآباد بالهند ...

و غيرها.

و احدثها هو «مصحف المدينة النبوية» و الذى طبع فى المملكة العربية السعودية بتوجيه و ايعاز من خادم الحرمين فهد بن عبد العزيز آل سعود ...

و فى عهد خلفه السلطان عبد الحميد الأول أجيز طبع المصاحف بالمطبعة، و فى عهد خلفه السلطان محمود الأول زاد الاهتمام و العناية الكبيرة بطبعها ..

(۲۵) توفى الملك فؤاد الأول عام ۱۹۳۶ و خلفه على العرش ولده الملك فاروق الذى أطاح به الجيش المصرى صبيحة يوم ۲۳ تموز ۱۹۵۲ ..

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۳۳۱

طرائف الإحصائيات و الفرائد فى القرآن

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۳۳۳

لما كان القرآن الكريم كتاب المسلمين الأول و دستورهم فى الدنيا و املهم فى الحياة، لذا فقد حرص هؤلاء منذ فجر الاسلام حتى الآن على دراسته و سبر اغواره للوقوف على احكامه و تشريعاته للاستعانة بها فى اداء عباداتهم بصورة تامة و الاهتداء بها فى معترك حياتهم ..

و قد زاد البعض على ذلك فقام بمسعى آخر هو استخراج و جمع ما يضم القرآن من فرائد و غرائب و نوادر و ارقام من أجل استيعاب معانيها و التفاعل معها و استظهارها ..

و بقدر تعلق الأمر بالارقام أو الاحصائيات فنشير إلى ان هذه تشبه إلى حد كبير تلك التى نجدها فى عالم الاقتصاد و المال و التخطيط و الانتاج الزراعى و الصناعى و التى تسهّل الوقوف عن كثب على تزايد أو نقصان كل مادة عبر السنوات أو على اعواد أو حجم ما موجود من امور اخرى كعدد الحيوانات فى قطاع معين أو عدد اشجار جنس معين كالنخيل فى العراق مثلا .. حيث ان الاطلاع على هذه الاحصائيات و الارقام ستساعد على حل كثير من المعضلات الاقتصادية و التجارية و بالتالى تلافى كل الاخطاء التى قد تقع فى هذا الميدان أو ذاك ..

و قبل ان ندخل فى ميدان الاحصائيات فى القرآن الكريم نشير إلى احصاء اسلامى قديم قدم التاريخ الاسلامى كان هذا قد جرى فى السنوات الأولى للهجرة و لعله أول احصاء فى العالم الاسلامى ذلك انه حدث ان اراد الرسول (ص) احصاء عدد المسلمين فقال: (ص) «اكتبوا إلى كل من تلفظ بالاسلام» فكتبوا ذلك فكان الف و خمسمائة رجل و هو عدد كافة الرجال من المسلمين، و كان اذا نودى للزحف يعرف من تخلف عنه (ص) بعد احصاء الحاضرين فيلومه اذا كان تخلفه قد تم

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۳۳۴

بدون عذر شرعى أو سبب معقول ..

ان الاحصائيات أو الأرقام التى سنسجلها عن القرآن الكريم و ان كانت لا تضر من يجهلها و لا تنفع من علمها نفعا هائلا، إلا انها تسجّل مدى أو ارتباط المسلمين بكتابهم الكريم و مدى العناد و الجلد الذى تحملوه فى استخراج مثل هذه الاحصائيات من القرآن الكريم ..

ان هذه الاحصائيات تخص نواحى عديدة و مختلفة من القرآن مثل عدد سوره و آياته و عدد المرات التى ذكرت فيه فريضة معينة كالصلاة أو الزكاة أو الجهاد أو عدد المرات التى ذكر فيه لفظ الجلالة (اللّه) أو اسماء الأنبياء أو عدد الحروف أو النقط .... الخ .. و حيث أن أسلوبنا فى البحث بهذه الدراسة هو الايجاز و ان ايراد كل ما وقع بأيدينا من الأرقام قد يأخذ حيزا كبيرا قد يتعارض مع اسلوب البحث، لذا آثرنا هنا ايراد بعضها و هو ما يتعلق بالطريف و اللذيذ منها و هى هذه: ان عدد آيات القرآن الكريم هى ان عدد آيات القرآن الكريم هى/ ۶۲۳۶/ آية ان عدد الآيات المكية هى/ ۴۶۱۳/ آية و قيل ۴۷۸۰ آية ان عدد الآيات المدنية هى/ ۱۶۲۳/ آية و قيل/ ۱۴۵۶/ آية ان عدد كلمات القرآن هى/ ۷۷۹۳۴/ كلمة ان عدد نقط القرآن هى/ ۱۰۲۵۰۳۰/ نقطة ان عدد حروف القرآن هى/ ۳۲۳۶۷۰/ حرف و قيل/ ۳۲۱۲۵۰/ حرف ان عدد الفات (جمع الف) فى القرآن هى/ ۴۸۸۰۰/ حرف ان عدد الباء فى القرآن هو/ ۱۱۲۰۱/ حرف ان عدد التاء فى القرآن هو/ ۱۰۱۹۹/ حرف ان عدد الثاء فى القرآن هو/ ۱۲۷۶/ حرف ان عدد الجيم فى القرآن هو/ ۳۲۷۳/ حرف ان عدد الحاء فى القرآن هو/ ۳۹۹۳/ حرف ان عدد الخاء فى القرآن هو/ ۲۴۱۶/ حرف

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۳۳۵

و هكذا ترد اعداد الحروف تباعا حتى آخرها و هو حرف الياء حيث ان عدد الياءات فى القرآن هى ۲۵۹۱۹ حرف:

و إن عدد فتحات القرآن/ ۵۳۲۴۳/ فتحة و عدد كسرات القرآن/ ۳۹۵۸۲/ كسرة و عدد ضمات القرآن/ ۸۸۰۴/ ضمة و عدد مدات القرآن/ ۱۷۷۱/ ضمة و عدد شدات القرآن/ ۱۲۵۳/ شدة و قد احصى البعض بعد هذا لفظ الجلالة (اللّه) فى القرآن فظهر انه قد ورد فيه (۹۸۰) مرة ..

و يروى هنا ان الحجاج بن يوسف الثقفى أو غيره كان قد «جمع القراء و الحفاظ و الكتاب لديه و قال لهم: اخبرونى عن القرآن كم حرف هو ...؟ فحسبوا فقالوا بعدده (كما جاء آنفا) ثم سألهم عن نصفه فاذا بالقرآن ينتهى فى سورة الكهف فى فاء أو تاء (و ليتلطف) ثم سألهم عن أثلاثه فاذا الثلث الأول يقع فى رأس مائة من سورة براءة و الثلث الثانى يقع فى رأس مائة و واحد من سورة طسم الشعراء و الثلث الثالث ما بقى من القرآن، ثم سألهم عن أسباعه فاخبروه بذلك» «۱».

و هناك من درس و تتبع الآيات القرآنية الكريمة لمعرفة الآية التى هى اشد ما تكون وطأة على الكافرين و تلك التى هى ارحم آية فى القرآن فضلا عن الآية التى تجمع خصال الخير و النهى عن الشر .. الخ فظهر من ذلك ان اشد آية فى القرآن هى قوله تعالى: فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذاباً» «۲».

بينما ظهر أن أرحم آية فيه هو قوله تعالى: قُلْ يا عِبادِيَ الَّذِينَ

---

(۱) علوم القرآن- أحمد عادل كمال.

(۲) النبأ: ۳۰.

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۳۳۶

أَسْرَفُوا عَلى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ «۳».

أما أجمع آية فى القرآن فهو قوله تعالى: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَ الْإِحْسانِ وَ إِيتاءِ ذِي الْقُرْبى وَ يَنْهى عَنِ الْفَحْشاءِ وَ الْمُنْكَرِ وَ الْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ «۴».

كما و قام فريق آخر باحصاء اسماء الأنبياء و الرسل الذين ورد ذكرهم فى القرآن الكريم لمرة واحدة أو أكثر على وجه الصراحة (لا الاشارة) حيث ادخلهم فى رجز بديع ليمكن حفظه بسرعة و هو:

الرسل الذين فى القرآنخمس و عشرون فخذ بيانى

هم آدم ادريس نوح هوديونس الياس اليسع داود

ثم شعيب صالح أيوبهارون ثم يوسف يعقوب

إسحاق إبراهيم لوط موسىذو الكفل يحيى زكريا عيسى

ثم سليمان و اسماعيلخاتمهم محمد جليل و اذ نحن بصدد الشعر، فقد قام البعض بتضمين القرآن فى الشعر و هذا يعد من انواع البديع مثل:

انلنى بالذى استقرضت خطاو اشهد معشرا قد شاهدوه

فان اللّه خلّاق البرياعنت لجلال هيبته الوجود يقول: «إِذا تَدايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ» «۵» أو مثل القائل:

قد قلت لما حاولوا سلوتى«هَيْهاتَ هَيْهاتَ لِما تُوعَدُونَ» «۶».

و كذلك قول من قال:

و فتية فى مجلس وجوههمريحانهم قد عدموا التثقيلا

«دانية عليهم ظلالهموَ ذُلِّلَتْ قُطُوفُها تَذْلِيلًا» «۷».

---

(۳) الزمر: ۵۳.

(۴) النحل: ۹۰.

(۵) البقرة: ۲۸۲.

(۶) المؤمنون: ۳۶.

(۷) الإنسان: ۱۴.

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۳۳۷

هذا و هناك الكثير من الأدباء و الكتاب ممن يدخل الآيات الكريمة أو مقاطع منها بين سطور أو ثنايا كتاباتهم أو ان يصدّروا بها مؤلفاتهم، مما يكسبونها طابعا جميلا و تصويرا بديعا فضلا عن وقعها الحسن على الاسماع و النفوس.

كما و نشاهد أيضا من يسجل بعض الآيات كتلك التى تأمر بالعدل و الدعوة إلى الكفاح و الجهاد «۸» و العمل الصالح أو تجرى مجرى الحكمة و المثل أو القول الحسن أو الإنفاق فى سبيل اللّه أو تجنب الظلم و البغى أو الحكم بالعدل و الانصاف أو امهال المدين و المعسر ... الخ اجل نشاهد من يسجل كل أو بعض هذه الآيات على لوحات فنية و بخط بارز و جميل لتوضع على جدران البيوت و الدكاكين و المحلات العامة لتبقى معانيها على تماس و ارتباط دائم باعمال و سلوك الناس ..

و نجد أيضا فى صدر الاسلام و بعده من يحفظ شيئا من القرآن لأجل ان ينطق به عوضا عن الكلام الاعتيادى مؤديا نفس المعنى و المقصد أو ما يشير اليه ..

و هذا ان دل على شىء فانما يدل على مدى حفظ هؤلاء المسلمين و سرعة ايرادهم أو تذكرهم الآية أو الآيات المطلوبة من خضم آيات القرآن التى تتجاوز الستة آلاف آية.

و لا ضير فى ختام هذا الفصل من ايراد قصة طريفة قامت باداء دور البطولة فيها فتاة مسلمة و مهما قام الشك فى صحتها (القصة) إلا انها

(۸) و من هذا النوع ما يشاهد فى قاهرة المعز قرب ساحة التحرير من جهة الكوبرى، حيث أقيم قوس كبير قرب الكوبرى و قد وضع فوقه صورة مجسمة كبيرة تمثل جنديا مصريا و بيده رشاشته و هو فى وضع الاستعداد و دوّنت تحت الصورة هذه الآية من سورة (ق) و هى: «يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ» ..

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۳۳۸

تشير إلى المدى الذى ارتبط القرآن بحياة الناس و سلوكهم و معاشهم سواء الرجال منهم أو من يطلق عليهم بالجنس الناعم.

و بهذه المناسبة و قبل الولوج إلى اصل القصة نقول بان الاسلام لا يفرق بين الجنسين فى شىء منهما متساويان فى كافة الحقوق و الواجبات و التكاليف الدينية و المالية- و اذا ما كان هناك فرق او خلاف يذكر ما بينهما فهو ذلك الذى يخص طبيعة عمل المرأة و يحس وضعها و شكل حياتها.

و كم كان بودنا ان نضع النقاط على الحروف فيما يتعلق بالمساواة التى اشرنا اليها، إلا ان ذلك سينقل البحث من قصة طريفة لامرأة تحفظ الكثير من القرآن و لا تتكلم إلا به إلى موضوع حقوق المرأة فى الاسلام و الذى كتب فيه المئات من المفكرين المسلمين و اهم من كتب عنه هو الأخ محمد قطب فى كتابه شبهات حول الاسلام و لم يدع فيه زيادة لمستزيد ..

اما القصة الفريدة و التى نكتب عنها بتصرف فهى: «۹» قال بعضهم: انقطعت عن طريق القافلة المتجهة صوب الديار المقدسة مرة بمسافة قصيرة فوجدت سوادة، فاقتربت منها فتجلب لى انها امرأة فقلت لها من انت، فأجابت: «وَ قُلْ سَلامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ» فسلّمت عليها ثم استفسرت منها عما تعمل فى هذا المكان النائى عن الطريق فقالت: «من يهدى اللّه فلا مضل له» فقلت لها هل انت من بنى الانسان ام من غيره فأجابت: «يا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ» فقلت لها من اين اقبلت إلى هذا المكان فأجابت: «يُنادَوْنَ مِنْ مَكانٍ بَعِيدٍ» فقلت لها إلى أى مكان متوجهة فقالت: «وَ لِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ» فقلت لها متى انقطعت عن طريق القافلة فقالت: «وَ لَقَدْ خَلَقْنَا السَّماواتِ

(۹) زينب الكبرى- الشيخ جعفر النقدى.

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۳۳۹

وَ الْأَرْضَ وَ ما بَيْنَهُما فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ» فقلت لها هل ترغبين فى تناول شىء من الطعام فأجابت: «وَ ما جَعَلْناهُمْ جَسَداً لا يَأْكُلُونَ الطَّعامَ» فاطعمتها مما كنت احمل من الزاد ثم قلت لها استعدى للرحيل للحاق بالقافلة فقالت: «لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَها» فقلت هل احملك معى على الناقة فقالت:

«لَوْ كانَ فِيهِما آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتا» فنزلت من الناقة و اركبتها عليها فسمعتها تقول عند الجرى: «سُبْحانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنا هذا وَ ما كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ» .. و لما ادركنا مشارف القافلة قلت لها هل لك أحد من قريب أو عزيز فيها فأجابت: «يا داوُدُ إِنَّا جَعَلْناكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ، وَ ما مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ، يا يَحْيى خُذِ الْكِتابَ بِقُوَّةٍ، يا مُوسى إِنِّي أَنَا اللَّهُ» فناديت برفيع صوتى بالأسماء الأربعة (داود، محمد، يحيى، موسى) فإذا بأربع شباب برزوا من قلب القافلة و توجهوا نحونا فقلت لها هل لهؤلاء القادمين قرابة منك فقالت: «الْمالُ وَ الْبَنُونَ زِينَةُ الْحَياةِ الدُّنْيا» فلما وصلوا إلى جوارها قالت لهم: «يا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ» فاعطونى شيئا من المال ثم قالت لهم: «وَ اللَّهُ يُضاعِفُ لِمَنْ يَشاءُ» فزادوا فى العطاء، ثم سألتهم قبل ان اودعهم عن قرابة المرأة منهم فقال كبيرهم هى والدتنا، ما تكلمت معنا و مع غيرنا منذ عشرين سنة إلا بالقرآن الكريم و على النحو الذى سمعت باذنك منها ..

و أخيرا- و ليس آخرا- نشير إلى احجام المصاحف التى خطّت فى العالم حتى الآن.

فبصدد اكبر مصاحف العالم فيقال انه المصحف الموجود فى خزانة دار الكتب بميدان باب الخلق بالقاهرة و يبلغ وزنه طنين كما و ان

حجم الصفحة الواحدة منه تبلغ ۱۷۵* ۱۲۰ سم و يتألف من ۷ أجزاء و محرر بخط النسخ و على الجلد و مستعمل فيه الذهب فى أجزاء مختلفة من صفحاته و وقفاته، و له غلاف جميل هو آية فى الروعة و الفن يتسع

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۳۴۰

للأجزاء السبعة و هو من الفضة الخالصة و محلى بالياقوت، و قد كتب فى القرآن الحادى عشر الهجرى «۱۰» ..

و قد قدّمه إلى مصر نواب «أمير» مقاطعة (ولاية) بهوبال «۱۱» و هى احدى الولايات التى كانت تتشكل منها الهند قبل الاستقلال و الذى تم فى منتصف شهر آب ۱۹۴۷ ..

اما عن اصغر المصاحف فى العالم فهناك مصاحف لا تتعدى عن أن تخرج عن حجم نواة التمر سعة، و كما يشاهد فى العلب الذهبية التى توضع على الصدور و غيرها لغرض التبرك و ذلك لتعذر وضع مصاحف كبيرة فى هذه المواقع ..

و بين حجم هذا المصحف و ذاك نجد العشرات من المصاحف و باحجام و قياسات مختلفة تلبى كل طلب و تتلاءم مع كل نظر ..

---

(۱۰) مجلة الوعى الإسلامى العدد ۳۷ مقال السيد صلاح عزام حول المصاحف النادرة فى العالم ..

(۱۱) أشرنا فى فصل «بعض التفاسير المتداولة» إلى حقيقة هذه الولايات و الإمارات و كيف قام المستعمرون الإنكليز بإيجادها من أجل إحكام سيطرتهم على كل التراب الهندى و قمع كل تمرد و عصيان قد يعلن ..

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۳۴۱

القرآن فى نظر غير المسلمين

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۳۴۳

قلنا فى فصل سابق ان الدنيا لم تعدم اناسا منصفين و عادلين من غير المسلمين- سواء أ كانوا مستشرقين أو غيرهم- ممن كتب الحقيقة و سجل الواقع عن القرآن و عن الاسلام و عن الرسول محمد (ص) بل ما اكثر هؤلاء فى هذا العصر الذى غلبت و طغت فيه الابحاث العلمية و الحقائق التاريخية على الاهواء و نزوات النفس و كل المفتريات التى ليس لها ظل من الحقيقة و لا سند من الواقع و التى كانت تزدهر و تنتعش فى عهود التخلف و الجهل و فقدان الوازع الروحى و الاخلاقى، و هى العهود التى عفا عليها الزمن و ان كانت بعض رواسبها تعمل فى ادمغة البعض، إلا انها- بمرور الوقت- ستتطهر الأرض منها و تذهب إلى العدم غير مأسوف عليها ..

و ليس فى استطاعتنا هنا- و نحن نسعى دوما للايجاز و الاختصار- ان نورد قائمة باسماء كل هؤلاء المنصفين و أرباب القلم الحر أو ان نسطّر كل ما خطت أقلامهم عن القرآن أو الاسلام أو النبى الكريم (ص)، حيث ان ما كتبه هؤلاء عن القرآن فقط و احكامه و علومه و كيف انه يضم القانون الجزائى و المدنى و النظام الاجتماعى التى يوجّه مسيرة المسلمين من كل لون أو قومية أو جنس فضلا عن تحديد واجبات و صلاحيات السلطات فى الدولة و علاقاتها بالفرد و تنظيم وسائل الانتاج و توزيع

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۳۴۴

الثروة «۱» ... الخ اجل ان ما كتبه هؤلاء عن القرآن فقط يملأ كتبا و مجلدات يمكن لأى فرد الرجوع اليها عند الحاجة ...

و حيث ان بحثنا فى هذا الفصل يتناول هذا الذى كتبه هؤلاء عن القرآن الكريم و انه بعد هذا لا يمكن ان نورد كل ما كتبوه، لأن ايراد ذلك يتطلب دمج كتبهم و مجلداتهم بهذا الكتاب، و حيث ان ما لا يدرك جله لا يترك كله» و هى ما نقوله القاعدة الفقهية المعروفة، لذا آثرنا هنا ان نختار و نقدم شذرات و عبقات عما صح قوله عن هؤلاء إزاء القرآن الكريم .. ليقف المسلمون على حقيقة ما يقوله غيرهم عن كتابهم ليزدادوا يقينا و ثباتا، و ليراجع ضعاف العقيدة منهم أنفسهم من أجل تصحيح افكارهم و تقويم سلوكهم .. و اذا كانت هناك كلمة قصيرة توجه لهؤلاء- ضعاف العقيدة- فهو انهم اذا ما وجهوا نشاطهم لدراسة الاسلام دراسة موضوعية و ما

يضم من تشريعات و انظمة بالقدر الذى وجهوه لدراسة سواه من الأنظمة و المبادئ الوضعية الرائجة لكانت لهم نظرة اخرى فى هذه المبادئ و الأنظمة- و لأقروا بعد ما بان فى مكنة الاسلام و دستوره الخالد ان يرضى طموحاتهم بحل مشاكل المجتمع الاجتماعية و الاقتصادية و السياسية حيث لا يجدون فى ظله- عند التطبيق- من يعيش فى القمم و بكدح المستضعفين و من يعيش فى الحضيض تحت أسواط المستكبرين، بل الجميع فى كنفه سواء و لا يأكل أحد إلا من سعيه و جهده ....

---

(۱) نشير بهذه المناسبة إلى أن الكاتب الفرنسى الشهير فكتور هيجو صاحب كتاب «البؤساء» قال بعد أن تجلى له بكل وضوح ما يضم القرآن من علوم و فنون و آداب و تشريع ... الخ قال كلمته المشهورة «إن القرآن شبيه بالسوق التى يمكن أن تزودك بكل شىء» .. كما و نذكر أيضا أن مؤتمر متشرعى العالم الذى جمع أهل الرأى و الفقه من مختلف البلدان و الذى عقد فى لا هاى عاصمة هولندة قد قرر: «إن الشريعة الإسلامية المنبثقة من القرآن تحمل العناصر الكافية التى تجعلها صالحة للتطبيق و التطور مع حاجات الزمن و العصر» ..

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۳۴۵

هذا و نضع امام هؤلاء و سواهم بعض ما قاله غير المسلمين عن القرآن و فنونه و آدابه تفيدهم و ايانا من اجل الزيادة فى اليقين و الايمان، و هى مجموعة من كتب و مصادر كثيرة و مختلفة «۲» و هى على التوالى:

۱- قال الأستاذ سنايس: «ان القرآن هو القانون العام الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه فهو صالح لكل زمان و مكان فلو تمسك به المسلمون حقا و عملوا بموجب تعاليمه و احكامه لا صبحوا سادة الأمم كما كانوا أو بالأقل لصار حالهم حال الأقوام المتمدنة» ..

۲- و قال المستير بورسوت سميث: «من حسن الحظ الوحيد فى التاريخ ان محمدا اتى بكتاب هو آية فى البلاغة و دستور للشرائع و الصلاة و الدين فى آن واحد» ..

۳- و قال المستشرق الألمانى الدكتور سومبس: «يقول بعض الناس ان القرآن كلام محمد- و هو خطأ محض- فالقرآن كلام اللّه تعالى الموحى على لسان محمد، فليس فى استطاعة محمد ذلك الرجل الأمى فى تلك العصور الغابرة ان يأتينا بكلام تحار فيه عقول الحكماء و يهدى من الظلمات إلى النور، و ربما تعجبون من اعتراف رجل أوروبى بهذه الحقيقة» ..

«انى درست القرآن فوجدت فيه تلك المعانى العالية و الأنظمة المحكمة و تلك البلاغة التى لم اجد مثلها قط فى حياتى جملة واحدة منها تغنى عن مؤلفات، و هذا و لا شك اكبر معجزة اتى بها محمد عن ربه».

---

(۲) محمد و القرآن- الشيخ كاظم آل نوح، المعجزة الخالدة- السيد هبة الدين الشهرستانى، لما ذا اخترنا الدين الإسلامى- السيد محمد الرضى الرضوى، قالوا فى الإسلام- الشيخ حسين خضر الظالمى، الإسلام روح المدنية- مصطفى الغلاييني.

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۳۴۶

۴- و قال المستشرق ماكس مننى: «ان مرشد المسلمين هو القرآن وحده و القرآن ليس بكتاب دينى فقط بل هو يرشد الإنسان إلى وظائفه اليومية، و الاحكام الإسلامية التى لا توجد فى القرآن و لا فى السنة توجد فى الفقه الواسع الذى هو علم الحقوق الإسلامى» ..

۵- و قال الدكتور غوستاف لوبون الفرنسى الجنسية: «التعاليم الاخلاقية التى جاء بها القرآن هى صفوة الآداب العالية و خلاصة المبادئ الخلقية الكريمة و هى اسمى بكثير من آداب الانجيل» ..

۶- و قال ادوار لوهارت: «اشرق القرآن بصعقهم نورا يا له من نور و هو نور حكمة القرآن الذى انزله على صدر نبيه المبعوث لا محالة لإرشاد البشر و ابقى لهم دستورا لن يضلوا ابدا و هو القرآن الجامع لمصالح دنياهم و لخير اخراهم» ..

۷- و قال الفيلسوف الفرنسي الشهير رنيان: «ان فى دين الإسلام تعاليم و مبادئ عالية القيمة رفيعة المقام و ما دخلت فى حياتى مسجدا من مساجد المسلمين إلا شعرت بجاذبية نحو الاسلام، بل تأسفت ألا اكون مسلما .... و يلوح لى ان الشيخ جمال الدين «۳» الذى زودنى بطائفة من

---

(۳) جمال الدين الافغانى من قادة الاصلاح فى العصر الحديث، ولد فى قرية أسدآباد قرب همدان عام ۱۸۳۹ (۱۲۵۴ ه) و يرجع نسبه إلى الإمام على- ع-، رحل مع أبيه و هو صبى إلى أفغانستان و دخل المدارس الشرعية فى كابل لدراسة الآداب العربية و علوم الشريعة و الحكمة و المنطق ثم هاجر إلى العتبات المقدسة و سكن كربلاء و واصل دراسته فى تحصيل العلوم الدينية فى مدرسة السردار حسن خان الدينية فى كربلاء ثم رحل إلى الهند للوقوف على أحوالها الاجتماعية ثم تركها إلى البلاد العربية ليستقر عام ۱۸۵۷ فى مكة المكرمة، فشاهد تجمع المسلمين ففكر فى إنشاء جامعة كبرى لهم فأسس جمعية أم القرى و هى أشبه ببرلمان اسلامى كبير ..

ثم عاد إلى الافغان بعد أن استوزره ملكها شير على خان إلّا أن المؤامرات و الفتن التى حيكت ضده دعته عام ۱۸۶۹ للخروج منها شطر الهند، و فى الهند

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۳۴۷

الآراء الهامة تعيننى على نظريتى الاساسية و هى ان الاسلام (فى النصف الأول من وجوده) لم يحل دون استقرار الحركة العلمية فى الأراضى الاسلامية» ..

أخذ يشحذ أبنائها بروح الوطنية و الدفاع عن حقوقهم، مما دعت حكومة الهند لأن تضعه فى احدى البواخر المتجهة إلى السويس تخلصا منه، و بعد وصوله إلى مصر مكث فيها قليلا ثم توجه عام ۱۸۷۰ إلى اسطنبول استجابة لنداء السلطان العثمانى عبد العزيز الذى سمع بدعوة جمال الدين الإسلامية و مكانته المدنية فى نفوس الناس لغرض الاستفادة منها فى استقرار سلطانه و ثبات ملكه ..

و فى الآستانة (اسطنبول) أختلف جمال الدين مع شيخ الإسلام حسن أفندى بخصوص محاضرة ألقاها جمال الدين فى دار الفنون أشار فيها إلى: «أن المعيشة الإنسانية أشبه شيء ببدن الحى و إن كل صناعة بمنزلة العضو فالملك كالمخ و الحدادة كالعضو و الزراعة كالكبد .. الخ و لا حياة للجسم إلّا بالروح و روح المعيشة الإنسانية النبوة و الحكمة ..» و قد حرّض- شيخ الإسلام- الوعاظ للنيل منه و اتهامه بالإلحاد و المروق من العقيدة ..

و قد انقسم الناس فريقين احدهما معه و الآخر ضده، لذا طلب السلطان منه مغادرة البلد فغادرها إلى القاهرة عام ۱۸۷۱ و مكث فيها (۸) سنوات أنشأ خلالها مدرسة سخّرها لخدمة الشعب و قد حرّض المصريين للمطالبة بحقوقهم و الدفاع عن كرامتهم و سحق أعدائهم، مما دعا السلطات المختصة للقبض عليه فى ۲۸/ ۴/ ۱۸۷۹ حيث حمل إلى السويس و منها إلى الهند، و من الهند اتجه إلى بريطانية و تعرّف فيها على كثير من مفكريها، ثم توجه إلى باريس حيث احتل فيها منزلة سامية و مكانة رفيعة فى نفوس المسلمين ..

و لقد كتب إلى تلميذه و صديقه محمد عبده الذى كان فى بيروت ليوافيه فى باريس و جاءه بعد ذلك حيث أسسا معا جمعية العروة الوثقى و مجلتها، و كان الهدف منها إيقاظ الشرق و حثه على النهوض و تحريره من الاستعمار و تشكيل الحكومات الدستورية و تحقيق الاصلاحات الاجتماعية و القضاء على الفساد و المرض.

ثم غادر باريس إلى إيران بعد أن سبقته شهرته إليها و منها إلى موسكو و لينغراد (عاصمة القياصرة) حيث مكث فى اخيره (۴) سنوات ثم غادرها إلى اوربا ثم عاد إلى ايران بعد ذلك حيث حرّض على وضع دستور للبلاد للحد من سلطات

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۳۴۸

۸- و قال الكونت هنرى دكاسترى: «لو لم يكن فى القرآن غير بهاء معانيه و جمال مبانيه لكفى بذلك ان يستولى على الأفكار و يأخذ بمجامع القلوب ..

۹- و قال رينورت: «يجب أن نعترف بان العلوم الطبيعية و الفلسفة و الرياضيات التى انتعش فى أوروبا فى القرن العاشر مقتبسة من القرآن بل ان أوروبا مدينة للإسلام» ..

۱۰- أما جويت فقد قال: «القرآن يجذب القارئ بمحاسنه و يولع فيه ولعا زائدا لكثرة فصاحته و بلاغته».

۱۱- و قال الدكتور موريس الفرنسى: «إن القرآن أفضل كتاب أخرجته الصناعة الأزلية للبشر».

۱۲- و قال المستر كوزان دى بيرسونال: «أما مسألة الوحى بالقرآن فهى أكثر اشكالا و أكبر تعقيدا لأن الباحثين لم يهتدوا إلى حلها حلا مرضيا، و العقل حار كيف يتأتى ان تصدر الآيات من رجل أمى و قد اعترف الشرق

الحاكم مما أوعز صدر السلطان ناصر الدين شاه قاجار، فغادر إيران إلى البصرة ثم إلى لندن فاسطنبول ..

و قد طلب منه السلطان عبد الحميد الموافقة على ترشيحه لمنصب شيخ الإسلام إلّا أنه رفض ذلك و طلب منه منصبا يستطيع من خلاله تغيير النظام القائم و فسح المجال للمواطنين لسماع شكاواهم، لذا فقد فترت العلاقات ما بينهما و تراخت و وصلت إلى حد الصدام ..

ثم أصيب جمال الدين عام ۱۸۹۷ م بالسرطان، و ظل المرض يسرى فى جسده حتى وافاه الأجل فى ۹/ ۳/ ۱۸۹۷ و قد أمر السلطان عبد الحميد بأن يدفن جثمانه من غير احتفال و أن تصادر أوراقه و كتبه و منع الصحف من كتابة شىء عنه كما و دفن فى مقبرة مجهولة ..

و فى كانون الأول من عام ۱۹۴۴ تم نقل رفات جمال الدين فى احتفال عظيم إلى كابل عاصمة الافغان ليوارى فى مقبرة تتناسب و الخدمة التى قدمها للمسلمين ..

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۳۴۹

قاطبة انها آيات يعجز بنى البشر عن الاتيان بمثلها لفظا أو معنى، آيات لما سمعها عقبة بن ربيعة (المقصود هو عتبة بن ربيعة أو الوليد بن المغيرة كما تقدم ذكره) حار فى جمالها، و كفى رفيع عباراتها لاقناع عمر بن الخطاب فآمن برب قائلها، و فاضت اعين النجاشى ملك الحبشة كما تلا جعفر بن ابى طالب سورة زكريا (المقصود هى سورة مريم) و ما جاء فى ولادة يحيى صاح القس ان هذا الكلام وارد فى موارد عيسى- ع- ۱۳- و قال الدكتور شبلى شميل: «إن فى القرآن يحمل بين طياته عوامل عامة و فيها من المرونة ما يجعلها صالحة للأخذ بها فى كل زمان و مكان، ان القرآن يحمل بين طياته عوامل النجاح فنراه يصف العلم و يحث عليه و يصف الجهل و يحذر منه و يتحدث عن الصلاح و يأمر به، و لم يترك فضيلة إلا أوجبها و حث عليها.

و له شعر طريف بهذا المعنى ننقل منه هذه الأبيات:

انى و ان انكرت دين محمدهل اكفرن بمحكم الآيات

و بما حوت من ناصح الألفاظ منحكم و رادع للهوى و عظات

و شرائع لو انهم عملوا بهاما قيدوا العمران بالعادات

نعم المدبر و الحكيم و انهرب الفصاحة مصطفى الكلمات

رجل الحجاز رجل الفصاحة و العلمبطل حليف النصر فى الغايات

ببلاغة القرآن قد جلب النهىو بسيفه انحى على الهامات ۱۴- أما بولاتيتلر فقد قال: «من الصعب أن يظن الإنسان فى أمره أن قوة الفصاحة الإنسانية تؤثر ذلك التأثير القرآنى خصوصا و أنها تصدر عالية بغير ضعف ابدا و تتجدد رفيعة إذ تقصر دون تمثيلها رجال

الأرض و ملائكة السماء» ..

۱۵- و قال المستر جان تودثون كرو الفرنسى: «و قذف فى نفس

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۳۵۰

محمد (ص) مجموع كتاب مملوء بالاسرار الإلهية و اوحى إليه حقائق تجتاز مسافة عقله الطبيعى لذلك علّم الإنسان بالقلم علّمه ما لم يعلم، هذا هو سر الوحى و هو سر الكلمة المكتوبة و كانت الكلمة المكتوبة وحيا إلهيا» ..

۱۶- و قال الاستاذ دى منته من أهالى سويسرا فى كتابه محمد و القرآن: «لقد منع القرآن الذبائح البشرية و وأد البنات و الخمر و الميسر و كان لهذه الاصلاحات تأثير غير متناه فى الخلق بحيث ينبغى ان يعد محمد (ص) فى صف اعاظم المحسنين للبشرية» ..

و قال فى مكان آخر «ان الانقياد لارادة اللّه يتجلى فى القرآن بقوة لا تعرفها النصرانية» ..

۱۷- و قال الاستاذ جونسون بصدد القرآن: «هو صيحة نبوية تسمو إلى شفاف القلب له من المعانى ما يناسب الجمع و يصلح لكل زمان آنست اليه و تعالت فيه جميع الأصوات فى مختلف العصور راضية أو مكرهة و كان له صداه فى القلوب المختارة فدفعها إلى الغلبة و النصر فى الدنيا و تكوين قوة جديدة استطاعت ان تدفع شعاع الحضارات الاغريقية الأسيوية عبر الظلام المخيّم فوق أوروبا المسيحية عند ما كانت المسيحية فى ذلك الوقت ملكة الظلام».

۱۸- و قال المستشرق الأمريكى ر. ف. بودلى فى كتابه الرسول حياة محمد و الذى طبع فى اللغة العربية لأكثر من مرة: «بين ايدينا كتاب معاصر فريد فى اصالته و فى سلامته لم يشك فى صحته كما انزل أى شك جدى، و هذا الكتاب هو القرآن و هو اليوم كما كان يوم كتب لأول مرة تحت اشراف محمد و على الرغم من ان الافكار قد دوّنت فى الرقاع و سعف النخيل و العظام فى لحظات غريبة فالسور و الآيات الأصيلة قد حفظت ..

و هذا الكتاب ليس مجموع أحاديث أو تقارير يفترض منها أن

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۳۵۱

محمدا قد قالها، فهى نفس الآيات التى أملاها بنفسه يوما بعد يوم و شهرا بعد شهر خلال حياته، و ان الحسنة الوحيدة فى طريقة زيد انها كانت أمينة فوق الشبهات فلم يفعل شيئا ليضيف فقرات أو يضع جمل ربط أو يحذف أو ينسخ تفاصيل تشين الاسلام ..

لقد عمل باخلاص لا يمكن تصوره، و حتى انه لما انتهى من نشر القرآن كان الكتاب من عمل مؤلفه (اللّه) و مؤلفه فقط ..

و المهم ان القرآن هو العمل الوحيد الذى عاش اكثر من اثنى عشر قرنا دون ان يبدل فيه و لا يوجد شىء يمكن ان يقارن بهذا ادنى مقارنة لا فى الديانة اليهودية و لا فى الديانة المسيحية».

۱۹- و قال دفرجة فى كتابه (العالم- جزيرة العرب): «فى القرآن اصول دينية و اخلاقية و فلسفية و قوانين سياسية و حربية و قانون مدنى ينظم سير علاقات الناس بينهم، و فى كل وجه من وجوه الحياة العظيمة» ..

۲۰- كما و قال ادوار جيبون: «إن دين محمد خال من الشكوى و الظنون و القرآن أكبر دليل على وحدانية اللّه بعد أن نهى النبى عن عبادة الأصنام و الكواكب و هذا الدين أكبر من أن تدرك اسراره عقولنا الحالية» ..

۲۱- و قال المؤرخ الشهير دوانبورت: «ان القرآن اعنى القانون الإسلامى العمومى حافل بالقوانين مدنية و تجارية و حربية و قضائية و جنائية و جزائية و انه يبحث عن الأمور الدينية و شئون البشر فى الحياة من الحقوق الشخصية و الاجتماعية و الأمور الصحية و يبحث عن الفضيلة و الأمانة و العصيان و القصاص عن الجناية فى هذه الحياة و الحياة الآخرة» ..

۲۲- و قال الأستاذ بثورت سميت فى كتابه المسمى «حياة محمد» بالحرف الواحد: «ان محمدا (ص) لمؤسس امة و مملكة و ديانة و هذا

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۳۵۲

امر لم يوجد له سبق مثال و لن يوجد و هو امى لا يعرف القراءة و الكتابة و قد جاء بكتاب مشتمل على دستور الشرائع و العبادات و اخبار الأمم و هو نقى العبارة من الألفاظ المستهجنة باهر الحكمة و الحقائق و هو انظم معجزة له (ص) و الحق يقال انه لمعجزة».

۲۳- و قال واشنطون ايرفيج: «القرآن فيه قوانين زكية سنية».

۲۴- و أخيرا- و ليس آخرا- قال جيبون: «القرآن مسلّم به من حدود الاقيانوس الأتلانتيكى إلى نهر اليغانغستى بانه الدستور الاساسى ليس لاصول الدين فقط بل للاحكام الجنائية و المدنية و الشرائع التى عليها مدار حياة نظام النوع الانسانى و ترتيب شئونه» ..

هذا و لا حاجة هنا لا يراد أقوال و كلمات للكتاب شرقيين غير مسلمين مثل جورج جرداق و بولس سلامة و فيليب حتى و جورجى زيدان و سليمان كتانى ..... الخ بصدد القرآن و علومه و فنونه و ذلك لأن كتبهم و مؤلفاتهم هى فى متناول الجميع و ان بعضها قد طبع لعدة مرات.

و اشير بعد هذا إلى بعض الأفراد من غير المسلمين و الذين اطّلعوا على الاسلام و القرآن عن كثب حيث تجلى لهم حقيقتهما فما كان منهم فى هذه الحالة إلا أن يتخلوا عن عقيدتهم السابقة و ينضموا تحت لواء الاسلام و منهم الدكتور محمد أسد الذى نجد افكاره معكوسة فى كتبه العديدة مثل كتابى الاسلام على مفترق الطرق و فى الطريق إلى مكة و منهم الدكتور أحمد سوسة الذى اشهر اسلامه و كشف علة ذلك فى كتابه فى طريقى إلى الاسلام ..

و منهم الكاتب الكبير الاستاذ على بن ربن الطبرى الذى اشهر اسلامه و قال بعد ذلك بالحرف الواحد: «حينما كنت مسيحيا كنا أقول كما يقول عم لى متعلم بليغ بأن اسلوب القرآن ليس معجزا و ليس من

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۳۵۳

علامات النبوة لأنه فى استطاعة الناس كلهم، و لكن عند ما حاولت تقليده و أطلعت على مدلول كلماته علمت بان اتباع القرآن على حق فيما يدعون له لأنى لم أطّلع على كتاب يأمر الخير و ينهى عن الشر كالقرآن فعند ما يحمل لنا شخص كتابا يحمل نفس المميزات و يوحى الينا بهذه الطلاوة و تلك الروعة فى القلوب و يجوز مثل هذا النجاح و يكون فى نفس الوقت أميا لم يتعلم أبدا فنّى الكتابة و البلاغة فهذا الكتاب يكون بلا شك من علامات النبوة» ..

و منهم الدكتور جرينه المسلم الفرنسى الشهير الذى كان عضوا فى البرلمان و الذى قال حينما سئل عن سبب دخوله فى الاسلام: «لقد تتبعت كل الآيات القرآنية التى لها ارتباط بالعلوم الطبيعية و الصحية و الطبية فوجدتها منطبقة كل الانطباق على معارفنا الحديثة فاسلمت لأنى تيقنت ان محمدا اتى بالحق الصراح قبل الف سنة من غير ان يكون له مدرس من البشر، و لو ان صاحب كل فن من الفنون أو علم من العلوم قارن كل الآيات القرآنية المرتبطة بما يعلمه حسيا كما قارنت انا لأسلم دون ريب ان كان خاليا من الأغراض».

و منهم المستر ر. دى كرى المسيحى الانكليزى الذى اشهر اسلامه و كان قد سئل بعد ذلك عن علة اسلامه فأجاب: «انى قد نشأت على الديانة المسيحية و اجريت علىّ جميع آدابه و رسومه و لكن عند ما ظهرت لى هذه الحقيقة الواقعية و هى تطابق ما ساقتنى اليه نظرياتى الشخصية و جميع ما قرأته حول الدين الاسلامى و ما اجده فى أقوال النبى محمد و تعاليمه من الأجوبة الكافية على جميع مسائلى العويصة عند ذلك غمرتنى حالة بهجة و سرور أترك تصويرها إلى فكرة القارئ ..

و كلما قرأت سورة من القرآن كانت الحقائق الواقعية تتجلى لى واحدة اثر اخرى فاحمد اللّه تعالى حيث تقبل بلطفه و كرمه استسلامى للديانة الاسلامية» ..

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۳۵۴

و منهم اللورد هيدلى رئيس الجمعية الاسلامية حيث نرى انه بعيد اشهار اسلامه ألّف كتابا يحمل اسم «ايقاظ العرب للاسلام» و ما ورد فيه بحق القرآن كثير ننقل منه هذه الأسطر و هى: «اذا قارنا الطرق المتخذة عند المسلمين عند ابداء آرائهم بالطرق المتبعة بين

ناشرى الدين المسيحى دهشنا من الفرق البين بينهما اذ الأول يتسنم عن روح الحب و التسامح بينما الآخر يظهر كثيرا من الإكراه و اللعنة، فالتعليمات التى وردت فى القرآن سهلة المأخذ جدا و قد بيّنت بأسهل لغة، و اضاف انه ليس هناك اى ابهام أو غموض فى الآيات القرآنية، فما اعظم الفرق بين الطريقة التى ينشر بها المسلمون الذين يتبعون تعاليم القرآن دينهم، و تلك الطريقة البغيضة التى اتخذها هؤلاء الذين يسعون فى ان يوزعوا جذوات نار و سيوفا شتى من الدين المسيحى».

هذا و نورد هنا محاورة طريفة لرجل انكليزى كان يعرف اللغة العربية و كان يعمل ربانا لا حدى السفن التجارية حيث سمع قوله تعالى:

أَوْ كَظُلُماتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحابٌ ظُلُماتٌ بَعْضُها فَوْقَ بَعْضٍ إِذا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَراها وَ مَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُوراً فَما لَهُ مِنْ نُورٍ «۴» ..

فسأل هذا الرجل عن القائل لهذا الكلام فقالوا له ان هذا هو من القرآن الكريم الذى أوحى إلى النبى محمد (ص) فقال: هل ركب محمد البحار فأجابوه: لا فقال: ان هذه الصورة الحقيقية لا يعرفها إلا من عاش فى البحار عشرات السنين و لا تحدث إلا نادرا، و لو حدثت لما كان فى مستطاع أحد ان يصوّرها هذا التصوير الفنى البديع الذى صوّرها به القرآن، فليس هذا القول بقول بشر بل هو قول اللّه سبحانه» ..

و أخيرا- و ليس آخرا- نشير إلى ظاهرة ملموسة عاصرها ابناء هذا

---

(۴) النور: ۴۰.

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۳۵۵

الجيل تتعلق بالأثر الذى تركه القرآن و الاسلام فى نفوس شعب صديق و كبير فى العالم حيث اضاء لهم سبيل الهداية و الرشاد فتركوا ما كانوا يؤمنون به من عقائد و افكار ليدخلوا فى دين اللّه افواجا ..

و هذه الظاهرة نجدها ساطعة فى اقطار شبه القارة الهندية، فالمعروف ان عدد المسلمين فى شبه القارة عند الاستقلال فى آب من عام ۱۹۴۷ كان بحدود ۹۵ مليون نسمة، إلا ان هداية القرآن و أنوار الاسلام امكن لهذا الرقم من ان يتضاعف إلى ما يقرب من أربع مرات- من دون استعمال العنف و القوة بل ان المسلمين فى بعض هذه الاقطار هم ضحية العنف و الارهاب- ليصبح العدد حاليا كما يلى:

۱- الباكستان/ ۹۵ مليون ۲- بنغلادش/ ۱۰۰ مليون ۳- الهند/ ۱۵۰ مليون و قيل أكثر من ذلك المجموع/ ۳۴۵ و طبيعى ان زيادة السكان فى العالم أو فى المنطقة بمرور الوقت لها دخل كبير فى تضاعف السكان و ان كانت هذه بحدود ۱۰۰٪ خلال ۳۸ سنة و ليست بحدود ۴۰۰٪ كما هو حال نفوس المسلمين فى اقطار القارة- و الذى يرجع- كما قلنا إلى فعل القرآن و هدايته للناس، و اخراجهم من الظلمات إلى النور ..

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۳۵۷

الحروف المتقطعة فى أوائل السور

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۳۵۹

ان كل فرد يختم القرآن الكريم ستمر عليه و فى مطلع ۲۹ سورة من سوره البالغة ۱۱۴ سورة ستمر عليه حروف متقطعة يتعذر على غالبية الناس معرفة مغزاها و فلسفتها ..

و هذه الغالبية عند ما تطالعهم هذه الحروف قد لا يكلفون انفسهم مئونة الوقوف عندها لأجل تدبّرها و استيعابها بل يمرّون عليها مرّ

الكرام، و إذا ما لفتت هـذه الحروف تساءل البعض منهم فلا يكلف هذا البعض نفسه للوقوف على ماهيتها، و من كلف نفسه منهم فهو لا يتلقى ممن يستفسر منهم إلا جوابا جاهزا و كاملا لا يضيف إلى معلوماته شيئا و هو «ان اللّه تعالى هو اعلم بمراده منها و انه لا يعلم تأويلها إلا هو» ..

و الحقيقة هنا هو ان هـذا الجواب الموجز هو الـذى تلتقى عنـده كافة اقوال الفقهاء و الأدباء و هو جواب مرن و شامل يستوعب كل معانى هذه الحروف مهما تعدّدت و اختلفت ...

و رغم هـذا فإن البعض من هؤلاء الأدباء و الفقهاء لم يكتفوا بهـذا الجواب الشامل للحروف هـذه، و هـذا هو دأبهم دوما- بل انطلقوا مسرعين للبحث و الاستقصاء فى بطون الكتب و وراء الروايات و الأخبار علهم يقفون على خيط رفيع يوصلهم للعثور على المزيد من المعـانى و الأغراض الخفية لهـذه الحروف و التى لا يمكن- بحـال من الأحوال- ان تنزل على الرسول (ص) عبثا من دون ان تكون مثقلة و حبلى بالأغراض و المعانى المختلفة- و لأنهم أيضا: «انكروا ان يكون فى كتاب اللّه

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۳۶۰

تعـالى مـا ليس مفهومـا، و ان هـذا يتنـافى مع مـا وصف به القرآن الكريم من انه نزل بلسان عربى مبين» «۱» و انه لا يجوز ان يرد فى كتاب اللّه تعالى شىء لا يفهمه الناس تبعا لما جاءت به الآيات الكريمة و الأخبار و العقل بذلك ..

ان الحروف المتقطعة فى أوائل السور مثل «الم، المص، ق، ص، كهيعص، حم» هى فى الحق من الآيات المتشابهة التى لا سبيل للوقوف على معناها و ان اللّه و رسوله و الراسخين فى العلم هم وحدهم ينفردون بمعرفة حقيقتها و اسرارها دون سائر الناس لأنها «سر هذا القرآن» كما ينقل عن الشعبى «۲» .. او كما يروى عن الامام على- ع- بقوله: «ان لكل كتاب صفوة و صفوة هذا الكتاب حروف التهجى». أو كما يؤثر عن أبى بكر الصديق (ص) بقوله: «فى كل كتاب سر و سره فى القرآن أوائل السور» ..

أو قول ابن مسعود: «ان هذه الحروف علم مستور و سر محجوب استأثر اللّه سبحانه به».

و لكن هؤلاء القسم من الأدباء و الفقهاء حاولوا عنـد وصولهم عنـد هـذه الحروف التخفيف من حدة و غلواء تشابهها بالبحث فى كافة المظان

---

(۱) مجلة الوعى الإسلامى الكويتية- العدد ۲۳.

(۲) الشعبى هو ابو عمرو عامر بن شراحيل الشعبى الكوفى ولد عام ۲۰ للهجرة و هو من التابعين، روى عن عمر و على و ابن مسعود و لم يسمع منهم، اصبح قاضيا للكوفة و كان يفتى رغم وجود كثير من الصحابة، و يجلس له كثير من أهل العلم يأخذون عنه مما يدل على مبلغ علمه و عظيم حظه و علوم منزلته بين أتباعه و معاصريه ..

و يقال عنه أنه كان يتحرّج عن الاجابة فى كتاب اللّه إذا لم يكن لديه شىء من السلف، حيث يروى عنه قوله: «ثلاث لا أقول فيهن حتى أموت: القرآن و الروح و الرأى» ..

توفى عام ۱۰۹ للهجرة ..

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۳۶۱

و المصادر عن اسرارها و معانيها ..

و حيث ان كل هؤلاء لم يرتادوا سبيلا واحدا- فى البحث و التقصى- لذا فقد تمكن كل واحد منهم من العثور و الوقوف على معنى واحد لهذه الحروف أو أكثر ..

و من جمع المعانى إلى بعضها سيظهر انها «تزيد على ۲۰ معنى» «۳» و ان اهمها هى:

۱- قيل انها تدل على اسماء السور حيث تعرف كل سورة بما افتتحت به منها، فلو قال القائل قرأت سورة «كهيعص» أو سورة (ص)

عرف الناس ما قرأ هذا القائل ..

و حين تتكرر هذه الحروف فى أكثر من سورة فحينئذ تضاف هذه الحروف إلى اسم السورة الثانى فيقال «حم السجدة» أو «الم البقرة» و هكذا، و ذلك على النحو الذى نجده عند الناس حين تتشابه اسماؤهم فتتميز فى هذه الحالة باضافة لفظ الأب أو اللقب اليها فيرتفع التشابه ما بينها ..

۲- و قيل انها اسماء القرآن ..

۳- و قيل ان اسماء اللّه تعالى منقطعة و لو أحسن الناس من تأليفها لعلموا منها اسم اللّه العظيم ..

۴- و يجعلها البعض حروفا مأخوذة من صفات اللّه تعالى، حيث يجتمع بها فى المفتتح صفات كثيرة و يكون هذا فنا من فنون الاختصار عند العرب، و هذا الاختصار نجده عند العرب بكثرة.

فقد قال الوليد بن عقبة فى رجزه:

قلت لها قفى‌فقالت قاف

---

(۳) منهج البيان فى تفسير القرآن- السيد ابن الحسن الرضوى.

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۳۶۲

أى انها قالت وقفت و قد اقتصرها على القاف فقط.

كما و قال زهير:

بالخير خيرات و ان شرا فاو لا اريد الشر إلا ان تا أى و ان شرا فشر و إلا ان تشاء.

و كما قال الآخر:

نادوهموا ألا الجموا ألاتاقالوا جميعا كلهم ألا فا أى أ لا تركبون و الا فاركبوا.

و قوله (ص): «كفى بالسيف شا» أى شافيا.

و على هذا الرأى فان كل حرف من هذه الحروف إشارة خاصة لصفة من صفات اللّه تعالى.

۵- و يذهب البعض إلى أن هذه الحروف هى ثناء اثنى اللّه تعالى به على نفسه ..

۶- و قيل انه قد أريد بها القسم، و كأن اللّه سبحانه قد أقسم بالحروف المتقطعة كلها و اقتصر على ذكر بعضها من ذكر جميعها ..

و هذا يشبه قول القائل عند ما يقول تعلّمت «ا ب ت ث» حيث ان معنى هذا القول انه قد تعلم كافة الحروف الثمانية و العشرين «۴» لا الأحرف (الحروف) الأربعة فقط ..

---

(۴) إن الحروف فى اللغة العربية هى (۲۸) حرف كما هو معروف و فى اللغة الانكليزية (۲۶) حرف و فى اللغة الاوردية (الهندية) ۵۳ حرف و فى اللغة السندية ۵۲ حرف ... الخ ..

و بهذه المناسبة نشير إلى واقعة طريفة حول عدد حروف العربية، و هو أن أحد الأدباء كان قد كلف أحد الصبيان الأذكياء بالذهاب إلى الشاعر أبى العلاء المعرى (المولود عام ۹۷۳ و المتوفى عام ۱۰۵۸ م) ليخبره بأنه القائل لهذا البيت:

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۳۶۳

۷- و قيل أيضا أنها وردت فى صدر السور لتكون أول ما يقرع الأسماء و تثير الأذهان للاصغاء و الانصات كحروف التنبيه و الافتتاح، و انه سبحانه لم يستعمل الكلمات المتداولة و المشهورة فى التنبيه و الافتتاح مثل ألا- و أما لأنها تستعمل بكثرة فى كلام الناس و متعارفة ما بينهم ..

و حيث ان القرآن لا يشبه كلام الناس، لذا جيئت بالفاظ تنبيه و افتتاح لم تعهد من قبل لتكون ابلغ فى قرع الاسماع و اشد اثارة لاستماعها و تقبلها ..

۸- و قيل ان الحروف التى جاءت فى فواتح السور إنما هى رموز لحركة السورة الموسيقية و النغم الصوتى.

۹- و يرى آخرون ان المراد بها- بعد حذف المكرر- هو مدة بقاء هذه الأمة أو آجال الآخرون ..

۱۰- و قيل انها تدل على انقطاع كلام و استئناف كلام آخر، حيث ان العرب اذا استأنفوا كلاما فمن شأنهم ان يأتوا بشىء غير الكلام الذى يريدون استئنافه فيجعلونه تنبيها للمخاطبين على قطع الأول و استئناف الكلام الجديد ..

_____و أنى و ان كنت الأخير زمانهلآت بما لم تستطعه الأوائل فإن أجاب بالإيجاب فليقل له: إن الاوائل قد جعلوا الحروف العربية (۲۸) حرفا فهل لك أن تزيد عليها بحرف واحد، و إن سألك من أرسلك فقل له أخى الصغير .. و فعلا جاءه الصبى و أخبر أبا العلاء بالشعر فأجاب بالإيجاب فطلب منه الزيادة فتعثر الشاعر و قال لن أتمكن و لكن أخبرنى من بعثك، فأجابه الصبى: أخى الصغير فرد الشاعر: بل استاذك الكبير. و برواية أخرى، فلما أنصرف الصبى، سأل عنه أبو العلاء فقيل له هو ابن فلان، فقال: قريبا يموت، فلم تمضى أيام حتى مات الصبى، فقال أبو العلا: ذكاؤه قتله ..

و كان الصبى هنا قد ذهب من تلقاء نفسه من دون توصية أحد وفقا للرواية الأخيرة ..

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۳۶۴

۱۱- و يرى البعض أن كل واحد من هذه الحروف يدل على فعل من الأفعال فالألف معناه الف اللّه محمدا فبعثه نبيا و اللام لأمة الجاحدين ... الخ.

۱۲- و هناك من قال بأنه لو جمعت هذه الحروف كلها فى مكان واحد و حذف ما تكرر منها لوجد أن الحروف المتبقية هى ۱۴ حرف نورانى يجمعها قولك «صراط على حق نمسكه».

۱۳- و من قال ان مجموع حروف هذه الفواتح بعد حذف المكرر يفيد العبارة «صح طريقك مع السنة».

۱۴- و قيل أن القرآن مؤلف من حروف التهجى المعروفة و التى جاء بعضها مقطعا منفردا و جاء تمامها مؤلفا مجتمعا ليتبين العرب ان القرآن نزل بالحروف التى يعرفونها فيكون ذلك نداء لهم و دلالة على عجزهم ان يأتوا بمثله و انه من عند اللّه لا من البشر ..

۱۵- و قيل اخيرا- و ليس آخرا- انها تشمل على اشارات و معانى لا يفهمها إلا الرسول الأعظم (ص) و الغرض منها هو اعلام الناس بأن القرآن المعجز مركب من هذه الحروف و الذى يتألف منها كلامهم فعجزهم رغم ذلك عن تحديه دليل على انه من عند اللّه تعالى ..

و نحن هنا و بعد استعراض كل ما امكن جمعه عن المعانى الخاصة بهذه الحروف لا نستطيع ان نضع اصبعنا على أى من هذه الفقرات لنقول انها هى المراد بها و ان ما عداها ليس كذلك، فقد تكون كلها صحيحة و قد يكون آخرها هو القول الفصل و قد يكون غير هذا و ذاك ..

و كل الذى نستطيع ان نقوله بثبات هو ان نعود كرة اخرى الى مطلع هذا الفصل لنضم صوتنا إلى اصوات الأكثرية الساحقة من الفقهاء و الأدباء و التى تذهب- فى تفسير هذه الحروف- الى ان اللّه سبحانه هو

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۳۶۵

الذى يعلم سر هذه الحروف و مغزاها الحقيقى لأنها من الآيات المتشابهة التى تحتمل اكثر من تأويل و تفسير.

و فى ختام هذا الفصل نورد اتماما للفائدة جدولا توضيحيا للسور القرآنية المفتتحة بالحروف المتقطعة ليسهل على القارئ الكريم معرفة كل سورة منها و الحروف المبتدأة بها ..

جدول احصائى للسور القرآنية المبتدأة بالحروف المتقطعة و عددها ۲۹ سورة التسلسل/ الحروف/ اسماء السور التى وردت فيها/ عدد

السور ۱-/ الم/ البقرة، آل عمران، العنكبوت، الروم، لقمان، السجدة/ ۶ ۲-/ المص/ الأعراف/ ۱ ۳-/ الر/ يونس، هود، يوسف إبراهيم، الحجر/ ۵ ۴-/ المر/ الرعد/ ۱ ۵-/ كهيعص/ مريم/ ۱ ۶-/ طه/ طه/ ۱ ۷-/ طسم/ الشعراء، القصص/ ۲ ۸-/ طس/ النمل/ ۱ ۹-/ يس/ يس/ ۱ ۱۰-/ ص/ صاد (ص)/ ۱ ۱۱-/ حم/ غافر، فصلت، الزخرف، الدخان، الجاثية، الأحقاف ۱۲-/ حمعسق/ الشورى ۱ ۱۳-/ ق/ قاف (ق)/ ۱ ۱۴-/ ن/ القلم/ ۱ المجموع/ ۲۹

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۳۶۷

خلق القرآن و قدمه

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۳۶۹

قصة خلق القرآن و قدمه محزنة و مؤلمة و مشوبة بمزيد من الدموع و الدماء، فهى و ان كانت لا تتعلق بأى اصل من اصول الدين أو فروعه إلا انها اقامت العالم الاسلامى و اقعدته لفترة طويلة من الزمن و أحدثت بين ابنائه من الفرقة و الخلاف و رغم اشتراكهم فى الشهادتين و الكتاب و القبلة و الفرائض و الامور الأخرى- احدثت من الفرقة ما بينهم ما يتعذر على الاستعمار و اعداء المسلمين بامكانياتهم المادية و العسكرية من احداث شطرا منه فى بحر عشرات السنين ..

ان هذا الخلاف الذى استعر بين المسلمين حول هذا الموضوع لم يكن ليرتضيه الاسلام أو القرآن نفسه فى شىء، بل انه قد جاء من خلف ظهورهما و عبر النظرة الضيقة التى كان يحملها أولئك الذين اشعلوا هذه الحرب و اوقدوا هذه الفتنة ..

و لو ادرك هؤلاء مليا حقيقة المفاهيم الاسلامية و ما تدعو اليه من تسامح و تساهل لما حدث الذى كان و لما تلطخ التاريخ بالدماء و العنف و لعاش الجميع اخوة متحابين كالجسد الواحد و اليد الواحدة ..

و الحقيقة ان مأساة حكاية خلق القرآن و قدمه قد اصبحت فى ذمة التاريخ و ليس لها مكان الآن أو فى المستقبل لا سيما بعد ان طغت الافكار و التيارات السياسية المختلفة على عقول غير قليل من المسلمين و غدت هذه الافكار هى المفرّقة بينهم دون سواها غالبا ..

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۳۷۰

هذا و قد بلغت فتنة خلق القرآن و قدمه ذروتها القصوى فى أواخر القرن الثانى للهجرة عند ما تولى المأمون العباسى «۱» زمام الحكم و قيامه ببذل التسهيلات بوجه ترجمة الكتب اليونانية و الفلسفية إلى اللغة العربية و وضعها فى متناول ابناء الشعب، اضافة لمباركة الخليفة للمناظرات و المناقشات التى تحدث بين الناس و التى تخص مواضيع الطبيعة و ما وراءها و مسائل العدم و الوجود و غيرها ..

و لو ان الأمر قد وقف عند حدود المطالعات و المباحثات البحتة فى مسائل ما وراء الطبيعة أو فى المواضيع الفلسفية لهان الأمر و لمرّ مرورا سريعا من دون ان يحس به أحد ..

و لكن تدخل بعض الخلفاء و الحكام السافر و دس انوفهم فى خضم هذه المناقشات و الانتصار لهذه الفكرة تارة و لتلك تارة اخرى مع استعمال العنف فى اشاعة الفكرة التى ينتصر لها قد زاد فى الطين بلة و اخرج هذه المناظرات من مجرد بحث و جدل منطقى و فكرى إلى حرب مستعرة الأوار تلتهم الأخضر و اليابس من دون ان تترك شيئا ..

---

(۱) ولد المأمون عام ۱۷۰ ه و قد تولى الخلافة بعد قتل أخيه الأمين عام ۱۹۸ ه، حيث قال الأخير قبل ذلك و عند تولّيه الخلافة بعد وفاة الرشيد بخلع المأمون عن ولاية العهد و إسنادها إلى ابنه موسى، مما أدى إلى نشوب الحرب بين الأخوين و استعانة المأمون بالقوات الفارسية لاجتياح بغداد عاصمة الخلافة و قتل أخيه الأمين ..

و كان المأمون من عظماء الخلفاء العباسيين حيث قرّب الحكماء و الشعراء و طلب ترجمة الكتب المختلفة إلى العربية، و كان سمحا يميل إلى الإقناع و المناقشة و احتمال آراء المتناظرين و إن كانت هذه لا تتفق مع آرائه و ميوله ..

اسند المأمون ولاية العهد إلى الإمام على بن موسى الرضا- ع- إلّا أن الإمام توفى فى عهد المأمون مما أضطره إلى تولية أخيه محمد المعتصم محل الإمام الرضا، أمه فارسية و كذلك زوجته ..

توفى فى بلاد بيزنطية شمال طرسوس عام ۲۱۸ ه ..

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۳۷۱

و عن حقيقة خلق القرآن و قدمه نشير فى البداية إلى ان المسلمين جميعا قد اتفقوا من دون خلاف يذكر على ان اللّه تعالى يتصف بالكلام و انه متكلم، و ان القرآن الكريم هو كلام اللّه سبحانه و لكنهم بعد هذا اختلفوا حول ماهية هذا الكلام و أساسه ..

فترى فئة من المسلمين ان القرآن الكريم هو قديم بدليل هو «ان اللّه تعالى متكلم بكلام نفسى ازلى قديم زائد عن ذاته و غير منفك عنها و ان القرآن معنى قائم بذات اللّه و قديم بقدمه» «۲» و انه احدى صفاته الذاتية ..

بينما ترى الفئة الثانية من المسلمين و تذهب إلى فكرة خلق القرآن و حدوثه بدليل تورده مفاده «ان اللّه تعالى متكلم بذاته بدون كلام زائد عنها و انه يخلق الحروف و الاصوات فى الأغراض فتقرأ و تسمع، و ان القرآن باعتبار انه متصف بما هو صفات المخلوق و سمات الحدوث من تأليف و تنظيم و انزال و كتابة و سماع و حفظ و ناسخ و منسوخ هو مخلوق» «۲» و لا يصح ان يكون قديما و ازليا، اضافة إلى ذلك فإن القرآن «مؤلف من الحروف و الكلمات و لا بد ان يكون لها و لتأليفها بداية و نهاية و لا بد من ان يكون له علة فى ايجاده و وجوده لأنه ليس بواجب الوجود فان واجب الوجود واحد هو اللّه تعالى و ليست علة وجود الموحى منه إلا خلق اللّه خالق كل شىء، فقد قال سبحانه- انا جعلناه قرآنا عربيا- و الجعل هو الخلق و كل مجعول و مخلوق له بداية» «۴».

و هذا الذى قيل فى خلق القرآن و قدمه لو اردنا ان نترجمه و نقلبه إلى اسلوب سهل و بسيط ليمكن فهمه من قبل القراء الكرام لا صبح كما يلى:

تذهب الفئة الأولى من المسلمين الى ان اللّه تعالى قديم (و هذا

---

(۲) القرآن المجيد- محمد عزة دروزة.

(۴) آلاء الرحمن فى تفسير القرآن- محمد جواد البلاغى.

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۳۷۲

امر مسلّم به عند الفئة الثانية أيضا) و لهذا يجب أو يلزم ان يكون كلامه النفسى المقبل به ابدا و لا يمكن سلبه عنه مثله قديما ..

بينما ذهبت الفئة الثانية إلى ان كلام اللّه تعالى مخلوق كخلقه تعالى لبقية الأشياء و الحاجات متى اراد و حين يشاء لأنه كلام لفظى و التكلم من الصفات الفعلية ..

و فى الحق اذا كان لى ان ادلو بدلوى فى هذا الموضوع فإنى ارى- بعد المرور على حجج الطرفين و استعراض آرائهم- ان دلائل و تعليلات الفئة الثانية بصدد خلق القرآن تتفق مع المنطق و العقل و تتلاءم مع العلم و تطور الفكر الحديث ..

لذا فإنها أقوى حجة و اثباتا- لدىّ- من الأولى مما لا مجال للتفصيل أو للايضاح باكثر من هذا و سواء أضمّ القارئ الكريم صوته إلى صوت الفئة الثانية فى تأييد خلق القرآن أو انتصر لمن قال بقدمه، فليس لصوته أو صوت غيره كبير اهمية أو عظيم اثر بعد ان اصبحت القضية برمتها فى ذمة التاريخ و بات امرها نسيا منسيا.

كما و لم يكن ليخطر على بالى قط ان أشير إلى هذا الموضوع فى هذه الدراسة لو لا الرغبة و الحرص منى على تسجيل لون من الوان التفكير الاسلامى اشغل صفحات طويلة و عريضة من التاريخ فى العصر العباسى الأول وادى إلى تعذيب و سجن و ازهاق ارواح كثيرة من الناس كان المفروض فيهم ان يتموا حياتهم بسلام و ان يسهموا فى انعاش الحركة الفكرية و الثقافية فى العالم ..

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۳۷۳

الاسراء و المعراج فى القرآن

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۳۷۵

فى القرآن الكريم و على وجه التحديد فى سورتى الاسراء و النجم اشارات واضحة و ظاهرة إلى إسراء و معراج الرسول (ص)، رغبنا و نحن على الأبواب الأخيرة للكتاب ان نلقى بعض الضوء عليها لنرى مدى مطابقتهما و ارتباطهما بروح هذا العصر، عصر الذرة و الأقمار الصناعية كما يسمونه ..

و المقصود من الاسراء هنا هو سير و سفر الرسول (ص) ليلا من مكة المكرمة شطر المسجد الأقصى فى مدينة القدس حاضرة فلسطين «۱». و المسجد الأقصى- كما هو معروف- كان القبلة الأولى للمسلمين قبل ان يغيّرها اللّه و يجعل اتجاه الصلاة شطر المسجد الحرام بمكة المكرمة بعد الهجرة المباركة ..

---

(۱) نشير هنا إلى أنه ليس لليهود و لا لغيرهم من القوميات و الأديان ممن حكم فلسطين أى حق بها يضاهى حق العرب و المسلمين أو يضارعه بها للاسباب التالية:

۱- إن اليهود لم يحكموا فلسطين باكملها إلّا لمدة جد قصيرة و فى جزء من حكم النبى داود و ولده سليمان- ع- و البالغة ۷۳ سنة من عام (۱۰۰۰- ۹۲۷) ق. م.

۲- إن اليهود لم يحكموا إلّا مناطق صغيرة من فلسطين و فى مدة قصيرة و متفرقة قبل حكم النبى داود و خلال حكمه و بعد حكم النبى سليمان و فى مدة ۳۴۱ سنة ..

۳- إن الحكم اليهودى لأرض فلسطين قد زال منذ سنة ۱۳۵ م زوالا تاما

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۳۷۶

اما المراد من المعراج فهو صعود و ارتقاء الرسول (ص) من المكان الأخير- قبة الصخرة فى القدس- تلقاء السماوات العليا ..

اما موعد و وقت الاسراء و المعراج فقد اختلف الرواة و المؤرخون بشأنهما، إلا أن القولين المرجحين عنهما هو انهما قد تما فى مكة المكرمة بالتأكيد و قبل الهجرة، و فى السنة الثانية عشر أو العاشرة من بعثة سيد المرسلين (ص) ..

و كانت واقعة الاسراء و المعراج محك لايمان بعض المسلمين، كما و كانت- فى نفس الوقت- تحدى صارخ و مجابهة مكشوفة مع القرشيين ممن كان يعبد الاصنام و الأوثان و لم ير نور الاسلام و هدايته بعد ..

فالقليل من المسلمين ممن لم يتجاوز الاسلام ما وراء السنتهم و ممن كانوا يعبدون اللّه على حرف قد ارتدوا إلى ظلمات ضلالاتهم السابقة حين سمعوا بقصة اسراء الرسول (ص) و معراجه، حيث ظن هؤلاء القلة من المرتدين ان كل شىء يرى بالعين المجردة أو يمسك باليد يحكم بصحته و وجوده، و ان ما دون ذلك لا يعدوا عن ان يكون خيالا و اوهاما أو حديث خرافة .. و لم يصل إلى فكرهم بعد ان هناك اشياء و امور لا تعد و لا تحصى لا يمكن ان ترى بالعين المجردة رغم انها موجودة و ثابتة امامنا وجود الانسان نفسه و ثبات القلاع و الرواسى ..

و حتى تقسيم فلسطين فى عام ۱۹۴۸ (و هى مدة تمتد لمدة ۱۸۱۳ سنة) ..

۴- إن العرب و المسلمين حكموا فلسطين لمدة طويلة تزيد على ۱۲۴۰ سنة عدا- فترة حكم الصليبيين- عند غزوهم لها و التى تبلغ ۱۹۲ سنة ..

و لم يحدثنا التاريخ أن أمة من الأمم استوطنت هذه البلاد و حكمتها بمثل المدة التى استوطن بها العرب و المسلمون و حكموها و لا

بما يقاربها، و إن حكم العرب و المسلمين لفلسطين لم يأتى نتيجة لغزوها أو الاستيلاء عليها لنهب خيراتها، و إنما بقصد نشر رسالة السماء العادلة و تحرير سكانها من جور الحكام و الظالمين و التشريعات التعسفية السائدة فى تلك البلاد ..

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۳۷۷

اما بقدر تعلق الأمر بالفئة الضالة الأخرى و هم القرشيون الذين لا زالوا على دين آبائهم و اجدادهم فقد اتخذ هؤلاء من واقعة الاسراء و المعراج نقطة ضعف و و ثوب لشن المزيد من التضليل و الافتراء بوجه الدعوة الاسلامية مشيرين إلى ان قوافلهم و سائر ابناء البشر يحتاجون إلى شهر كامل ليصلوا إلى مشارف الشام أو شهرا للعودة إلى اماكن انطلاقهم من هناك، فكيف- يا ترى- تمكن محمد بن عبد اللّه (ص) من الوصول إلى تلك الديار و الارتقاء إلى السماء و العودة إلى عقر داره فى بحر ليلة واحدة أو دونها .. فهذا الشىء- بزعمهم- هو منتهى الضلال و الكذب ..

و لكل هؤلاء جاءهم الرسول (ص) بآيات و بينات قاطعة تشير إلى صدق و يقين اسرائه و معراجه، منها انه قد شاهد فى طريقه- فيما شاهد- و فى اماكن و مواقع معينة حددها لهم بدقة، شاهد قوافل متعددة تعود ملكيتها لهم و اشعرهم أيضا بعدد جمال كل قافلة و اتجاه سيرها ..

و لكنهم- بعد وقوفهم على حقيقة هذه المشاهدات عند وصول القوافل اليهم- و التى كان المفروض ان تكون هذه سببا لانضمامهم تحت لواء الدين الجديد و حمل مشعله و رسالته، لم يزدادوا إلا تصلبا فى عنادهم و انغماسا فى غيهم مبررين كل الذى سمعوه من الرسول (ص) بأنه السحر المبين بعينه و الباطل الذى لا حق وراءه ..

و ليس هذا القول من هؤلاء الضالين بغريب أو عجيب علينا اذا ما علمنا بان هذا السلوك هو نفس سلوك اعداء الحقيقة و خصوم العقيدة فى كل زمان و مكان ..

اما عن كيفية اسراء الرسول (ص) و هل كان ذلك بالجسم و الروح و بما عليه من ملابس ام انه كان بالروح فقط و هو ما يشبه الرؤيا التى تمر على الانسان حين النوم .. لقد ذهب القسم الأكبر من علماء و فقهاء المسلمين إلى ان الاسراء كان بجسد الرسول و روحه و ملابسه بل

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۳۷۸

و بخفه و عمامته و ذلك بدليل ثابت و قاطع و هو انه لا شىء يحول دون اسمائه (ص) بهذه الكيفية طالما ان رغبة اللّه و ارادته آثرت له ذلك ..

و ان هذه الرغبة و الارادة الإلهية حين ارادت سابقا ان تكون الملكة بلقيس مع عرشها و الذى كان يربض على مرتفعات اليمن السعيدة و على بعد عدة آلاف من الكيلومترات، ان يكون كلاهما بين يدى النبى سليمان- ع- فى حاضرة ملكه القدس لم يقف أى شىء حائلا دون وصولهما فى طرفة عين ..

أضف إلى ذلك ان الاسراء لو كان بالروح- و هو كالرؤيا فى المنام- كما يذهب اليه بعض علماء المسلمين لما قامت قيامة قريش ضد النبى أو لما ارتد من المسلمين من ارتد حين سماع الواقعة، لأن الرؤيا فى المنام ليست بحدث خارق أو معجزة كبيرة يحسب له حساب، بل هى (الرؤيا) تمر على كل الناس عند المنام ..

لذا فان «استنكار و معارضة كل هؤلاء لواقعة الاسراء انما جاء لأنهم علموا و سمعوا بانها تمت بجسد الرسول (ص) و روحه و ملابسه و على خلاف ما تقضى به السنن الطبيعية المتعارفة» «۲».

ان هذا الرأى عن كيفية الاسراء هو الذى يذهب اليه الغالبية من علماء المسلمين و هو ما نعتقده أنه الصحيح، و سوف لن نمر على رأى من يقول خلاف ذلك، لأن ادلتهم لا تقف امام حجج الأكثرية ..

اما بيت القصيد فى بحث الاسراء و المعراج «۳» فهو ان الاسراء- فى الحقيقة- كان على خلاف السنن و القوانين الطبيعية إلا انه اريد به

ان

---

(۲) الإسلام ظهوره و انتشاره فى العالم- حامد عبد القادر.

(۳) لقد ذكر الاسراء قبل المعراج ليكون دليلا على صحة قوله (ص) بصعوده إلى السماء و التقاؤه مع الأنبياء السابقين و رؤيته لنعيم الجنة و نيران الجحيم و ذلك تدرجا فى وقع الخبر على نفوس الناس و هو ما يعرف ب «التدرج فى المعجزة» ..

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۳۷۹

يكون معجزة اخرى للرسول (ص) تدعم معجزته الأولى و هو القرآن الكريم.

و المعجزة بطبيعتها تسير على خلاف القوانين و السنن الطبيعية كما هو معروف طبعا و إلا لم تكن معجزة و لم تكن تحديا، بل ستكون حادثا بسيطا أو واقعة عابرة فى مقدور كل فرد الاتيان بمثلها أو خيرا منها ..

و اننا حين نؤمن بالغيب و مقدرته على الاتيان بالخوارق و المستحيلات لاثبات دعوة خاصة أو حادث خطير، لا نملك إلا الإيمان- إيمان العجائز- و بعناد بآية الإسراء و هى قوله تعالى: سُبْحانَ الَّذِى أَسْرى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِى بارَكْنا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آياتِنا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ «۴». و بآيات المعراج و هى قوله تعالى: ... وَ هُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلى، ثُمَّ دَنا فَتَدَلَّى، فَكانَ قابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنى فَأَوْحى إِلى عَبْدِهِ ما أَوْحى ما كَذَبَ الْفُؤادُ ما رَأى ..... و لَقَدْ رَأى مِنْ آياتِ رَبِّهِ الْكُبْرى «۵» .. إيمانا يستوعب كل نتيجة تترتب عليها و يسع كل ما فيها من معالى و من دون أن يداخل هذا الإيمان القويم و الراسخ قليل شك أو ريبة «۶» ..

---

(۴) الاسراء: ۱.

(۵) النجم: ۱۸.

(۶) نشير بهذه المناسبة إلى أن دانتى فى الكوميديا الإلهية قد تأثر بالإسلام و بمعراج الرسول (ص) على الخصوص تأثرا هائلا واسع المدى يتغلغل حتى فى تفاصيل تصويره للجحيم ..

فمن يقرأ الكوميديا الإلهية يرى بام عينيه بان ثمة مشابهات وثيقة و تامة بين ما جاء فى بعض الكتب الإسلامية عن معراج النبى (ص) و ما فى «رسالة الغفران» لأبى العلاء المعرى و بعض كتابات محى الدين محمد بن على بن محمد بن العربى الاندلسى المولود عام ۵۶۰ ه و المتوفى فى عام ۶۳۸ ه فى دمشق و المدفون فيها من ناحية و بين ما فى الكوميديا الإلهية ..

و هذه المشابهات الدقيقة و الكاملة لم تكن أمرا عارضا أو تولد خواطر بل هى تأثر مباشر بالتصويرات الإسلامية للآخرة بما فيها تفاصيل و وقائع المعراج الذى قام به الرسول (ص) ..

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۳۸۱

الحروف السبعة فى القرآن

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۳۸۳

جاء فى الروايات المختلفة بأن القرآن الكريم قد نزل على سبعة حروف، و من يروى عنه هذا الخبر يسند الأدلة و البراهين إلى وقائع تخص وجود الحروف السبعة فى القرآن جرت فى عهد الرسول (ص) فأيّدها بنفسه و لم يعارضها أو ينفيها ..

كما و يسند هؤلاء إلى الرسول (ص) أيضا احاديث و اقوال توحى بوجود هذه الحروف فى القرآن منها قوله (ص) لقد «نزل القرآن علىّ على سبعة احرف فمن قرأ على حرف منها فلا يتحول إلى غيره رغبة عنه» ..

و قوله (ص) أيضا: «ان هذا القرآن نزل على سبعة احرف فاقرءوا ما تيسر منه».

و قوله (ص) كذلك: «انزل القرآن على سبعة احرف كل كاف شاف ما لم تختم آية عذاب بآية رحمة، أو آية رحمة بآية عذاب» ..

و كذلك أيضا ما ورد فى الخبر «ان اللّه يأمرك ان تقرأ امتك القرآن على سبعة أحرف فأيما حرف قرءوا فقد اصابوا» ..

و قبل ان ننتقل إلى ما يقوله الآخرون فى الرد على من يقول بوجود الحروف السبعة فى القرآن نحب ان نوضّح ما هو المقصود من احرف القرآن السبعة عند من يقول بوجودها ..

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۳۸۴

لقد اختلف الرواة و المؤرخين فى تعليل هذه الحروف و معناها «بسبب ان الرسول (ص) لم يفسر المقصود منها و كذلك لم يفعل أحد من الصحابة لأن امرها كان واضحا إلى حد لا يحتاج إلى تفسير، و قد جاء التابعون من بعدهم و ارادوا تفسيرها فذهبوا فيها مذاهب شتى» «۱» حيث وصلت إلى اربعين قولا «۲» فيها من التناقض العجب العجاب، و ها نحن أولاء نشير إلى أهم المعانى للحروف هذه:

۱- قيل انه يراد منها سبعة أوجه من المعانى المتقاربة بألفاظ متقاربة مثل عجل و اسرع واسع، و مثل اقبل و تعالى و هلّم ..

۲- و يرجح البعض معنى الأحرف السبعة ما يشتمل اختلاف اللهجات و تباين مستويات الاداء الناشئة عن اختلاف الألسن و تفاوت التعليم و كذلك ما يشمل اختلاف بعض الالفاظ و ترتيب الجمل بما لا يتغير به المعنى المراد «۳» ..

۳- و قيل ان الأحرف السبعة هى القراءات السبع و التى كانت موجودة و باقية فى القرآن إلى عهد عثمان فحصرها الأخير فى حرف واحد و احرق بقيتها اى (الحرف الستة) اما «الحرف الذى ابقاه فهو حرف قريش و الذى اختلفت لهجات القراء فيه فمدّ بعضها و قصر البعض و فخم فريق ورق فريق و نقلت طائفة و اثبتت اخرى» «۴» أو وزع قسم من الأحرف السبعة على المصاحف أى وضع فى كل مصحف من المصاحف التى استنسخها قراءة خاصة على الترتيب الذى اشرنا اليه من قبل فى فصل الجمع الثانى و الثالث للقرآن ..

---

(۱) التعبير الفنى فى القرآن- الدكتور بكرى شيخ أمين.

(۲) الإتقان فى علوم القرآن- جلال الدين السيوطى، فضائل القرآن- إسماعيل بن كثير القرشى.

(۳) تاريخ القرآن- الدكتور عبد الصبور شاهين.

(۴) القرآن- محمد صبيح.

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۳۸۵

۴- و ذهب البعض إلى أن معناها هى الأبواب السبعة التى نزل منها القرآن و هى الأمر و الزجر و الحلال و الحرام و المحكم و المتشابه و الأمثال ..

۵- و قيل ان المراد منها هى الأساليب و الأغراض السبعة الموجودة فى القرآن و هى الأمر و الزجر و الترغيب و الترهيب و الجدل و القصص و المثل ..

۶- و قيل كذلك انها تشير إلى اللغات الفصيحة من لغات العرب و المتوزعة فى القرآن، فالبعض بلغة قريش و البعض بلغات هذيل و هوازن و اليمن و كنانة و تميم و ثقيف ..

۷- و قيل ان الحروف السبعة معناها لغات سبعة غير عربية جاءت فى القرآن لكنها اتفقت فى لفظها و معناها فى العربية و اللغة الاعجمية كالفارسية و الهندية و العبرية و الرومية و اليونانية و الحبشية و القبطية ..

۸- و قيل هى لغة الكعبين و هما كعب بن عمرو و كعب بن لؤى و لهما سبعة لغات ..

۹- و قيل أيضا أن الأحرف تشير إلى أن القرآن له معنى ظاهر و سبعة معانى باطنة ..

۱۰- و قيل ان الأحرف السبعة هى وجوه الاختلاف فى القراءات ..

۱۱- و قيل انها الناسخ و المنسوخ و المحكم و المتشابه و المجمل و المفصل و التأويل ..

۱۲- و قيل ان المقصود بالأحرف السبعة مجرد التوسعة أما العدد فغير مقصود ..

۱۳- و قيل ان المقصود هو طريق التلاوة و كيفية النطق بها من اظهار و إدغام و تفخيم و ترقيق و إمالة و إشباع و مد و قصر و تخفيف و تليين.

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۳۸۶

۱۴- و قيل أخيرا- و ليس آخرا- هى سبع لهجات أو لغات من لغات مضر التى كانت فصيحة كل الفصاحة و لغاتها سليمة كل السلامة من الدخل و الشوائب و كانت لغة مضر تنتظم سبع لغات لقبائل سبع هى هذيل و كنانة و قيس و ضبة و تميم و الأزد و قريش ..

هذا و ان الرأى الأخير (الرابع عشر) هو الذى يحضى بغالبية الأصوات عند من يقول أو يذهب إلى وجود الأحرف السبعة فى القرآن الكريم ..

علما انه بسبب وجود هذه الحروف فى المصاحف اضافة إلى عدم وجود النقط و الحركات فى القرآن فى صدر الاسلام هى التى سببت الخلافات و المنازعات بين فئات المسلمين فى المدينة المنورة أو فى الامصار الاسلامية حيث تمسكت كل فئة بصحة قراءتها على حساب القراءات الأخرى، و التى تطورت (الخلافات) إلى عراك مسلح ما بينهم مما دفع الخليفة عثمان بن عفان إلى حصر الحروف السبعة فى حرف واحد فقط فى المصاحف التى استنسخها و من ثم توزيع هذه المصاحف على الامصار الاسلامية و احراق ما عداها على التفصيل الذى سبق بيانه فى مكانه.

كان كل هذا هو ما يقوله البعض من علماء و فقهاء المسلمين بصدد وجود الحروف السبعة فى القرآن و معانيها.

اما البعض الآخر من هؤلاء فتذهب إلى خلاف هذا القول عن حقيقة هذه الحروف و اساسها فى القرآن الكريم حيث تذهب استبعاد وجود هذه الحروف فى القرآن «لأن القرآن لم ينزل على سبعة حروف و انما نزل بحرف واحد على نبى واحد، و انه يجوز القراءة بما يتداوله القراء بينهم من القراءات و ان الانسان مخير بأى قراءة منها شاء قرأ و يكره

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۳۸۷

تجريد قراءة بعينها» «۵» رغم ان البعض منهم قد «قيّدها بكون القراءة هذه يلزم ان تكون متعارفة فى زمان أهل البيت- ع-» «۶» ..

اما ادلة هذه الفئة و حجمها التى تقدمها فى نفى وجود الحروف السبعة فكثيرة منها عدم التواتر فى نزول القراءات السبع و وجود التناقض الكبير فى معنى و حقيقة هذه الحروف السبعة ..

فمن تناقض أحد تلك الروايات- كما تقول هذه الفئة على سبيل المثال- هو ان الوحى (جبرائيل) كان قد أقرأ الرسول (ص) على حرف واحد فاستزاده النبى فزاده حتى انتهى إلى سبعة حروف و هذه الرواية تدل على ان الزيادة كانت على التدريج، بينما تشير بعض الروايات إلى ان هذه الزيادة كانت فى المرة الثالثة حيث ان اللّه تعالى أمر الرسول (ص) فى المرة الثالثة ان يقرأ القرآن على ثلاثة احرف بينما الأمر بقراءة السبع كان فى المرة الرابعة و هكذا فى بقية الروايات ..

فهذا التناقض- لديهم- يدعو إلى ترك هذه الحروف و التسليم بضعف موردها و بالتالى رفض روايتها عن الرسول (ص) ..

اما الدليل الآخر- لديها- فهو الاختلاف الكبير و الواضح فى معنى و حقيقة هذه الحروف السبعة و ما تقصده و تهدف اليه على وجه الدقة و التحديد و تفرّق العلماء و الفقهاء ما بينهم فى معانيها الحقيقية على النحو الذى اشرنا اليه من قبل ..

و من عبر اقوال و حجج كلا الفئتين نخلص إلى القول بان وجود الحروف السبعة فى القرآن شىء ثابت و مسلم به لديها، إلا ان قسما

---

(۵) الكافى- محمد بن يعقوب الكلينى، آلاء الرحمن فى تفسير القرآن- محمد جواد البلاغى، البيان فى تفسير القرآن- السيد أبو القاسم الخوئى، تفسير التبيان- أبو جعفر الطوسى، مجمع البيان فى تفسير القرآن- أبو على الفضل الطبرسى، موجز علوم القرآن- داود

العطار ..

(۶) البيان فى تفسير القرآن- السيد أبو القاسم الخوئى.

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۳۸۸

منهم يـذهب إلى انهـا فى اصـل التنزيـل بينمـا ينحو القسم الثـانى إلى ان هـذه الحروف لم تكن فى اصـل التنزيـل و انما اسـتحدثت و وجدت بعد ذلك و على يد الرواة و المؤرخين ..

ان الغالبيـة العظمى من المسـلمين ترى و تذهب- و ربما كان رأيى موافقا لها- إلى تأييد و دعم موقف من يقول بوجود هذه الحروف فى القرآن سواء أ كـانت سـبعة حروف أم كانت أقل من ذلك، و انها وجـدت فى أصل التنزيل و لم تكن عارضـة على القرآن أو من صنع أيـدى الرواة و المؤرخين «حيث أن كـل قراءة وافقت العربيـة و لو بوجه و وافقت أحـد المصاحف العثمانيـة و لو احتمالا و صـح سندها فهى القراءة الصحيحة التى لا تجوز ردها و لا يحل انكارها بل هى من الأحرف السبعة التى نزل بها القرآن» «۷».

اما حجج هؤلاء فى اثبات موقفهم من وجود الحروف فى القرآن فهى كثيرة و عديدة ..

منهـا ان هـذه الحروف هى من وجود الاعجـاب بالقرآن و اعجازه و ذلك لأن القرآن لم يأت لفئـة دون اخرى أو لقوم دون آخر، بل جاء لكل قوم و لكل شعب فحرى به (القرآن) و الحالة هذه ان يسع كل الفئات و الشعوب و ان يستوعب لغاتها و لهجاتها ..

لذا نرى ان القرآن الكريم يجمع لغات العرب فضـلا عن بعض الكلمات الغريبة التى ترجع فى اصلها إلى لغات مختلفة كاللغة الفارسية و العبرية و البربرية و السـريانية و الهندية و الحبشية و النبطية و التى تبلغ تعدادها اكثر من مائة لفظ و هى «كلمات اخرجتها العرب على اوزان لغتها و اجرتها على فصيحها فصارت بذلك عربية» «۸» ..

---

(۷) النشر فى القراءات العشر- الحافظ بن محمد بن محمد الدمشقى الشهير بابن الجزرى.

(۸) إعجاز القرآن و البلاغة النبوية- مصطفى صادق الرافعى.

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۳۸۹

فمن هـذه الكلمات- و لا زال الحـديث لهـذه الفئة- التى يجمعها القرآن- على سبيل المثال- نشـير إلى كلمات السـجل و الإسـتبرق و الدينار و التنور و الكافور و الياقوت و السرادق المأخوذات من الفارسية و القسطاس و الرقيم من الرومية، و السندس من الهندية و هدنا و طه و مرقوم من العبرانية و السرى من اليونانية و المشكاة و القسورة و الطاغوت من الحبشية و اليم و بطائنها من القبطية ..

و كل هـذه الكلمات المختلفـة تزيـد فى روعـة القرآن و تبعث الاعجاب و الايمان به «حيث ان بلاغتها فى نفسـها و انه لا يوجد غيرها يغنى عنها فى مواقعها من نظم الآيات لا افرادا و لا تركيبا» «۹» ..

و من حجج هؤلاء أيضا هو ما ورد فى الروايات و الاخبار المختلفة من جواز قراءة القرآن فى الصـلاة و غيرها بأى حرف مقرر و معتبر من حروفه ..

ففى سورة الفاتحـة يجوز قراءة هـذه الآيـة «مالِـكِ يَوْمِ الـدِّينِ» قراءتها «ملك يوم الـدين» و كـذلك قراءة «بِسْمِ اللَّهِ مَجْراها وَ مُرْساها» قراءتهـا «بسم اللّه مجريها و مرسـيها» و قراءة «وَ يَبْقى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَ الْإِكْرامِ» قراءتها «و يبقه وجه ربك ذو الجلال و الإكرام» ..

و منها أيضا- حجج هذه الفئة- انه فى حالة تعدد القراءات فى القرآن الكريم فكانه سـبحانه يشير إلى عدة كتب منزلة لا كتاب واحد، و خصوصا اذا كان فى كثير من هـذه القراءات ان لم يكن فى اكثرها ثروة جديـدة فى التشـريع أو الحكمة أو نحو ذلك، و هذه ناحية من نواحى الاعجاز الذى اختفى به القرآن الكريم ..

و منها كذلك ان وجود الحروف السبعة هو لأجل التخفيف عن هذه

(۹) إعجاز القرآن و البلاغة النبوية- مصطفى صادق الرافعى.

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۳۹۰

الأمة و إرادة اليسر بها و التهوين عليها بان يقرئ كل أمة بلغتها و ما جرت به عاداتها ..

اما ائمة القراءات ممن حازوا تأييد العلماء و القراء من مختلف الامصار و اشتهروا بالثقة و الأمانة و طول الوقت فى ملازمة القراءة و تجردوا لها و اعتنوا بضبطها و تنقيتها اتم عناية للحاجة الماسة لذلك (بعد ما اخذ يتسلل إلى الناس من اضطراب السلائق و مظاهر العجمة و بوادر اللحن و اختلاف القراء فى كيفية القراءة بسبب تنوع اجتهاداتهم أو اختلاف الروايات و الأخبار التى يعتمدون عليها) و جعلوها علما خاصا كما فعلوا مثل ذلك بالحديث و علم التفسير فهم عشرة نورد أسمائهم فى أدناه بالتسلسل:

۱- أبو عمرو زياد بن العلاء المازنى البصرى (شيخ الرواة) المتوفى فى الكوفة عام ۱۵۴ ه ..

۲- عبد اللّه بن كثير المكى الدارى المتوفى بمكة عام ۱۲۰ ه ..

۳- نافع بن عبد الرحمن بن أبى نعيم الأصفهانى المدنى المتوفى فى المدينة عام ۱۶۹ ه ..

۴- عبد اللّه بن عامر اليحصبى الدمشقى المتوفى بدمشق يوم عاشوراء عام ۱۱۸ ه ..

۵- أبو بكر عاصم به بهدلة الأسدى الكوفى المتوفى فى الكوفة عام ۱۲۸ ه ..

۶- أبو عمارة حمزة بن حبيب بن عمارة الزيات العجلى الكوفى المتوفى بحلوان عام ۱۵۶ ه ..

۷- أبو الحسن على بن حمزة بن عبد اللّه بن بهمن بن فيروز الكسائى الفارسى (إمام النحاة) المتوفى فى الرى عام ۱۸۹ ه .. و دفن و القاضى أبو يوسف فى يوم واحد ..

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۳۹۱

۸- أبو جعفر يزيد بن القعقاع المخزومى المدنى المتوفى عام ۱۳۲ ه .. و قيل ۱۲۸ ه ..

۹- أبو محمد يعقوب بن إسحاق بن زيد الحضرمى المتوفى بالبصرة عام ۱۸۵ و قيل ۲۰۵ ه ..

۱۰- أبو محمد خلف بن هشام بن طالب البزاز المتوفى عام ۲۲۹ ه.

و أما ما عدا قراءة هؤلاء فهو شاذ و آحاد «۱۰» كقراءة ابن محيص المكى و يحيى بن المبارك البصرى اليزيدى و ابن جبير و الحسن البصرى «۱۱» و الأعمش و محمد بن احمد البغدادى و الشنبوذى و غيرهم «۱۲» ..

علما بأن «أول من صنف فى القراءة و دوّن علمها هو أبان بن

(۱۰) لئن كانت القراءات العشر أعلاه متفق عليها إجماعا و لكل منها سند فى الرواية إلّا أنها لا تخلو من الشواذ و إن قل بالنسبة للقراءات الأخرى ..

(۱۱) الحسن البصرى هو أبو سعيد الحسن بن أبى الحسن يسار البصرى و أبو مولى زيد بن ثابت، و أمه خيرة مولاة أم سلمة زوج الرسول (ص) و قد نشأ فى بيتها و لقى جماعة من الصحابة و سمع منهم، ولد عام ۲۲ أو ۲۱ للهجرة، و تدل ثقافته فى مسائل التفسير و الحديث أنه كان عميق الصلة بتراث عصر الصحابة، حيث أكسبه ذلك فصاحة اللسان و صدق العاطفة فاجتمع الناس إلى حلقته فى مسجد البصرة، و لقد روى عن على و ابن عمر و أنس و كان ورعا و بارعا فى الوعظ و عالم بكتاب اللّه و سنة رسوله (ص) و أحكام الحلال من الحرام. لذا سمّى شيخ أهل البصرة، عاش الحسن البصرى حياة زهد و تقشف ارتبط مع الزهد و التقشف الذى كان عليه المسلمون فى صدر الإسلام. لذا كان أحد رواد الحركة الكلامية و النزعة الصوفية و التى انطلقت من البصرة لتجذب إليها عددا كبيرا من الاتباع فى كافة أنحاء العالم الإسلامى ..

مات الحسن البصرى عام ۱۱۰ ه و كان دفنه فى البصرة بعد صلاة الجمعة و لا تزال سيرته حميدة فى عالم التصوف ..

(۱۲) إعجاز القرآن و البلاغة النبوية- مصطفى صادق الرافعى، مباحث فى علوم القرآن- مناع القطان.

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۳۹۲

تغلب (تلميذ الامام على بن الحسين- ع-) «۱۳» المتوفى سنة ۱۴۱ ه» «۱۴» و بعده جاء غالبية القراء العشرة المتقدم ذكرهم ..

هذا و أن لكل واحد من هؤلاء القراء رواة كثيرين من أهل التقوى و الضبط و الاتقان يروى بعضهم عن امامهم مباشرة و بغير واسطة و بعضهم يروى عن امامه بواسطة ..

و نشير ختاما حسما لموضوع الحروف فى القرآن إلى ان كل قراءة «صح سندها إلى رسول اللّه (ص) و وافقت خط المصحف العثمانى- و لو احتمالا- و وافقت العربية بوجه من الوجوه المعتبرة أو عن غيرهم، صحيحة و ما لم تجتمع هذه الشروط الثلاثة فهى شاذة و مردودة لا يقرأ بها أيا كان الإمام الذى نقلت عنه» «۱۵».

فاذا «اجتمعت فيه- القراءة- هذه الخلال الثلاث قرئ به و قطع على مغيبه و صحته لأنه أخذ عن اجماع من جهة موافقته خط المصحف و كفر من جحده» «۱۶» ..

---

(۱۳) على بن الحسين زين العابدين هو الإمام الرابع (لدى الإمامية) و عمه الحسن وجده على- ع- و أمه سلمة بنت يزدجرد آخر ملوك الفرس حيث تزوج الحسين- ع- بها بعد أن جاءت رفقة سبى فارس فى عهد الخليفة عمر بن الخطاب (رضى) كما و تزوج أختها عبد اللّه بن عمر و تزوج أختها الأخرى محمد بن أبى بكر الصديق فأولدت الأخيرة القاسم بن محمد و الوسطى سالم ابن عبد اللّه ..

ولد زين العابدين عام ۳۸ من الهجرة بالمدينة و مناقبه و فضائله أكثر من أن تحصى حتى قال الزهرى: ما رأيت أفضل منه، و قال الشاعر فيه:

و أن وليدا بين كسرى و هاشملأكرم من نيطت عليه التمائم توفى- ع- فى عام ۹۴ ه و دفن فى البقيع مع عمه الحسن- ع-.

(۱۴) تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام- السيد محمد حسن الصدر.

(۱۵) التعبير الفنى فى القرآن- الدكتور بكرى شيخ أمين.

(۱۶) الابانة فى القراءات- مكى بن أبى طالب.

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۳۹۳

أسباب النزول

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۳۹۵

كنا قد أشرنا فى فصل «القرآن فى طريقه إلى الأرض» إلى ان غير قليل من السور و الآيات القرآنية ترتبط ارتباطا وثيقا و عميقا بالأحداث و الحوادث التى وقعت غداة نزولها ..

و هذه الحوادث و الأحداث التى دعت إلى نزول هذه السور و الآيات متحدثة عنها أو مبنية لحكمها هى التى تسمى ب «اسباب النزول» ..

ان الوقوف على هذه الأسباب و معرفتها يساعد كثيرا على معرفة السورة أو الآية و ما تضم من المعانى و الأسرار و الاخبار اضافة إلى تفسيرها التفسير الصحيح و استخراج الاحكام الشرعية- حيث لا يمكن معرفة تفسير الآية دون الوقوف على قصتها و بيان نزولها- فهى تشبه إلى حد كبير المذكرات التفسيرية التى تصاحب التشريعات الحديثة ..

و نشير هنا «۱» إلى ان هنالك نوعين من الآيات فيما يخص معرفة أسباب نزولها هما: «۲» ۱- نوع يتحتم معرفة أسباب النزول كآيات الاحكام بسبب ان معرفة هذه الأسباب سيساعد الباحث بالوقوف على التشريع ..

۲- نوع لا يتحتم فيه معرفة أسباب النزول كآيات غالبية القصص

---

(۱) لم يكن هذا الفصل و لا الذى يليه ضمن الطبعة الأولى للكتاب و قد أضيف إلى هذه الطبعة للفائدة ..

(۲) علوم القرآن- أحمد عادل كمال.

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۳۹۶

لكونها جاءت للعبرة و العظمة، و آيات العبادة و الوعد و الوعيد و الموعظة أو وصف الجنة أو النار أو القيامة لأنها من نوع الوصف و الاخبار ..

لقد اهتم كثير من الصحابة و التابعين بحوادث و احداث و اسباب النزول فنقلوا احاديث عديدة عنها و هى كثيرة لدى فئة من المسلمين و قليلة لدى اخرى، كما و يوثقها قسم من المسلمين حتى انهم حرّموا الاقدام على تفسير القرآن لمن جهلها حيث قال ابو الحسن على بن احمد الواحدى «لا يمكن معرفة تفسير الآية دون الوقوف على قصتها و بيان نزولها».

و قال ابن تيمية «۳»: «معرفة النزول تعين على فهم الآية فان العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب» بينما يضعّفها- احاديث النزول- البعض الآخر منهم لأنها- برأيهم- ليست مسندة و صحيحة بل فيها المرسل و الضعيف أيضا، اضافة إلى ان «الراوى لا ينقل السبب بطريق المشافهة و التحمل و الحفظ بل ينقل قصة أو واقعة ما ثم يحمل الآيات عليها حملا و يربطها ربطا» «۴» ..

و يرى هؤلاء: «ان سبب النزول حول آية أو سورة ان لم يكن متواترا أو قطعى فيجب عرضه فى القرآن فما وافقه يؤخذ به» «۴» ..

و هذا القول يوحى بان الحديث هو الذى يعرض دائما على القرآن و ليس العكس ..

---

(۳) ولد أحمد تقى الدين أبو العباس ابن تيمية فى مدينة حران عام ۶۶۱ ه و قد هاجر مع أسرته إلى دمشق، و فى دمشق حفظ القرآن و الحديث و اللغة، تولى بعد ذلك التدريس فى الجامع الكبير بدمشق، و قد خالف الاشاعرة و الصوفية و بقية الطوائف لاعتماده على الكتاب و السنة و سيرة السلف الصالح و لمحاربته البدع و الضلالات مما أدى إلى سجنه مرارا، توفى فى ۲۰ شوال عام ۷۲۸ ه فى السجن بدمشق الشام ..

(۴) القرآن فى الإسلام- محمد حسين الطباطبائى.

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۳۹۷

و يمكن بعد هذا جمع القولين السالفين- بصدد احاديث النزول- و استخراج القول الصحيح و المقبول من بينهما و مفاده: «اذا روى سبب النزول بحديث مرسل سقط سنده الصحابى و انتهى إلى التابعى فحكمه انه لا يقبل إلا اذا صح بمرسل» «۶» أو بقول آخر قريب منه هو «ان اسباب النزول لا يمكن ان تدرك بالرأى و لا بد فيها من الرواية الصحيحة و السماع ممن شاهدوا التنزيل أو وقفوا على الأسباب» «۷» ..

هذا و نورد فى ادناه مثلين لأسباب النزول لنرى مدى الحاجة القصوى للوقوف عليها حيث لو لا ذلك لحرم ما ابيح أو لاطلق ما قيّد أو لترك ما فرض ..... الخ و هذان المثلان هما:

۱- انه لو لا بيان سبب النزول فى الآية التالية لظل الناس إلى الآن يبيحون شرب الخمر اخذا منهم بظاهر هذه الآية «لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ جُناحٌ فِيما طَعِمُوا» «۸».

حيث روى ان البعض كان يبيحون شرب الخمر و يحتجون بهذه الآية و خفى عليهم ان سبب نزولها يمنعهم من تناول ذلك مطلقا،

بسبب انه عند ما نزلت آية تحريم شرب الخمر قال قسم من الصحابة للرسول (ص) كيف الحال باخواننا الذين ماتوا و هى فى بطونهم و قد اخبرنا اللّه انها رجس، فانزل اللّه تعالى الآية المذكورة ..

۲- كما و انه لو لا أسباب النزول لأباح الناس لأنفسهم التوجه فى صلاتهم تلقاء الجهة التى يرغبون فيها عملا بظاهر الآية: وَ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَ الْمَغْرِبُ فَأَيْنَما تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ واسِعٌ عَلِيمٌ» «۹» ..

---

(۶) علوم القرآن- أحمد عادل كمال.

(۷) التعبير الفنى فى القرآن- الدكتور بكرى شيخ أمين.

(۸) المائدة: ۹۳.

(۹) البقرة: ۱۱۵.

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۳۹۸

بينما الحقيقة ان سبب نزول هذه الآية هو معالجة احوال فئة من المسلمين صلوا مع الرسول (ص) فى ليلة مظلمة فلم يعرفوا اتجاه القبلة حيث صلى كل واحد منهم إلى جهة خاصة وفقا لاجتهادهم، فلم يضيّع اللّه تعالى لأحد منهم عمله «۱۰» ..

هذا و نشير هنا إلى انه يمكن ان يتعدّد ما ينزل من الآيات الكريمة و لكن السبب واحد و هو ما يعبرون عنه بقولهم «تعدد النازل و السبب واحد» كما و لا يمنع من ان تتقدم نزول الآية على الحكم ..

اما فوائد معرفة اسباب النزول فيمكن جمعها فيما يلى: «۱۱» ۱- معرفة حكمة اللّه تعالى التى دعت إلى تشريع الأحكام و من نزلت فيه الآية على التعيين كأسماء الأعلام أو الأماكن أو الاتجاهات ... الخ.

۲- انارة السبيل للمرء فى الوصول إلى المعنى المراد لأن العلم بالسبب يسهّل العلم بالمسبب.

۳- ابعاد فكرة الحصر أو ابعاد فكرة العموم بالسبب ..

۴- الاستفادة فى قياس أمر على أمر آخر نزلت الآية فيه بجامع العلة فى كل من الأمرين ..

۵- تيسير الحفظ و الفهم لربط الآيات بالحوادث ..

۶- عدم حمل الآيات على غير من وردت فيه بدافع الخصومة أو التحامل «۱۲» ..

و نشير اخيرا هنا إلى ان العبرة بعموم اللفظ القرآنى لا بخصوص

---

(۱۰) مباحث فى علوم القرآن- الدكتور صبحى الصالح.

(۱۱) دراسات فى علوم القرآن- عبد القهار العانى.

(۱۲) مباحث فى علوم القرآن- مناع القطان.

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۳۹۹

السبب الذى استدعى نزوله حيث ان «السبب الذى نزل اثره الوحى لا يحبس التشريع العام و لا يقيده، و انما يكون ذلك السبب مجرد مثير لنزول الوحى فيشمله الحكم النازل و يبقى هذا الحكم على عمومه ساريا على كل الوقائع و الأحداث المماثلة لذلك السبب» «۱۳» ..

و يؤكد هذا المعنى قول الامام محمد الباقر- ع- «۱۴»: «ان القرآن حى لا يموت و ان الآية حيّة لا تموت فلو كانت الآية اذا نزلت فى الاقوام و ماتوا ماتت الآية لمات القرآن، و لكن هى جارية فى الباقين كما جرت فى الماضين» ..

---

(۱۳) موجز علوم القرآن- داود العطار.

(۱۴) الإمام محمد الباقر هو الإمام الخامس (عند الامامية) و هو ابن الإمام على زين العابدين بن الحسين بن على- ع- ..

ولد عام ۵۷ من الهجرة سمّى الباقر لأنه تبقر فى العلم أى توسع فيه، و فيه يقول الشاعر:

يا باقر العلم لأهل التقىو خير من سما على الأجبل و كان عمره يوم استشهاد جده الحسين- ع- بكربلاء ثلاث سنوات.

توفى عام ۱۱۳ ه و قيل ۱۱۷ ه و دفن فى مقبرة البقيع بالمدينة المنورة إلى جوار والده- ع- ..

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۴۰۱

أثر القرآن فى اللغة العربية

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۴۰۲

يذهب كثير من الكتاب و المؤرخين عند بحثهم فى أسس القومية و عواملها إلى ان العناصر الرئيسية التى تكوّن القومية و تؤلف الأمة و تميز بعضها عن بعض هى: «۱».

۱- اللغة: لأنها بمثابة محور القومية و عمودها الفقرى ..

۲- التاريخ: لانه بمثابة شعور الأمة و ذاكرتها ..

اضافة إلى وجود عوامل اخرى تؤثر فى تكوين الأمم فتقوى تأثير العاملين الاساسيين المذكورين اعلاه تارة و تضعف ذلك التأثير طورا و هى:

۱- الدين: لأنه من أهم الروابط الاجتماعية التى تربط الأفراد بعضهم ببعض و تؤثر فى سير السياسة و التاريخ.

۲- الاتصال الجغرافى: لأنه يؤدى إلى عدم بقاء اجزاء الأمة الواحدة منفصل بعضها عن بعض ..

۳- وحدة الأصل و الدم: حيث ان الاعتقاد بوحدة الأصل و الشعور بالقرابة يعمل عملا هاما فى تكوين الأمم ..

۴- الآمال و الآلام المشركة: لأنها بمثابة الدافع لتضامنها و اتحادها.

۵- العادات و الأعراف: لأنها تبعد ما يسبب تنازعها و اختلافها ..

كما توجد عوامل اخرى دون هذه قوة و مضاء فى بناء القومية لا مجال لايرادها فى هذا الوجيز ..

---

(۱) آراء و أحاديث فى الوطنية و القومية- ساطع الحصرى.

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۴۰۳

و هناك أيضا من ذهب إلى ان بعض العناصر و العوامل الخمسة الأخرى اعلاه هى كالعناصر الرئيسية (اللغة و التاريخ) فى قوتها و تأثيرها، لما تسببه من اثر فعال فى تكوين الأمم و تميزها عن غيرها ..

و لقد رغبت فى ختام هذا الكتاب ان اشير باختصار إلى انه فى القرآن «جانبا عربيا كما اعترف به علماء اللغة و مؤرخو الأدب و المفسرون المعنيون باللغة و فيه اكثر من آية تدل على عروبة القرآن لغة و صياغة و فنا و اعجازا بلاغيا ساحرا» «۲» و إلى أثر ذلك فى اللغة العربية «۳» العنصر الرئيسى فى القومية العربية يحفظ هذه اللغة و ابعاد ما قد تتعرض له من لحن أو عجمة، و لما بث فيها من روح الحيوية و نشرها فى الآفاق- كما سيلى تفصيله- و ما سببه هذا الأمر (فى السابق على الأقل) من توثيق لعرى الوحدة العربية بين الجماهير العربية فى كافة امصارهم و ديارهم، و ما يمكن ان يؤديه فى الوقت الحاضر أو فى المستقبل من حوافز لبلوغ هذه الوحدة و التى يمكن الاستعانة بها بعد ذلك لبلوغ وحدة المسلمين و هى الوحدة الانسانية التى ستضم تحت جناحها- فيما تضم- شعوبا و أمما و قوميات مختلفة حيث ستعمل هذه لا سعاد الانسان العربى و المسلم و تحقق اهدافه الخيرة و النبيلة ..

(۲) القرآن و العقلية العربية- نعمة هادى الساعدى.

(۳) تعد اللغة العربية من أرقى اللغات السامية فلا تصل إليها اللغة الآرامية و لا العبرية و لا غيرهما، فضلا عن أنها أرقى لغات العالم طرا و أولها و كل لغة سواها حدثت فيما بعد، فهى تقدم على اللغات الآرامية إضافة إلى السامية بسعة اشتقاقاتها و كثرة مرونتها و المعانى المجازية التى تستعمل فيها الكلمة .. الخ حتى قال الأوائل: «العربية خير اللغات و الالسنة و الاقبال على تفهمها من الديانة إذ هى أداة العلم و مفتاح التفقه فى الدين .. الخ».

و كل هذه مكنت اللغة العربية لأن تكون لغة القرآن الكريم و الحديث الشريف بما يضمان من معانى و أغراض هى فى منتهى السمو و النبل» ..

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۴۰۴

علما بأن تحقيق هذه الوحدة كم سيكون سهلا و مسيرا اذا ما علمنا بأن العامل الرئيسى الثانى فى بناء القومية و هو- التاريخ- بدوره مشترك و مترابط ما بين العرب و المسلمين ايما ترابط .. بسبب ان التاريخ العربى ما هو- فى الحقيقة- إلا صورة مصغرة للتاريخ الاسلامى لأن الامجاد و المآثر التى سطرها العرب فى تاريخهم و تراثهم هى نفس امجاد المسلمين و مآثرهم، كما و ان كل مصيبة قد حلت بالعرب أو لحقت بديارهم قد اصابت المسلمين و حلت بأرضهم.

لذا فلسنا مغالين اذا قلنا انه لا اسلام بغير عرب كما و انه لا عرب بغير اسلام، فالعرب مادة الاسلام و الاسلام سبيل عزة العرب و رقيهم.

هذا فضلا إلى ان بعض العوامل الثانوية الأخرى فى بناء القومية كالدين و الاتصال الجغرافى و الآمال و العادات هى- كالعنصرين الرئيسين- مشتركة بين الاثنين و يصعب فرزها أو فصلها ..

نعود إلى صلب الموضوع و هو أثر القرآن فى اللغة العربية و ادبها و فنونها حيث نشير إلى الأثر الكبير الذى تركه القرآن فى هذه اللغة و كيف تولى الحفاظ عليها و نشرها فى بقاع الأرض عبر النقاط التالية:

۱- اعتبرت اللغة العربية الرسمية للدولة الإسلامية الفتية التى امتدت حدودها من أقصى المشرق إلى أقصى المغرب و التى ضمت مختلف الشعوب و الأمم و من دونما طمس أو محو للغات المحلية أو الحط منها- فكانت هناك فى البلاد الاسلامية- غير العربية- لغتان احداهما الرسمية و هى اللغة العربية التى يكلم بها المحررون العرب و صفوة أهل البلاد و من اتقنها من غيرهم ..

و الأخرى هى لغة الأمم و البيت و ينطق بها سواء الناس من الفرس و الاكراد و الاتراك و الهنود و الافغانيين و الصينيين .....

و غيرهم ..

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۴۰۵

۲- التقاء ابناء العروبة على لغة (لهجة) واحدة و هى لغة قريش فى مكة المكرمة حاضرة الحجاز و اعتبارها لغة التدوال و السلطة و الحكم و السياسة و الإدارة و الحياة، بينما كنا نرى قبل الإسلام ان لكل قبيلة و بلدة لهجة خاصة بها و لحن تعرف به من غيرها ..

۳- كانت اللغة العربية هى لغة سكان الجزيرة العربية و التى لا تعدو اغراضها مطالب الحياة الضيّقة التى كانوا يحيونها، و لكن عند بزوغ فجر الاسلام و اندفاع العرب إلى خارج جزيرتهم من أجل تحرير البلدان المجاورة و البعيدة من نير الظلم و الطغيان و من أجل نشر مبادئ الاسلام و شريعته الغراء، انتقلت معهم- بالطبع- لغتهم العربية فانتشرت فى هذه البلدان شرقا و غربا من جنوب فرنسة إلى تخوم الصين فى الشرق و أخذ المسلمون و كثير من سكان هذه البلدان و من كل لون و لغة يتعلمون و يتحدثون بها و ذلك إما من أجل اداء بعض الفرائض الدينية و التى لا تصح إلا باللغة العربية كالصلاة مثلا، أو من أجل دراسة القرآن الكريم و احاديث الرسول (ص) أو التفاهم بعد ذلك مع أفراد القوات العربية المحررة لأمصارهم و ديارهم ..

۴- لقد كان للقرآن الكريم أثر كبير و خطير فى نشوء عدة علوم و فنون لم تكن موجودة من قبل ذلك لأن حرص المسلمين على

صيانة كتابهم المجيد من اللحن و التحريف اضطرهم و دفعهم لاختراع و ايجاد علوم مختلفة كالنحو و الصرف و الاشتقاق و البيان و البديع و المعانى و البلاغة و اللغة «۴»، اضافة إلى العلوم الأخرى المرتبطة به من قريب أو بعيد كعلم

---

(۴) قال الراغب الاصفهانى فى محاضراته يصف القرآن: «الفاظ القرآن هى لب كلام العرب و زبدته و واسطته و كرائمه و عليها اعتماد الفقهاء و الحكماء فى أحكامهم و إليها مفزع حذاق الشعراء و البلغاء فى نظمهم و نثرهم و ما عداها الالفاظ المتفرعات عنها و المنتقاة منها هو بالاضافة إليها كالقشور و النوى بالاضافة إلى أطايب الثمرة و كالحثالة و التبن بالنسبة إلى لبوب الحنطة».

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۴۰۶

الشريعة و الاجتماع و الأخلاق و التاريخ و القصص و الحكم و التفسير و الفقه ..

۵- بعد الاختلاط و التمازج الكبير الذى جرى بين العرب و بين سكان البلدان الأخرى من المسلمين كان لا بد للغة العربية ان تنصهر أو تختلط مع اللغات المحلية فتفقد- لذلك، بل ان العرب انفسهم بعد ان توزعوا فى مختلف اقطارهم قد اختلفت لهجاتهم ما بينهم حيث نرى (۲۲) لهجة عربية محلية ل (۲۲) قطر عربى مستقل، ناهيك عن اللهجات المختلفة داخل القطر العربى الواحد ..

إلا ان اللغة العربية الفصحى المشتركة ما بينهم و هى لغة القرآن واحدة و هى التى جمعتهم و تجمعهم على مائدة العروبة، كما و ظلت اللغة الأدبية و العلمية بينهم مشتركة و هى لغة لا يمكن ان تتبدل أو تتغير إلا بتبدل القرآن و تغيّره، و هذا هو منتهى الاستحالة و ابعد الاحتمالات.

۶- هذّب القرآن الكريم اللغة العربية بما ورد فيه من الأساليب البديعة و الألفاظ الكريمة و الجمل الجميلة مما دعا ابناء الضاد إلى استعمال هذه الأساليب و الالتزام بهذه الألفاظ و الجمل عند الكتابة و الخطابة، فذهب غريب اللغة و أدبر غير مأنوسها و مألوفها ليحل محله الاسلوب النبيه و المعانى الحميدة و الألفاظ الرقيقة العذبة المأنوسة ..

و كان لهذا الاسلوب الجديد و المعانى الجميلة أيضا أثر كبير فى تقويم اخلاق العرب و تصحيح بعض طباعهم و عاداتهم ..... الخ.

۷- وسع القرآن اغراض اللغة فاصبحت وسيلة للتعبير عن عقائد الدين عند البحث عن توحيد اللّه و النبوة و ما تتطلبه هذه من الإيمان بالبعث و الدار الآخرة ..

۸- كما وسّع القرآن الكريم مادة الفاظ اللغة بالتوسع فى دلالاتها و اخراجها من معنى الى معنى بينه و بين الأول مشابهة و رابطة، كما فعل

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۴۰۷

فى الفاظ الصلاة و الصيام و الزكاة و المسلم و الكافر .. الخ حيث ان المعنى اللغوى لهذه الكلمات هو غير المعنى الاصطلاحى لها ..

۹- اتخذ الأدباء و ارباب القلم و البيان اسلوب القرآن هاديا و أما ما فى طريقته البيانية و اسلوبه البديع فاغترفوا من معانيه و حفظوا روائعه فكان لهم منه معين فياض (بما لمسوا فيه من نماذج البيان و صور الجمال) ظهر ساطعا و جليا فى خطبهم و شعرهم و ادبهم و رسائلهم على مدى الأيام و الدهور .....

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۴۰۸

الخاتمة

عند ما يطلّ القارئ العزيز على مشارف هذا الفصل يكون قد ودع الكتاب بفصوله و ابحاثه الوداع الأخير ..

و طبيعى ان كل من يفرغ من مراسيم هذا التوديع من القراء يكون قد كوّن فى ذهنه فكرة خاصة و رأيا معينا عن الكتاب و محرره ..

و اذا حق لى هنا ان التمس من أولئك القراء الذين و اكبوا رحلة القراءة و استعراض فصوله من البداية شيئا فلا أقل من ان يتفضلوا-

مشكورين- بموافاتى بشىء مما علق فى اذهانهم من آراء و افكار عن الكتاب و الكاتب، ليمكن الاستعانة بها اذا ما حاول هذا القلم القاصر ان يستأنف مسيرته من جديد أو قدّر لهذا الكتاب ان يولد للمرة الثالثة «۱».

و ارى انه لو قدّر و ان التقى القراء على مائدة تلبية هذه الدعوة و الاستجابة لهذا النداء لراهنت و لجزمت سلفا على حقيقة ما ستضم هذه الاجابات و ما سيرد فيها من ملاحظات و انطباعات ..

---

(۱) لقد شاء اللّه سبحانه لهذا الكتاب أن يطبع مرة ثانية- و هى هذه الطبعة- و طبيعى أن القارئ الكريم قد لمس بيديه الفارق الهائل بين الطبعة هذه و الأخرى التى سبقتها سواء فى المادة أو الاسلوب أو الابواب الجديدة أو فى حذف بعض الافكار و المواضيع التى هى غير جديرة بالتسجيل ..

و كما قلت- و لا زلت- فإن الفضل فى كل ذلك يرجع إلى أولئك الذين تولّوا الكتابة إلىّ مشيرين عبرها إلى المآخذ و التى قمت بتلافيها أو المآتى و التى أكدت عليها، راجيا لهم جميعا دوام الخير و التوفيق ..

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۴۰۹

و كل هذه الأجوبة و الملاحظات التى خطت عن الكاتب و الكتاب اذا هى اختلفت فى شىء فإنها ستلتقى- كما اظن- فى الاشارة إلى ما فى هذا الكتاب من ضعف فى الاسلوب و ارتباك فى المعانى و ربما تطفّل الكاتب على الكتابة و الأدب و محاولته اقحام نفسه من دونما جدارة أو استحقاق بين صفوف أهل الفكر و ارباب القلم و البيان.

و انى ازاء هذه الأجوبة الصريحة و الواضحة- لا املك- إلا ان اقدّر و اثمن صراحة كتابها لأنها جاءت معبرة بصدق عن الحقيقة و الواقع و من دون ان يشوبها طائف من النفاق أو المراهنة ..

و انى فى الوقت الذى اقدر هؤلاء القراء على رسائلهم لارجو منهم مرة اخرى التكرم بإتمام جميلهم باشعارى بالوسائل و الطرق التى ينبغى سلوكها لكى نجعل اسلوب الكتاب أكثر تقدما و حيوية و معانى الكتاب أكثر جلاء و وضوحا، حتى لا يكون بعد ذلك تطفل من صاحب هذا القلم على الأدب و الفكر ..

و فى الحق ان تسجيلى لهذه الحقيقة لم يكن تواضعا أو تصغيرا بل هو كل الحقيقة عن الكتاب و الواقع عن الكاتب و التى ادركها القراء فجاءت ساطعة و واضحة عبر أجوبتهم الآنفة الذكر ..

بقىّ ان اشير بعد هذا انه اذا ما كان هناك من عاصم أو شفيع يحمينى من أوزار ما يشوب اسلوب هذا الكتاب من تردى أو سقط فهو ان هذا الانتاج ما هو فى الحق إلا باكورة ما قمت به فى ميدان الكتابة و التدوين فضلا عن انى بعد ذلك لست كاتبا محترفا و لا مؤلفا ممارسا أو ممن يطمع فى ان يكون فى يوم ما كذلك و ذلك حرصا على ألا ينضم إلى صفوف هؤلاء الكتاب و المؤلفين- فى الوقت الحاضر على الأقل- من لا يملك اسباب الكتابة و اوليات التأليف ..

و الآن تقضى- ايها القارئ الحبيب- اللحظات الأخيرة عبر رحلتنا

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۴۱۰

التاريخية معك عبر اجواء هذا الكتاب، و بعد عدة سطور لا تتجاوز قراءتها عدة دقائق ستدع هذه الصفحة لتطبق على اخواتها تمهيدا لطيها جميعا و وضعها فى مكانها بالمكتبة.

و قبل ان تختم هذه الدقائق المعدودة احببت ان استعيد بعض ما كتب آنفا عن القرآن و فنونه و آدابه ..

ان كل ما كتب عن القرآن آنفا لا يمكن ان نورده فى هذه السطور لأن ايراده هنا لا يكلفنا اكثر من أن نوجه القارئ الكريم لقراءة الكتاب من بدايته، و لكن لو امكن ايجاز هذه الدراسة فى هذه السطور فلا أقل من ان نقول بأن القرآن، فى الحق، ليس كتابا كسائر الكتب التى تقرأ للتسلية و قضاء الوقت و قتل الفراغ و انما ينبغى ان يقرن العمل مع القراءة و التضحية مع المطالعة ..

و كم يا ترى سيكون هذا العمل مثمرا و هذا العطاء مضمونا اذا ما علمنا بان القرآن الكريم ليس هو فقط دستور خالد انزله اللّه سبحانه من أجل قيادة البشرية و ارشادها نحو العزة و المنعة و ارتقاء و انما هو بالاضافة إلى ذلك علم و نظام و فن و أدب و رياضة و تصوير و ثقافة و اخلاق و عبادة ..

ان المرء منا يتعب نفسه السنين الطوال ببردها و حرها فى المعاهد و الجامعات من أجل الحصول على تخصص فى لون أو فرع واحد من فروع العلم و الأدب و الفن أو غير ذلك و قد يخفق فى النهاية او ان ينال شيئا منها ..

و لكن اذا ما ولى وجهه شطر الدراسات القرآنية لدراستها لتمكن فى نفس تلك الفترة من الوقوف و الاطلاع على قليل أو كثير من علوم القرآن و فنونه و آدابه و اخلاقه و التى ستنفعه ليس فقط فى هذه الدنيا بل و فى الآخرة حيث لا ينفع فيها أى مركز أو سلطان أو نفوذ ..

لمحات من تاريخ القرآن، ص: ۴۱۱

هذا و ان المجتمع الانسانى يمر الآن بمرحلة حاسمة و حرجة من عمره و انه لا سبيل له فى بلوغ اهدافه و غاياته فى التقدم و الإزدهار من دون ان يسير فى طريق الايمان و يحكم إرادة اللّه و تعاليمه و نظمه ..

و غيرها فيما ينشأ بين افراد هذا المجتمع من علاقات و معاملات ..

علما بأن كل محاولة يراد من ورائها النهوض بهذا المجتمع مع تنكب هذا السبيل القويم سيكون مصيرها المحتم هو الفشل الذريع و ستبعث فيه مزيدا من الفوضى و الارتباك و الهزات ..

و لو قام هذا المجتمع على قدميه بدون ذلك- جدلا- فوقوفه هذا سيكون على قاعدة واهية و مضطربة و لفترة جد قصيرة حيث لا تلبث هذه الفوضى و هذه الهزات ان تعصف فيه لتسقطه من عليائه ليصبح اثرا بعد عين و نسيا منسيا.

هذا هو ما احببت ان اسجله فى آخر فصل من هذه الدراسة و هو نفسه الذى آثرت ان يكون مسك الختام ..

و الحمد للّه رب العالمين نهاية لا تزال تبدأ و بدء لا ينتهى ..

محمد على يوسف الأشيقر كربلاء ۱۹۶۶ م- ۱۳۸۶ ه

تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فى سَبيلِ اللَّهِ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱).

قالَ الإمامُ علىّ بْنُ موسَى الرِّضا – علَيهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْيَا أمْرَنَا... َ يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ يُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنادِرُ البِحار – فى تلخيص بحار الأنوار، للعلاّمة فيض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُيونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشّيخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷).

مؤسّس مُجتمَع "القائميّة" الثّقافىّ بأصبَهانَ – إيرانَ: الشهيد آية الله "الشمس آبادى" – "رَحِمَهُ اللهُ" – كان أحداً من جَهابذة هذه المدينة، الذى قدِ اشتهَرَ بشَغفِهِ بأهل بَيت النبىّ (صلواتُ اللهِ علَيهِم) و لاسيَّما بحضرة الإمام علىّ بن موسَى الرِّضا (عليه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرجَهُ الشَّريفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درايته، فى سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجريّة الشمسيّة (=۱۳۸۰ الهجريّة القمريّة)، مؤسَّسةً و طريقةً لم يَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَى و أحسَنِ مَوقِفٍ كلَّ يوم.

مركز "القائميّة" للتحرِّى الحاسوبىّ – بأصبَهانَ، إيرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجريّة القمريّة) تحتَ عناية سماحة آية الله الحاجّ السيّد حسن الإمامىّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّيجى الحوزات العلميّة و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، فى مجالاتٍ شتّى: دينيّة، ثقافيّة و علميّة...

الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثَقافة الثّقَلَين (كتاب الله و اهل البيت عليهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزيز دوافع الشّباب و

عموم الناس إلى التّحَرّى الأدَقّ للمسائل الدّينيّة، تخليف المطالب النّافعة – مكانَ البَلاتيثِ المبتذلة أو الرّديئة – فى المحاميل (=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوتريّة)، تمهيد أرضيّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافيّةٍ على أساس معارف القرآن و أهل البيت –عليهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطّلّاب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِج العلوم الإسلاميّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهيل رفع الإبهام و الشّبُهات المنتشرة فى الجامعة، و...

– مِنها العَدالة الاجتماعيّة: التى يُمكِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحديثة متصاعدةً، على أنّه يُمكِن تسريعُ إبراز المَرافِق و التسهيلاتِ– فى آكناف البلد – و نشرِ الثّقافةِ الاسلاميّة و الإيرانيّة – فى أنحاء العالَم – مِن جِهةٍ اُخرَى.

– من الأنشطة الواسعة للمركز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ كتبٍ، كتيبة، نشرة شهريّة، مع إقامة مسابقات القِراءة

ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقيقيّة و مكتبية، قابلة للتشغيل فى الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثّلاثيّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّكة و... الأماكن الدينيّة، السياحيّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتى "القائميّة "www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِع اُخرَ

ه) إنتاج المُنتَجات العرضيّة، الخَطابات و... للعرض فى القنوات القمريّة

و) الإطلاق و الدَّعم العلمىّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعيّة، الاخلاقيّة و الاعتقاديّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)

ز) ترسيم النظام التلقائىّ و اليدوىّ للبلوتوث، ويب كشك، و الرّسائل القصيرة SMS

ح) التعاون الفخرىّ مع عشراتِ مراكزَ طبيعيّة و اعتباريّة، منها بيوت الآيات العِظام، الحوزات العلميّة، الجوامع، الأماكن الدينيّة كمسجد جَمكرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفيذ مشروع" ما قبلَ المدرسة "الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِكين فى الجلسة

ى) إقامة دورات تعليميّة عموميّة و دورات تربية المربّى (حضوراً و افتراضاً) طيلة السَّنَة

المكتب الرّئيسىّ: إيران/أصبهان/ شارع"مسجد سيّد/ "ما بينَ شارع"پنج رَمَضان "ومُفترَق"وفائى/"بناية"القائميّة"

تاريخ التأسيس: ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجرية القمريّة)

رقم التسجيل: ۲۳۷۳

الهويّة الوطنيّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البريد الالكترونى: Info@ghaemiyeh.com

المَتجَر الانترنتى: www.eslamshop.com

الهاتف: ۲۵–۲۳۵۷۰۲۳– (۰۰۹۸۳۱۱)

الفاكس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)

مكتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)

التّجاريّة و المَبيعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور المستخدمين ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظة هامّة:

الميزانيّة الحاليّة لهذا المركز، شَعبيّة، تبرّعيّة، غير حكوميّة، و غير ربحيّة، اقتُنِيَت باهتمام جمع من الخيّرين؛ لكنّها لا تُوافِى الحجمَ المتزايد و المتّسِعَ للامور الدّينيّة و العلميّة الحاليّة و مشاريع التوسعة الثّقافيّة؛ لهذا فقد ترجَّى هذا المركزُ صاحِبَ هذا البيتِ (المُسمَّى

بالقائميّة) و مع ذلك، يرجو مِن جانب سماحة بقيّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرَجَهُ الشَّريفَ) أن يُوفِّقَ الكلَّ توفيقاً متزائداً لِإعانتهم - فى حدّ التّمكّن لكلّ احدٍ منهم - إيّانا فى هذا الأمر العظيم؛ إن شاءَ اللهُ تعالى؛ و اللهُ ولىّ التوفيق.

مرکز القائمیة للبحوث والتخریبات الکمبیوتریة
اصبهان
WWW
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹